الشعلة الزرقاء

رسائل جبران خليل جبران
إلى مي زياده





الى ماري
من جبران

تحقيق وتقديم
سلمى الحفّار الكزبري
الدكتور سهيل ب. بشروئي





تحقيق وتقديم

سلمى الحفّار الكزبري
الدكتور سهيل ب. بشروئي




الشعلة الزرقاء
رسائل جبران خليل جبران
إلى
مي زيادة

الطبعة الثانية

١٩٨٤

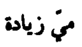
© مؤسسة نوفل ش.م.م

بناية نوفل - شارع المعماري - ص. ب ١١.٢١٦١ - تلفون ٣٥٤٨٩٨ - ٣٥٤٣٩٤ - تلكس نوستن ٢٢٢١٠ - بيروت - لبنان

NAUFAL BLDG. - MAMARI STR. - P.O.BOX 11-2161 - PHONE 354898-354394 - TELEX NAUSTN 22210 LE - BEIRUT - LEBANON



جبران خليل جبران



ميّ زيادة

مقدمة الطبعة الثانية

يسرنا أن نقدم لقراء العربية هذه الطبعة الجديدة من رسائل جبران خليل جبران المخطوطة الى ميّ زيادة بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لمولده .

ولا نشك في أنه يسرّ محبي الآداب أن يعلموا ان هذه الوثائق الأدبية قد نقلت الى لغاتٍ أوروبية متعددة حتى غاية اليوم : لقد صدرت ترجمتها الى اللغة الاسبانية عن « المعهد الثقافي الاسباني العربي » في مدريد عام ١٩٧٨ بقلم المستشرقة الدكتورة « كارمن رويث برافو ـ CARMEN RUIZ BRAVO » بعنوان : « الشعلة الزرقاء ـ LLAMA AZUL » ، وصدرت ترجمتها الى اللغة الايطالية عن « المعهد الثقافي للبحر المتوسط » في مدينة « باليرمو ـ PALERMO » عاصمة جزيرة صقلية عام ١٩٨١ بقلم المستشرقة الدكتورة : ماريا آماليا دي لوكا MARIA AMALIA DE LUCA وكذلك صدرت ترجمتها الى اللغة الفرنسية عن دار « سندباد ـ SINDBAD » للنشر في باريس ، عام ١٩٨٢ ، بقلم السيدة سلمى الحفار الكزبري والدكتور سهيل بديع البشروئي ، بعنوان : الصوت المجنّح ـ LA VOIX AILEE . أما ترجمتها الى اللغة الانكليزية فسوف تصدر عن دار « لونجمان ـ LONGMAN » للنشر في لندن ، في منتصف شهر حزيران المقبل ، بقلم السيدة كزبري والدكتور بشروئي أيضا ، وبعنوان : الشعلة الزرقاء ـ BLUE FLAME .

كان عدد تلك الرسائل المخطوطة الهامة ستا وثلاثين رسالة في الطبعة الأولى ، فأضفنا اليها في هذه الطبعة العربية الثانية رسالة جديدة من

رسائل جبران الى ميّ ، غير كاملة ، وُفقت بالعثور عليها مؤخرا المحققة السيدة سلمى الحفار المزبري بين أوراق صديقة ميّ الأديبة الراحلة السيدة جهان غزاوي عوني[1] ، وهي مؤرخة في شهر حزيران من عام ١٩٢١ .

وان ما يجدر بالاشارة أننا تعاونا مع مؤسسة نوفل للطباعة والنشر في بيروت على تنقيح هذه الرسائل وتبويبها بعناية فائقة لكي تصبح على المستوى اللائق بآثار جبران خليل جبران الأدبية النثرية .

سلمى الحفار الكزبري ـ سهيل بديع بشروئي

---

(١) يعود الفضل في العثور على هذه الرسالة السابعة والثلاثين من رسائل جبران الى ميّ الى السيدة نسيمة عوني الخطيب ابنة الأديبة الفقيدة جهان غزاوي عوني ، وهي منشورة في كتاب : « ميّ زيادة وأعلام عصرها ـ وثائق جديدة ١٩١٢ ـ ١٩٤٠ » جمع وتحقيق وتقديم سلمى الحفار الكزبري ـ مؤسسة نوفل ١٩٨٢ ـ ص: ١٥٦ ـ ١٥٨ .

مقدمة الطبعة الاولى

(. . . هل بامكان الذات المقتبسة، وهي من الأرض، ان تحور وتغير الذات الوضعية، وهي من السماء؟ إن تلك الشعلة الزرقاء تنير ولا تغير، وتحول ولا تتحول، وتأمر ولا تأتمر[1] .

جبران خليل جبران

الحب الذي نشأ بين جبران خليل جبران وميّ زيادة حب فريد، بل حب نادر، لا مثيل له في تاريخ الأدب، أو في سير العشاق. لقد دامت تلك العاطفة العارمة بينهما زهاء عشرين عاماً دون ان يلتقيا الا في عالم الفكر والروح، والخيال الضبابي إذ كان جبران في مغارب الأرض مقيماً، وكانت مي في مشارقها، بينهما « سبعة آلاف ميل[2] » كما قال جبران، و « البحار المنبسطة[3] » كما قالت مي . . ومع ذلك نرى انهما كانا أقرب قريبَيْن، وأشغف حبيبَيْن، فما سرّ هذه العلاقة القوية، وكيف تطورت، وما مدى أثرها في صاحبيها؟ هذا ما تكشفه هذه الرسائل المخطوطة التي بعث بها جبران الى ميّ من عام ١٩١٤ الى عام ١٩٣١، والتي ننشرها للمرة الأولى تحت عنوان:

---

(١) مقطع من رسالة جبران لمي المؤرخة في ٩ تشرين الثاني ١٩١٩ .

(٢) من رسالته المؤرخة في ١١ حزيران ١٩١٩ .

(٣) من رسالة ميّ لجبران المؤرخة في ٦ كانون الأول ١٩٢٠، المنشورة في كتاب: (رسائل مي) صفحة ٥٣، للدكتور جميل جبر (منشورات مكتبة بيروت ـ ١٩٥١ ـ)

« الشعلة الزرقاء ». ولو كانت رسائل مي لجبران بين أيدينا لاستطعنا اعطاء صورة كاملة لتلك العلاقة الفريدة، غير ان رسائلها اليه ما زالت في ضمير الغيب، لم ينشر منها سوى النزر القليل.

لم يكن حب جبران ومي وليد نظرة فابتسامة، فسلام، فكلام، بل كان حباً رائعاً ونما عبر مراسلة أدبية طريفة، ومساجلات فكرية وروحية ألّفت بين قلبَيْن وحيدَين، وروحين مغتربين، كان كل منهما يبحث عن روحٍ شقيقة في يقظته وأحلامه، ويتوق الى تلك « الشعلة الزرقاء » التي هي جوهر النفس الانسانية في أسمى درجات صفائها. كل منهما كان يسعى لرؤية ذاته في روح صاحبه حتى لكأن تلك الروح هي المرآة التي ينعكس على صفحتها نور الآخر. ونحن، كلما انعمنا النظر في مضمون هذه الرسائل النابضة بالحياة، الناضجة بالصدق، كلما ازددنا يقيناً بان الحب الذي شد جبران الى ميّ، وشغف ميّاً بجبران، حب عظيم، بل عشق يكاد يكون صوفياً لأنه تخطى حدود الزمان والمكان والحواس الى عالم تتحد فيه قوة الوجود. ان هذا الحب بسموّه، وعمقه، وطهارته، جعل كلاً منهما يبحث عن الله في قلب الآخر، ولا سيما جبران الذي اتسم بنزعةٍ صوفية في حياته، وفي هذه الرسائل بالذات حيث قال في إحداها لمي.

(... الأفضل ان نبقى هنا، هنا في هذه السكينة العذبة. هنا نستطيع ان نتشوّق حتى يُدنينا الشوق من قلب الله[1].) فنظرته الى الحبيبة تذكرنا بنظرة جلال الدين الرومي الى المرأة إذ قال: « ليست المرأة معشوقة، بل هي نور الحق »).

ومن ناحية ثانية نرى ان مقارنة هذا الحب بما عرفناه عن خصائص الحب العذري في الأدب العربي ليست أمراً ممكناً، على الرغم من انه ينطوي على

---

(١) من الرسالة المؤرخة في ٥ تشرين الأول ١٩٢٣.

بعض معاني الحب العذري، ويتميز بصفاتٍ خاصة تجعله في يومنا هذا مثالاً نادراً للحب المتجرد عن كل ما هو مادي، وسطحي، وأرضي.

كان طبيعياً جداً ان يتعارف بطلا هذا الحب عن طريق الفكر والنشر في اوائل هذا القرن، بعد ان أصاب كل منهما شهرة كبيرة. كانت ميّ معجبة بمقالات جبران وافكاره فبدأت بمراسلته عقب اطلاعها على قصته: « الأجنحة المتكسرة » التي نشرها في المهجر عام ١٩١٢. كتبت له تعرب عن اعجابها بفكره واسلوبه، وتناقشه آراءه في الزواج وقيوده، والحب واطواره، فقالت له:

(... اننا لا نتفق في موضوع الزواج يا جبران. أنا أحترم أفكارك، وأجل مبادئك، لأنني اعرفك صادقاً في تعزيزها، مخلصاً في الدفاع عنها، وكلها ترمي الى مقاصد شريفة، وأشاركك أيضا في المبدأ الأساسي القائل بحرية المرأة. فكالرجل يجب ان تكون المرأة مطلقة الحرية بانتخاب زوجها من بين الشبان، تابعة بذلك ميولها والهاماتها الشخصية، لا مكيفة حياتها في القالب الذي اختاره لها الجيران والمعارف، حتى اذا ما انتخبت شريكاً لها تقيدت بواجبات تلك الشركة تقيداً تاماً. انت تسمي هذه سلاسل ثقيلة، حبكتها الأجيال، وأنا أقول آنها سلاسل ثقيلة، نعم، ولكن حبكتها الطبيعة التي جعلت المرأة ما هي، فان توصل الفكر الى كسر قيود الاصطلاحات والتقاليد، فلن يتوصل الى كسر القيود الطبيعية لأن احكام الطبيعة فوق كل شيء. لِمَ لا تستطيع المرأة الاجتماع بحبيبها على غير علم من زوجها؟ لأنها باجتماعها هذا السري، مهما كان طاهراً، تخون زوجها، وتخون الاسم الذي قبلته بملء ارادتها، وتخون الهيأة الاجتماعية التي هي عضو عامل فيها.

.... اني أشعر شعوراً شديداً بالقيود المقيدة بها المرأة، تلك القيود الحريرية الدقيقة كنسيج العنكبوت، المتينة متانة اسلاك الذهب. ولكن اذا جوّزنا لسلمى « سلمى كرامة بطلة الرواية » ولكل واحدة تماثل « سلمى » عواطف، وذكاءً، وسموّاً، الاجتماع بصديق شريف النفس، عزيزها، فهل

يصح لكل امرأة لم تجد في الزواج السعادة التي حلمت بها وهي فتاة ان تختار لها صديقاً غير زوجها، وان تجتمع بذلك، على غير معرفة من هذا، حتى وان كان القصد من اجتماعها الصلاة عند فتى الأجيال المصلوب[1]؟)

ان مما يؤسف له ضياع جواب جبران على هذه الرسالة، وما يكون قد تبعها من رسائل، ولكن الرسالة الأولى التي نقدمها في هذه المجموعة والمؤرخة في الثاني من كانون الثاني عام ١٩١٤، تشير بوضوح الى ان رسائل تلك الفترة كانت قليلة، متقطعة، وذلك استناداً الى قول جبران فيها: (. . . **فلنعد إلى متابعة الحديث الذي ابتدأنا به منذ عامين**).

يتضح لنا لدى التأمل في هذه الرسائل الجديدة ان الصلة بين جبران ومي توثقت شيئاً فشيئاً لأن لهجته في مخاطبتها تدرجت من التحفظ الى التودد، ومن الاعجاب الى صداقة حميمة، ومن ثم الى حب في عام **١٩١٩** ما ان بلغ ذروته حتى عكرت صفوه سلسلة من الخلافات، والمعاكسات (**التي تحول عسل القلب إلى مرارة، وخبز القلب الى تراب**[2]) كما قال جبران. ان الغريب حقاً في هذه الصلة تأرجحها بين الحب الجامح والفتور، بين التفاهم التام الذي كان يضفي عليهما شفافية روحية تغمرهما بالفرح والسعادة، وبين سوء التفاهم المفاجىء الذي كان يؤلمهما ويدعوهما الى القطيعة أحياناً، ولكن شدة ولع كل منهما بالآخر كانت تدفعهما الى التصالح مجدداً. فالحب إذن كان هو المنتصر دائماً، ولكنه تحول عند جبران، في السنوات الأخيرة، الى ما يشبه الحب الأبوي الطافح بالحدب والعذوبة والحنان، واستمر، بين توتر وصفاء، حتى نهاية حياته.

قلنا فيما تقدم عن حب جبران ومي انه « ضبابيّ » لكثرة ما تكررت كلمة

---

(١) « رسائل مي » للدكتور جميل جبر منشورات مكتبة بيروت عام ١٩٥١ ـ ص: ١٦ و ١٧.

(٢) من الرسالة المؤرخة في ٥ تشرن الأول ١٩٢٣

الضباب في حديث جبران، ولما اكتنفه من غموض وتورية في الرسائل التي بين ايدينا. كان كل منهما يخشى التصريح بعواطفه فيلجأ الى التلميح، فجبران لم يكن يسمي الأشياء والمشاعر بأسمائها، انما كان يرمز اليها، ويضعها في عبارات وصور مبتكرة وجميلة. نلحظ انه لم يناج ميّاً أبداً بقوله مثلا: «يا حبيبتي» ولم يخاطبها باللغة المألوفة لدى العشاق، غير أنه عبر عن حبه لها بما هو أبلغ بكثير عندما قال: «**أنت تحيين فيّ، وأنا أحيا فيك**[1]». ويوم حدثها عن الرابطة القائمة بينه وبينها وصفها بـ (**الدقيقة، والقوية، والغريبة**) وبأنها (**أصلب وأبقى، بما لا يقاس، من الروابط الدموية والجنينية، حتى والأخلاقية**[2].) فالحب في قاموسه هو «**عاطفة نفسية**» و «**عنصر شفاف**» أحياناً و «**تفاهم**» أحياناً أخرى كأنه: «**أغنية عميقة، هادئة، نسمعها في سكينة الليل، فتنتقل بنا إلى ما وراء الليل، إلى ما وراء النهار، إلى ما وراء الزمن، إلى ما وراء الأبدية**[3]!) وبعد أن باح لها بذلك «**السر**» رجاها ان تطعم النار رسالته اذا لم تجد لبوحه الصدى المرجو في نفسها.

كانت ميّ في حياة جبران الصديقة، والحبيبة الملهمة، وشقيقة الروح، وصلة الوصل بينه وبين وطنه، وشرقه، وذاته في أعمق أغوارها. أحبَّ فيها المرأة الحلوة الذكية على طريقته هو، وكان أكثر ما أحبه فيها عقلها النّير الذي تجلّى في مقالاتها وكتبها، فأعرب عن تقديره لمؤلفاتها، واعجابه بذوقها وثقافتها، في بعض هذه الرسائل. كما احب فيها حبها له، واعجابها بشخصيته وانتاجه الأدبي والفني الذي كانت تتناوله بالتقريظ والنقد في مقالاتها في مصر، كلما كان يَنْشر أثراً من آثاره في المهجر. يضاف الى ما تقدم ان جبران كان

---

(١) من الرسالة المؤرخة في ٥ تشرين الأول ١٩٢٣

(٢) من الرسالة المؤرخة في ١٥ تموز ١٩١٩

(٣) من الرسالة ذاتها.

يخاطب ميّاً في رسائله كمن يخاطب نفسه بعفوية وبدون تكلّف، ويحدثها عن طفولته، وأحلامه، ومؤلفاته، ومشاريعه الأدبية والفنية، وميوله وذكرياته، وصحته، وآرائه في الأدب والروح والفن، وفلسفته بكل صدق وبساطة، وهذا ما يجعل هذه الرسائل أثراً جديداً من آثاره، ذا قيمة كبيرة. فلقد كشفت لنا عن جوانب من شخصيته كانت خافية على الذين تناولوها بالدرس والتحليل من قبل، وعرّفتنا بجبران الطفل، وجبران الصديق، وجبران العاشق المتصوف، وجبران المغترب المتيم بأرضه وأهله، وجبران الرسام والمفكر والكاتب العبقري الذي ضحى حياته وصحته، واستعذب الأرق والتعب في سبيل تأدية رسالته الفكرية والفنية التي كان مؤمناً بها ايماناً عميقاً. وهنا، ونحن في معرض الحديث عن قيمة هذه الرسائل وأهميتها، ينبغي ان نشير الى الرسوم الجميلة التي ابتكرها جبران وخطها بريشته السحرية، إما على هوامش بعض صفحات رسائله، او في نهايتها، لأنها نماذج جديدة من فنه الرفيع، ألهمها حبه لميّ، الأديبة التي استحوذت على فكره وخياله، فخصّها بها، دون غيرها من النساء اللواتي عرفهن وصادقهن. لقد عبر لنا جبران في هذه الرسائل عن ذوقه الفني، وعبر عن آرائه في كبار رسامي الغرب، فما زار معرضاً فنياً الا وتخيّل حبيبته، ورفيقة الروح والعقل معه، وحرص على ان تشاركه في سائر الانطباعات والتجليات. كما انه أخذ على عاتقه توجيه ثقافتها الفنية بارسال بطاقات تمثل روائع الفن العالمي كان يختارها لها فيعلّق عليها، ويشرح رموزها ومزاياها، ويبعث بها بشكل رسائل، وليس بصورة بطاقات بريدية، لذا ضمنّاها هذه المجموعة لأنها جزء لا يتجزأ من رسائله الى ميّ، ومن علاقته بها.

وعلى الرغم من كل ما كُتب عن علاقات جبران الغرامية بعدد من النساء أمثال « ماري هاسكل » و « ميشلين »، فإن حبّه لميّ كان الحب الوحيد الذي ملك عليه قلبه وخياله، ورافقه حتى نهاية حياته. فبينما كان حبه لماري هاسكل، المرأة التي اكتشفت نبوغه في الولايات الأميركية المتحدة قبل جميع

الناس، وشملته برعايتها في شبابه، وشجّعته كثيراً، وساعدته مادياً ومعنوياً، حباً مشوباً بالاعجاب، والاعتراف بالجميل، دفعه الى التعلق بها، وحتى الى طلب يدها للزواج، كان حبه لميشلين، المعلمة الفرنسية الجميلة في مدرسة ماري هاسكل في بوسطن، نزوة عارضة ألهبت مشاعره في فترة ما، دون ان تترك أثراً يذكر في حياته وفي فكره وفنه. أما حب جبران لمي، وهي الأديبة اللبنانية المنبت، الشرقية الروح، فقد كان معادلاً حبه العارم لوطنه لبنان، ولروحانية الشرق، ومرتبطا بهما، وبالدم العربي الذي كان يجري في عروقه، وهذا ما تؤكده رسائل «**الشعلة الزرقاء**» في أكثر من مقطع منها. وقد يتساءل الناس لماذا ظل جبران عزباً؟ نحن نميل الى الاعتقاد بأنه لم يكن راغباً في الزواج، وأنه شعر بالارتياح عندما رفضت ماري هاسكل طلبه للزواج أولاً لشدة حرصه على حرية التصرف بوقته كفنان، وثانياً لاعتلال صحته منذ مطلع شبابه. أما فيما يتعلق بصلته بميّ فان خشيته من الإقدام على شيء قد يندم عليه، وخوفه من ان يصاب بخيبة أمل ما قد حالا بينه وبين زيارتها في مصر، أو لقائها في غير مصر: فلقاؤها في الشرق، أو في أية عاصمة اوروبية كان ممكناً لو أراد، لأن ميا قامت برحلات متعددة الى أوروبا بين ١٩٢٠، و ١٩٣٠، وكانت تُعلم جبران بها، كما يتضح من رسائله اليها.

لنتحدث الآن عن شخصية ميّ. ان الذين أفردوا لها أبحاثاً وكتباً عديدون، وقد أجمعوا على أنها أديبة مرهفة الشعور، رومنطيقية النزعة، وامرأة متمسكة بالتقاليد الشرقية، تحررت فكرياً ولكنها اتصفت بالانطواء على النفس، وكآنت حريصة على سمعتها في المجتمع الحرص كله. نشأت مي في بيئة متدينة، محافظة، تعيب على الفتاة [illegible] بعواطفها، ويوم اقتحمت مجتمع الرجال، وبرزت فيه صحفيةً ممتازة، وشاعرة بالفرنسية، وأديبة، وخطيبة، وصاحبة ندوة في الثلث الأول من القرن العشرين، حظيت باحترام المجتمع العربي واعجابه، لا لمواهبها فحسب، بل لحسن سلوكها أيضاً. وها

نحن اليوم نتعرف الى ملامح جديدة من شخصيتها الانثوية بفضل رسائل جبران اليها، ومع اننا لا نملك رسائلها اليه، ما عدا بضع عبارات منها أوردها جبران في هذه الرسائل إما للردّ عليها، او للاستشهاد بها، ونقول ان الوقوف على حبها لجبران، ومدى عمق ذلك الحب، وتأثيره فيها لم يكن ممكناً قبل العثور على هذه الوثائق المهمة. أما علاقاتها برجال الفكر الذين عاصروها في مصر وسائر البلاد العربية فانها لم تتجاوز حدود الصداقة، على الرغم من التحريف الذي ألحقه بها بعض الذين كتبوا عنها بعد موتها بغية إثارة فضول القراء، والضجيج حول موضوع دقيق يمس عواطف أديبة رائدة، لم تسيء الى أحد في حياتها. وأما عن علاقة بعض كبار معاصريها بها فانه حديث آخر، وليس بمستغرب ان يكون قد أغرم بها من عرفها عن كثب، وتأثر بمزاياها الكثيرة وجاذبيتها الشخصية، وحديثها الساحر.

لقد أحبت ميّ جبران حباً كبيراً، أحبته: «**كثيراً وبحنوّ - كثيراً وبحنوّ**[1] » على حدّ تعبيرها يوم نوّهت بعاطفتها نحوه جرياً على عادة العشاق الفرنسيين عندما يفيض الشوق بأحدهم فيقطف أزهار الاقحوان والنسرين، ويعمد الى مداعبة وريقاتها، ونزع الواحدة تلو الأخرى، مناجياً حبيبه، باحثاً عن حظونه لديه قائلاً: « أحبك، قليلاً، كثيراً، بحنوّ، بشغف، بجنون، لا أحبك! » لا ريب في ان ميّا أحبت جبران حباً كبيرا منذ ان كانت في أوج الشباب، وان اعجابها العميق به جعل المقارنة بينه وبين الذين خطبوا ودّها أمراً مستحيلاً. معروف أن الذين تقدموا إليها راغبين في الزواج كثيرون، وان جلّهم كانوا من الشخصيات المرموقة اللائقة بها، ولكن قلبها كان مشغوفاً بجبران، وأملها كان معقوداً عليه وحده لذا رفضت الزواج من غيره، وتجاهلت كل رجل سواه فبقيت عزبة، على الرغم من شدة ولعها بحياة الأسرة والأطفال. لقد وجدت في جبران مثلها الأعلى، وفارس أحلامها،

---

(١) مطلع الرسالة المؤرخة في ٢١ أيار ١٩٢١.

ووجدت في رسائله إليها، بأسلوبها الفريد كتابةً وفكراً، ينبوعاً ثراً من الغذاء الروحي، وارضاءً لكبريائها وطموحها. مثّل لها جبران الحب العظيم الذي كانت تتوق اليه، فكان في حياتها شعلة من روح وفكر وفن كانت تستمد منها الإلهام والقوة! والأمل والسعادة. كانت ميّ مثاليةً في كل شيء، ولا سيما في الحب، فقد كتبت تقول في مقالة عنوانها: «كن سعيداً[1]: (**كن عظيماً ليختارك الحب العظيم، وإلا فنصيبك حب يسف التراب، ويتمرغ في الأوحال، فتظل على ما أنت، أو تهبط به بدلاً من أن تسمو إلى أبراج لم ترها عين، ولم تخطر عجائبها على قلب بشر**[2].) واننا لنستجلي معالم تلك الأبراج الرائعة التي قاد الحب اليها كلاً من ميّ وجبران في بعض صفحات «الشعلة الزرقاء» حين كانا يحلقان فيها بنشوة وشفافية قلّ ان عرف مثلهما الأدباء العشاق.

من الطبيعي ان يتساءل القارىء عما اذا كانت ميّ قد باحت لجبران بحبها العظيم هذا، فهل، تُرى، فعلت؟ وكيف؟ ليست الاجابة على هذه الأسئلة يسيرة، ولكننا نستطيع ادراك الحقيقة اذا ما تبصّرنا برسائل جبران اليها، وحلّلنا ردوده على رسائلها اليه. إننا نلحظ بوضوح تردّد ميّ في الإعراب عن مشاعرها، وتشككها في عواطف جبران نحوها، كما نلحظ خشيتها من الانطلاق على سجيتها في مراسلته، وتراجعها السريع بعد كل إقدام. كان جبران يعيش في عالم متطور، تحررت نساؤه من التقالد القديمة، في حين ان ميّاً كانت مغلولة القلب والقلم بتأثير البيئة التي عاشت فيها، والتربية التي درجت عليها، ونهج الحياة الذي اختارته لنفسها. لقد تحدث كل من الدكتور طه حسين، والاستاذ عباس محمود العقاد عن طبيعة ميّ، وسلوكها في حياتها، وأسباب الانهيار العصبي الذي ألّم بها بعد موت والديها وجبران فذكرا للأديب

---

(١) ظلمات واشعة لمي زيادة ـ منشورات دار بيروت ١٩٥٢ ـ ص: ٧٧ ـ

(٢) ظلمات واشعة ـ ميّ زيادة منشورات بيروت ١٩٥٢ ـ ص٧٧ ـ

المؤرخ الأستاذ محمد عبد الغني حسن[1] انها فرضت على نفسها حصاراً قاسياً، سواء يوم كانت أول فتاة عربية في الجامعة المصرية، او بعد ان ذاعت شهرتها وأضحت تعقد ندوات أدبية في بيتها، وان هذا الاسراف في كبت مشاعرها في شبابها قد أدّى الى تدهور صحتها النفسية في كهولتها. ونحن نتبين من حديث هذين الأديبين الكبيرين اللذين كانا من أقرب اصدقاء ميّ اليها، وأعرفهم بها، مقدار قسوتها على نفسها، ومغالاتها في كبت مشاعرها. واذا أضفنا الى ذلك نزوعها الفطري الى التشاؤم والاكتئاب، والانطواء على الذات، نستطيع ان نتفهّم خوفها من الحب، ومن مجاراة جبران في الاسترسال مع عواطفها بثقة وحبور. لقد حاولت التخلص من الشكوك والمخاوف والأوهام أكثر من مرة كما يتضح لنا من الرسائل التي بين أيدينا، ولكنها اخفقت في تلك المحاولات، بل ندمت عليها بسرعة، وهذا ما يؤكد انها عانت صراعاً نفسياً حاداً في حبها لجبران سبّب لها الشقاء، ولجبران العذاب والارهاق. لكم تمنى جبران ان تتحرّر ميّ من عقدها النفسية، وشكوكها! تمنى ذلك حرصاً على سعادتها وسعادته، واعتبر اليوم الذي تسلّم فيه رسالة ودّية منها، أبدت فيها مشاعرها نحوه (**فجراً ليوم جديد**[2]) وقد جعله ذلك اليوم يفرح فرح الأطفال، ويشعر بأنها تكتب اليه وحده، وشجّعه على طلب صورة لها. ولكن سرعان ما تدهورت العلاقة بينهما بسبب إحجامها عن متابعة المراسلة اذ صمتت ميّ صمت أبي الهول، وأوقعت جبران في الحيرة! ومع ان تلك العلاقة تدهورت بضع مرات فاننا نرى انها لم تنقطع أبداً، انما استمرت بين مدّ وجزر، وتوتر وصفاء، حتى آخر رمق في حياة كل واحد منهما، تُرى هل كانت ميّ تنتظر قدوم جبران اليها، او دعوته للقائها في أوروبا؟ ما من شك في انها

---

(١) « ميّ أديبة الشرق والعروبة » بقلم محمد عبد الغني حسن ـ عالم الكتب، القاهرة من ص: ١٨٢ الى ص ١٩٢.

(٢) من الرسالة المؤرخة في ٢١ أيار ١٩٢١.

كانت راغبة في لقائه، منتظرة قدومه بشوق كبير طالما دغدغ أحلامها! نقول هذا استنتاجاً لأن معرفتنا بطبيعة المرأة التي تحب، ولا سيما الشرقية المحافظة، تمنعها من المبادرة، وتجعلها تنتظرها من الرجل. اما دليلنا الثاني فهو عزوف ميّ عن الزواج، كما ذكرنا آنفاً: لقد أعرب جبران عن رغبته في السفر الى القاهرة عدة مرات في رسائله اليها ولكنه لم يبرح مكانه، ويوم طال انتظارها وبرّح بها الهوى، كانت قد تجاوزت الخامسة والثلاثين من العمر، فلملمت كل شجاعتها، وكتبت له أجمل رسالة حب فقالت:

(. . . جبران! لقد كتبت كل هذه الصفحات لأتحايد كلمة الحب. ان الذين لا يتاجرون بمظهر الحب ودعواه في المراقص والاجتماعات ينّمي الحب في اعماقهم قوة ديناميكة رهيبة قد يغبطون الذين يوزّعون عواطفهم في اللألأ السطحي لأنهم لا يقاسون ضغط العواطف التي لم تنفجر، ولكنهم يغبطون الآخرين على راحتهم دون ان يتمنوها لنفوسهم، ويفضلون وحدتهم، ويفضلون السكوت، ويفضلون تضليل قلوبهم عن ودائعها، والتلهي بما لا علاقة له بالعاطفة. يفضلون أي غربة، وأي شقاء (وهل من شقاء وغربة في غير وحدة القلب؟) على الاكتفاء بالقطرات الشحيحة.

ما معنى هذا الذي اكتبه؟ اني لا أعرف ماذا أعني به، ولكني أعرف أنك محبوبي، وأني أخاف الحب. أقول هذا مع علمي بان القليل من الحب كثير. الجفاف والقحط واللاشيء بالحب خير من النزر اليسير. كيف أجسر على الافضاء اليك بهذا. وكيف أفرّط فيه؟ لا أدري. الحمد لله أنني أكتبه على الورق ولا أتلفظ به، لأنك لو كنت الآن حاضراً بالجسد لهربت خجلاً بعد هذا الكلام، ولاختفيت زمناً طويلاً، فما أدعك تراني إلا بعد أن تنسى.

. . . حتى الكتابة ألوم نفسي عليها أحيانا لأني بها حرة كل هذه الحرية. . . أتذكر قول القدماء من الشرقيين: إنه خير للبنت أن لا تقرأ ولا تكتب. ان القديس توما يظهر هنا. وليس ما أبدي هنا أثر للوراثة فحسب،

بل هو شيء أبعد من الوراثة. ما هو؟ قل لي أنت ما هو. وقل لي ما اذا كنت على ضلال او هدى فاني أثق بك، وأصدق بالبداهة كل ما تقول! وسواء أكنت مخطئة أم غير مخطئة فان قلبي يسير اليك، وخير ما يفعل هو ان يظل حائماً حواليك، يحرسك ويحنو عليك.

... غابت الشمس وراء الأفق، ومن خلال السحب العجيبة الأشكال والألوان حصحصت نجمة لامعة واحدة هي الزهرة، آلهة الحب. أترى يسكنها كأرضنا بشر يحبون ويتشوقون؟ ربما وجد فيها من هي مثلي، لها جبران واحد، حلو بعيد هو القريب القريب، تكتب اليه الآن والشفق يملأ الفضاء، وتعلم ان الظلام يخلف الشفق، وان النور يتبع الظلام، وان الليل سيخلف النهار، والنهار سيتبع الليل مرات كثيرة قبل ان ترى الذي تحبه، فتتسرّب اليها كل وحشة الشفق، وكل وحشة الليل، فتلقي بالقلم جانباً لتحتمي من الوحشة في إسم واحد: جبران!

ماري زيادة[1]

الرسالة المؤرخة في ٢٦ شباط ١٩٢٤ في هذه المجموعة هي جواب جبران على هذه الرسالة الجميلة التي تصور لنا ميّاً العاشقة المدلهة، أبلغ تصوير. واننا لا نقل اعجاباً بسموّ مشاعر جبران في جوابه المشار اليه، وفرحته بتجاوبها معه. ويتضح لنا، من رسائله اللاحقة، ان ميّاً تراجعت من جديد، وتوقفت عن مراسلته، ولكن جبران استأنف الحوار لشدة حرصه على حبها ومراسلته. وعندما يئس من اقناعها بمجاراته في اعتماد الصراحة، ونزع الارتياب، أخذ يخاطبها باسلوب جديد كله رفق وحنان، كما يخاطب الأب المولع ابنته المدللة. أصبح يسميها: « صغيرتي المباركة » و « صغيرتي

(١) رسائل مي - الدكتور جميل جبر - منشورات مكتبة بيروت ١٩٥١ ص: ٦٥ الى ٦٦ - تاريخ الرسالة ١٩٢٤/١/١٥.

المحبوبة »، فارتاحت ميّ لهذ اللهجة، وتشجعت على مداعبته في الحديث والافضاء اليه بخوالج نفسها وهمومها، على غير عادتها. كانت يومئذ على مشارف الأربعين من العمر، وكان همّها الكبير ان يبقى جبران حبيبها الأوحد لتدوم تلك الشعلة الزرقاء منهلاً للنعيم والنور في حياتها، وموئِداً للأمل والحرارة في قلبها. أضحت مي شديدة القلق على صحة جبران في سنوات عمره الأخيرة كما يبدو جلياً في رسائله اليها، وأخذت تحدثه عن أمور شخصية كقص شعرها مثلاً، وغير ذلك، باسلوبٍ عذب ورشيق. وقد وصف لنا جبران اسلوبها ورسائلها فقال انها (**كالنهر الرحيق الذي يتدفق من الأعالي، ويسير مترنماً في وادي أحلامي، بل كقيثارة أورفوس التي تقرّب البعيد، وتُبعد القريب، وتحوّل بارتعاشاتها السحرية الحجارة إلى شعلات متّقدة، والأغصان اليابسة إلى أجنحة مضطربة**[1]).

ربما يكون أهل مي وبعض المقربين منها قد اطلعوا على صلتها بجبران في حياتها، ولكن المرجح انها كانت حريصة على اخفائها عن الناس جميعاً، وأنها أبقتها سرّاً دفيناً في نفسها حتى اليوم الذي فُجعت فيه بموته عام ١٩٣١. فبعد انقضاء حوالي شهر على وفاته اعترفت ميّ لقرائها بوجود مراسلة طويلة بينها وبين جبران وذلك في مقالة عنوانها: « جبران خليل جبران يصف نفسه في رسائله[2] » ضمنتها فقرات قصيرة من بعض رسائله اليها، وعبّرت عن حزنها العميق عليه مصوّرةً غربتها وغربته في الوجود بعبارات موجعة قالت فيها: (**حسناً فعلت بأن رحلت! فاذا كان لديك كلمة أخرى فخير لك أن تصهرها، وتثقّفها، وتطهرها لتستوفيها في عالم ربما يفضل عالمنا في أمور شتّى...**) وفي ختام تلك القطعة الوجدانية المؤثرة، الفائضة بالحب واللوعة واليأس، أعربت ميّ عن شوقها للرحيل، ولكن القدر لم يكن بها رحيماً اذ

---

(١) من الرسالة المؤرخة في ١١ حزيران ١٩١٩.

(٢) مجلة « الحديث » الحلبية، العدد الخامس من المجلد الخامس - مايس ١٩٣١، ص: ٣٦٣ - ٣٦٦.

فرض عليها ان تعيش بعد جبران عشر سنوات ونيف كانت أسوأ سني حياتها. لقد مات جبران في الخامس عشر من آذار عام ١٩٣١ وصدع موته ميّا جسماً وروحاً فعاشت بعده في غمرة الأحزان، تمزقها الوحشة، ولم يكن يعزيها عن فقده شيء، لا الناس، ولا الرحلات، ولا المطالعة، ولا الكتابة. ولما استبد بها الحزن والاكتئاب أصيبت بانهيار عصبي، تبعه انهيار في صحتها، فاعتزلت الناس، وأصبحت عرضة للوساوس والأوهام، يفتتها الحنين الدائم الى حبيب العمر الذي طوته المنون، وتركتها بعده أمرأةً مفجوعة، بل خيالاً لامرأة هدتها الأحزان، وحطمتها الصدمات. ففي عام ١٩٣٥ بعثت الى قريبها في بيروت الدكتور جوزيف زيادة برسالة مؤثرة وصفت آلامها، وتردي صحتها، وطلبت منه المجيء الى مصر لانقاذها مما كانت تعانيه، معربةً عن رغبتها في العودة الى لبنان. ولا نجد داعياً هنا للتحدث عن المحنة التي ألمت بها في وطنها الأصلي، تلك المحنة الرهيبة التي قادتها ظلماً الى مصح الأمراض العقلية في بيروت (العصفورية) وطعنتها في كرامتها، وعرّضتها الى أشد حالات البؤس. وبعد ثلاثة أعوام من الجحيم قضتها مي متنقلة بين (العصفورية)، ومصح الدكتور ربيز، وبيت متواضع في بيروت استأجره لها الذين هبّوا لانقاذها، ومصيف «الفريكة» الذي استجمت فيه بجوار صديقها الفيلسوف أمين الريحاني عادت الى القاهرة في عام ١٩٣٩ حيث عاشت عامين ونيف مريضةً، يائسةً، وذوت، شيئاً فشيئاً، الى ان ماتت في ١٩ تشرين الأول عام ١٩٤١ بعد أن نقلت الى مستشفى المعادي في ظروف مأساوية. ان ما تجدر الاشارة اليه انها اصطحبت معها رسائل جبران الى لبنان، وكانت تلجأ اليها، على انفراد، كلما شفّها الوجد، وأمضتها الهموم والأحزان. كما أنه وجد بين اوراقها كتاب باللغة الانكليزية يتضمن ابحاثاً في سير بعض أدباء العصر، وصوراً لهم، كتبت بخطها عليه الى جانب صورة جبران العبارة التالية:
(وهذه مصيبتي منذ أعوام!)

وأخيراً لا بد لنا من شرح النهج الذي اتبعناه في تحقيق هذه الرسائل

المخطوطة. لقد واجهتنا مشكلات طفيفة عالجناها بصورة لا تتنافى مع الأمانة العلمية، ولا تحرم القارىء من متعة المطالعة، لذا عمدنا الى تذييل الصفحات بحواشٍ ضمناها شروحاً لأسماء الأعلام، والصحف والأمكنة، وكل ما وجدنا شرحه ضرورياً. ونظراً لأن جبران قد أهمل في بعض رسائله المخطوطة قواعد الصرف والاملاء فقد عمدنا الى تصحيح تلك الأخطاء في الرسائل المحققة دون المساس باسلوبها، اذ كثيراً ما يقع الكتاب في أخطاء من هذا النوع، لا سيما عندما يكتبون رسائل عاطفية بصورة عفوية.

عدد هذه الرسائل ست وثلاثون رسالة كان جبران يذيلها بالتواريخ في أكثر الأحيان غير أنه أهمل تأريخ بعضها كما هو واضح في المخطوطة الكاملة المنشورة في هذا الكتاب، بالاضافة الى برقية أدرجناها مع هذه المجموعة ورسم الشعلة باليد الذي كان آخر ما تلقته ميّ من جبران في ٢٦ آذار ١٩٣١ اي قبل وفاته بعشرين يوماً. ولقد وضعنا التواريخ الصحيحة للرسائل المحققة في مستهل كل واحدة منها بعد أن لجأنا الى المظاريف التي حملتها، وأخذنا تواريخ صدورها من نيويورك، أو ورودها الى القاهرة، من أختام البريد المسجلة عليها.

وأخيراً نودّ أن نقول ان الحب الكبير الذي نشأ بين جبران خليل جبران ومي زيادة حري بأن يخلد، لا لجماله فحسب، بل لأنه أغنى مكتبتنا الحديثة بلون جديد في أدب المراسلة كانت تفتقر اليه قبل العثور على هذه الوثائق التاريخية الرائعة. كما أننا نتقدم بالشكر الى أسرة المرحوم الدكتور جوزيف زيادة التي احتفظت برسائل «الشعلة الزرقاء» عبر السنين الطوال وأتاحت لنا فرصة نشرها بكاملها للمرة الأولى[1]

سلمى الحفار الكزبري - سهيل بديع بشروتي

---

(١) تجدر الإشارة الى ان بعضا من فقرات هذه الرسائل قد نشرت في مجلة «المكشوف اللبنانية» عام ١٩٣٨، ومن ثم في كتاب نشره الدكتور جميل جبر عام ١٩٥١ في بيروت بعنوان: «رسائل جبران».

نيويورك ٢ كانون الثاني ١٩١٤

حضرة الأديبة الفاضلة.

قد فكرت بأمور كثيرة في تلك الشهور الخرساء التي مرت بدون خطاب ولا جواب ولكنه لم يخطر على بالي كونك «شريرة» أما الآن وقد صرحت لي بوجود الشر في روحك فلا يجمل بي سوى تصديقك فأنا أصدق وأثق بكل كلمة تقولينها لي! أنت بالطبع تفتخرين بقولك - أنا شريرة - ويحق لك الافتخار لأن الشر قوة تضارع الخير بعزمها وتأثيرها. ولكن اسمحي لي ان أقول لك مصرحاً بأنك مهما تماديت بالشر فلا تبلغين نصف ما بلغته فأنا شرير كالأشباح الساكنة في كهوف الجحيم بل أنا شرير كالروح السوداء التي تحرس أبواب الجحيم! وأنت بالطبع ستصدقين كلامي هذا!.

غير انني للآن لم أفهم الأسباب الحقيقية التي دعتك إلى استخدام الشر ضدي فهلا تكرمت بافهامي؟ قد اجبت على كل رسالة تكرمت بها علي واسترسلت متعمقاً بمعاني كل لفظة تعطفت بهمسها في أذني فهل هناك أمر آخر كان يجب علي أن أفعله؟ أو لم تبدعي لي من «لا شيء» ذنباً لتبيني لي مقدرتك على الاقتصاص؟ لقد فلحت واحسنت البيان، أما أنا فقد آمنت باقنومك الجديد الكلي المطلق الجامع بين أسياف «كالي» ربة الهند وسهام «ديانا» معبودة الأغريق.

والآن وقد فهم كل منا ما في روح الآخر من الشر والميل إلى الاقتصاص فلنعد الى متابعة الحديث الذي ابتدأنا به منذ عامين. كيف أنت وكيف حالك؟ هل أنت بصحة وعافية (كما يقول سكان لبنان)؟ هل خلعت ذراعاً ثانية في الصيف الماضي أو منعتك والدتك من ركوب الخيل فعدت إلى مصر صحيحة الذراعين؟ أما أنا فصحتي أشبه شيء بحديث السكران وقد صرفت الصيف والخريف متنقلا بين أعالي الجبال وشواطىء البحر ثم عدت إلى نيويورك أصفر الوجه نحيل الجسم لمتابعة الأعمال ومصارعة الأحلام - تلك الأحلام الغريبة التي تصعد بي إلى قمة الجبل ثم تهبط بي إلى أعماق الوادي.

وقد سررت باستحسانك مجلةَ الفنون[1] فهي أفضل ما ظهر من نوعها في العالم العربي، أما صاحبها فهو فتى عذب النفس دقيق الفكر وله كتابات لطيفة وقصائد مبتكرة ينشرها تحت اسم «أليف» ومما يستدعي الاعجاب بهذا الشاب هو أنه لم يترك شيئاً مما كتبه الافرنج ألا وعرفه حق المعرفة. أما صديقنا أمين الريحاني[2] فقد أبتدأ بنشر رواية جديدة طويلة في مجلة الفنون وقد قرأ لي أكثر فصولها فوجدتها جميلة للغاية ولقد أخبرت صاحب الفنون بانك سوف تبعثين إليّ بمقالة ففرح وبات يترقب.

بكل أسف أقول انني لا أحسن الضرب على آلة من آلات الطرب ولكنني أحب الموسيقى محبتي الحياة ولي ولع خاص بدرس قواعدها ومبانيها والتعمق بتاريخ نشأتها وارتقائها، فان ابقتني الأيام سأكتب رسالة طويلة في الدوائر

---

(١) الفنون مجلة عربية اسسها في نيويورك سنة ١٩١٣ أديب وشاعر سوري هو الاستاذ نسيب عريضة (١٨٨٧ - ١٩٤٦). وهو من مؤسسي «الرابطة القلمية» في نيويورك وأحد اعلام النهضة الفكرية في المهجر. من مؤلفاته ديوان «الأرواح الحائرة» وقصة «ديك الجن الحمصي».

(٢) أمين الريحاني (١٨٧٦ - ١٩٤٠) أديب لبناني كبير ولد في الفريكة في شمال لبنان ثم هاجر الى نيويورك. له مؤلفات قيمة باللغتين العربية والانكليزية من أشهرها ملوك العرب و «تاريخ نجد الحديث» و «قلب العراق» و «قلب لبنان» و «نور الاندلس» و «الريحانيات». وقد لقب بـ «فيلسوف الفريكة» وكان من اصدقاء جبران ومي زيادة.

العربية والفارسية وكيفية ظهورها وتدرجها وتناسخها. ولي ميل للموسيقى الغربية يضارع ميلي للأنغام الشرقية فلا يمر أسبوع إلا وأذهب مرة أو مرتين إلى الأوبرا غير أني أفضل من البيان الموسيقي الافرنجي تلك القطع المعروفة بالسنفوني والسوناتا والكنتاتا على الأوبرا والسبب في ذلك خلو الأوبرا من البساطة الفنية التي تناسب اخلاقي وتتمايل مع اميالي. واسمحي لي الآن أن أغبط يدك على عودك وعودك على يدك وأرجوك أن تذكري اسمي مشفوعاً باستحساني كلما ضربت نغم النهوند على الأوتار فهو نغم أحبه ولي رأي فيه يشابه رأي « كارليل[1] في النبي محمد ».

وهلّا تكرمت بذكري أمام هيبة أبي الهول؟ عندما كنت في مصر كنت أذهب مرتين في الأسبوع واصرف الساعات الطوال جالساً على الرمال الذهبية محدقاً بالأهرام وأبي الهول وكنت في ذلك العهد صبياً في الثامنة عشرة ذا نفس ترتعش أمام المظاهر الفنية ارتعاش الأعشاب امام العاصفة، أما أبو الهول فكان يبتسم لي ويملأ قلبي بحزن عذب وندبات مستحبة.

أنا معجب مثلك بالدكتور شمّيل[1] فهو واحد من القليلين الذين انبتهم لبنان ليقوموا بالنهضة الحديثة في الشرق الأدنى وعندي ان الشرقيين يحتاجون إلى امثال الدكتور شميل حاجة ماسة كرد فعل للتأثير الذي أوجد الصوفيون والمتعبدون في القطرين مصر وسوريا.

---

(١) كارلايل Thomas Carlyle (١٧٦٢ - ١٨٠٥) أديب ومؤرخ انكليزي درس بعضاً من العربية في جامعة كمبريدج سنة ١٧٩٥، وكتب عن النبي محمد فصلا ضمنه اعجابه بشخصيته البطولية في مؤلفه « الأبطال، عبادة الأبطال، والبطولة في التاريخ »
« On Heroes Hero-Worship, and the Heroic in History »

(٢) الدكتور شبلي شميل - (١٨٦٠ - ١٩١٧) طبيب لبناني وكاتب من مؤلفاته « فلسفة النشوء والارتقاء » و « شكوى وآمال » ورسالة « المعاطس » وتعليقات وشروح لكتب طبية قديمة تولى نشرها كفصول ابقراط وارجوزة ابن سينا. وكان من اصدقاء مي زيادة والمعجبين بنبوغها، كما كان يجيد اللغة الفرنسية ويكتب بها.

هل قرأت الكتاب الفرنساوي الذي وضعه خير الله افندي خير الله[1]؟ أنا لم أره بعد وقد أخبرني صديق أن في الكتاب فصلاً عنك وفصلاً آخر عني فإذا كان لديك نسختان تكرمي بإرسال نسخة منهما إليّ وأجرك على الله.

ها قد انتصف الليل فليسعد الله مساءك ويبقيك للمخلص.

جبران خليل جبران

(١) خير الله خير الله (١٨٨٢ - ١٩٣٠) كاتب لبناني عاش في باريس وكان مديرا للفرع الشرقي في جريدة؛ « الزمن ». له كتاب بالفرنسية عنوانه: « سورية ».

نيويورك ٢٤ كانون الثاني ١٩١٩

حضرة الأديبة الفاضلة الآنسة ماري زيادة المحترمة.

سلام على روحك الطيبة الجميلة. وبعد فقد استلمت اليوم أعداد المقتطف[١] التي تفضلت بارسالها إليّ فقرأت مقالاتك الواحدة أثر الأخرى وأنا بين السرور العميق والاعجاب الشديد. ولقد وجدت في مقالاتك سرباً من تلك الميول والمنازع التي طالما حامت حول فكرتي وتتبعت أحلامي ولكن هناك مبادىء ونظريات أخرى وددت لو كان بامكاننا البحث فيها شفاها. فلو كنت الساعة في القاهرة لاستعطفتك لتسمحي لي بزيارتك فنتحدث مليا في **« أرواح الأمكنة »** وفي **« العقل والقلب »** وفي بعض مظاهر **« هنري برغسن »**[٢] غير أن القاهرة في مشارق الأرض ونيويورك في مغاربها وليس من سبيل إلى الحديث الذي أوده وأتمناه.

---

(١) المقتطف من أمهات المجلات العربية أسسها فارس نمر وشاهين مكاريوس سنة (١٨٧٦) وأديب وعالم لبناني كبير هو الدكتور يعقوب صروف (١٨٥٢ - ١٩٢٧) واليها يعود الفضل في تقريب مناهل العلوم الغربية الى قراء العربية وفي تطوير الفكر والأسلوب انتقلت الى القاهرة سنة (١٨٨٥) واحتجبت عن الصدور سنة ١٩٥٢.

(٢) هنري برغسن Henri Bergson (١٨٥٩ - ١٩٤١) فيلسوف افرنسي حاز على جائزة نوبل عام ١٩٢٧ وهو صاحب نظرية الروحانية ضد هجمات المذاهب المادية. من مؤلفاته «المادية والذاكرة» و « التطور والأخلاق ».

إن مقالاتك هذه تبين سحر مواهبك وغزارة اطلاعك وملاحة ذوقك في الانتقاء والانتخاب والترتيب، وعلاوة على ذلك فهي تبين بصورة جلية اختباراتك النفسية الخاصة ـ وعندي ان الاختبار او الاقتناع النفسي يفوق كل علم وكل عمل ـ وهذا ما يجعل مباحثك من أفضل ما جاء من نوعها في اللغة العربية.

ولكن لي سؤال أستأذنك بطرحه لديك وهو هذا: ألا يجيء يوم يا ترى تنصرف فيه مواهبك السامية من البحث في مآتي الأيام الى اظهار أسرار نفسك واختباراتها الخاصة ومخبآتها النبيلة؟ أفليس الابتداع أبقى من البحث في المبدعين؟ ألا ترين أن نظم قصيدة أو نثرها أفضل من رسالة في الشعر والشعراء؟ إني كواحد من المعجبين بك أفضل أن أقرأ لك قصيدة في ابتسامة أبي الهول مثلا من أن أقرأ لك رسالة في تاريخ الفنون المصرية وكيفية تدرجها من عهد الى عهد ومن دولة الى دولة لأن بنظمك قصيدة في ابتسامة أبي الهول تهبيني شيئاً نفسياً ذاتياً أما بكتابتك رسالة في تاريخ الفنون المصرية فانك تدلينني على شيء عمومي عقلي. وكلامي هذا لا ينفي كونك تستطيعين اظهار اختباراتك النفسية الذاتية في كتابة تاريخ الفنون المصرية بيد اني أشعر بأن الفن ـ والفن اظهار ما يطوف ويتمايل ويتجوهر في داخل الروح ـ هو احرى واخلق بمواهبك النادرة من البحث ـ والبحث اظهار ما يطوف ويتمايل ويتجوهر في الاجتماع. ليس ما تقدم سوى شكل من الاستعطاف باسم الفن. فأنا أستعطفك لأني أريد أن أستميلك إلى تلك الحقول السحرية حيث سافو[1] وايليزابيت براوننغ[2] وأليس شراينر[3] وغيرهن من اخواتك

---

(١) سافو Sapho شاعرة اغريقية ولدت في مدينة (ليزبوس) في أوائل القرن السادس قبل الميلاد، لها تسع دواوين من الشعر الغنائي والاناشيد لم يصلنا منها سوى بضع قصائد.

(٢) اليزابيت باريت براوننغ Elizabeth Barrett Browning (١٨٠٦ ـ ١٨٦١) شاعرة بريطانية مبدعة تمتاز قصائدها بالعمق والرقة والنزعة الصوفية. وهي زوج الشاعر الانكليزي روبيرت براوننغ Robert=

اللواتي بَنَيْنَ سُلّماً من الذهب والعاج بين الأرض والسماء.

أرجوك أن تثقي باعجابي وأن تتفضلي بقبول احترامي الفائق والله يحفظك للمخلص.

جبران خليل جبران

Browning الذي أحبها من خلال قصائدها قبل أن يتعرف اليها ثم زارها في بيتها فأحبته حباً عارماً جعلها تتغلب على مرض عضال كان قد أقعدها.

(٣) أليس شراينر Alice Schriner كاتبة انكليزية دعت في مؤلفاتها الى تحرير النساء.

نيويورك في ٧ شباط ١٩١٩

عزيزتي الآنسة مي.

لقد اعادت رسالتك إلى نفسي ذكرى ألف ربيع وألف خريف واوقفتني ثانية أمام تلك الأشباح التي كنا نبتدعها ونسيرها موكباً إثر موكب. تلك الأشباح التي ما ثار البركان[١] في أوروبا حتى انزوت محتجبة بالسكوت ـ وما أعمق ذلك السكوت وما أطوله.

هل تعلمين يا صديقتي انني كنت أجد في حديثنا المتقطع التعزية والأنس والطمأنينة، وهل تعلمين بانني كنت أقول لذاتي هناك في مشارق الأرض صبية ليست كالصبايا قد دخلت الهيكل قبل ولادتها ووقفت في قدس الأقداس فعرفت السر العلوي الذي تخفره جبابرة الصباح ثم اتخذت بلادي بلاداً لها وقومي قوماً لها، هل تعلمين بانني كنت أهمس هذه الانشودة في أذن خيالي كلما وردت عليّ رسالة منك؟ لو علمت لما انقطعت عن الكتابة الي ـ وربما علمت فانقطعت وهذا لا يخلو من أصالة الرأي والحكمة.

أما مقالة أبي الهول فالسماء تعلم بانني لم اطلبها منك الا بعد إلحاح مستمر من صاحب مجلة الفنون ـ سامحه الله. فان من طبعي استهجان اقتراح

---

(١) يقصد بذلك الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨).

المواضيع على الأدباء خصوصاً تلك الفئة القليلة التي لا تدون الا ما توحيه الحياة اليها - وأنت من تلك الفئة القليلة - وفوق ذلك فانا أعلم أن الفن يطلب ولا يطلب منه، وان في نفس اقتراح المواضيع شيئاً مانعاً عن الإجادة فيها، فلو كتبت إلي في ذلك الزمن قائلة « **لا ميل لي الآن إلى كتابة مقالة في أبي الهول** » لقلت مترنماً:

« **لتعش مي طويلا فهي ذات مــزاج فني لا غش فيه** » الخلاصة أنني سأسبقك في كتابة مقالة، في ابتسامة أبي الهول! وبعد ذلك سانظم قصيدة في ابتسامة مي ولو كان لدي صورتها مبتسمة لفعلت اليوم، ولكن علي ان أزور مصر لأرى مي وابتسامتها. وماذ عسى ان يقول الكاتب في ابتسامة المرأة؟ أفلم يقل ليونردو دافنشي[1] آخر كلمة في الموضوع عندما انتهى من صورة « لا جوغندا »؟، ولكن، أليس في ابتسامة الصبية اللبنانية سر لا يستطيع ادراكه واعلانه غير اللبناني، أم هي المرأة لبنانية كانت أم ايطالية تبتسم لتخفي أسرار الأبدية وراء ذلك النقاب الرقيق الذي تحوكه الشفاه؟

(والمجنون[2] - وماذا يا ترى أقول لك عن المجنون؟ أنت تقولين ان فيه ما يدل على « **القسوة** » بل وعلى « **الكهوف المظلمة** ». وأنا للآن لم أسمع مثل هذا الإنتقاد مع أنني قرأت الكثير مما نشرته جرائد ومجلات أماركا وانكلترا في هذا الكتاب الصغير. والغريب أن أكثر الأدباء الغربيين قد استحسنوا القطعتين[3]:

« My Mind » و « The Sleep Walkers » واستشهدوا بهما

---

(١) ليوناردو دافنشي Leonardo Da Vinci (١٤٥٢ - ١٥١٩) رسام ايطالي ومثال عظيم، وعبقري من عباقرة عصر النهضة في أوروبا ومن روائعه المشهورة لوحته « لا جوكوندا ».

(٢) المجنون أول مؤلفات جبران باللغة الانكليزية صدر عام ١٩١٨.

(٣) مقالتان لجبران الأولى بعنوان « عقلي » والثانية بعنوان « السائرون في نومهم ».

أو ذكروهما بصورة خاصة. أما أنت يا صديقتي فقد وجدت فيهما القسوة - وماذا ينفع الانسان إذا ربح استحسان العالم وخسر استحسان ميّ؟ وقد يكون ارتياح هؤلاء الغربيين إلى المجنون واخيلته ناتجاً عن مللهم أخيلة نفوسهم وعن ميلهم الطبيعي الى الغريب والغير مألوف خصوصاً إذا كان شرقي المظاهر. أما تلك الأمثال والقصائد المنثورة التي نشرت في الفنون فقد فقد ترجمها عن الأصل الانكليزي أديب محبته لي أوسع قليلا من معرفته بدقائق البيان الانكليزي.

ولقد رسمت بالحبر الأحمر دائرة حول لفظة «اشمئزاز» التي جاءت في كلامك عن المجنون، فعلت ذلك لعلمي بانك اذا وضعت كلمات «The Sleep Walkers» بين شفاه الأمس والغد بدلا من وضعها على لسان أم وابنتها لأبدلت لفظة الإشمئزاز بلفظة أخرى - أليس كذلك؟

وماذا أقول عن كهوف روحي؟ تلك الكهوف التي تخيفك - اني التجيء اليها عندما اتعب من سبل الناس الواسعة وحقولهم المزهرة وغاباتهم المتعرّشة. أني أدخل كهوف روحي عندما لا أجد مكاناً آخر أسند اليه رأسي، ولو كان لبعض من أحبهم الشجاعة لدخول تلك الكهوف لما وجدوا فيها سوى رجل راكع على ركبتيه وهو يصلي.

اما استحسانك الرسوم الثلاثة في «المجنون» فقد سرني ودلني على وجود عين ثالثة بين عينيك، وقد طالما عرفت أن وراء اذنيك آذاناً خفية تسمع تلك الأصوات الدقيقة الشبيهة بالسكوت - تلك الأصوات التي لا تحدثها الشفاه والألسنة بل ما وراء الألسنة والشفاه من الوحدة العذبة، والألم المفرح، والشوق الى ذلك العالم البعيد الغير معروف.

وأنت تسألين ما إذا كنت أريد ان يفهمني أحد بعد قولي: (١)

---

(١) لأن الذين يفهموننا يستعبدون شيئاً فينا. »

لا، لا أريد « For those who understand us enslave something in us » ان يفهمني بشري إذا كان فهمه إياي ضرباً من العبودية المعنوية. وما أكثر الذين يتوهمون أنهم يفهموننا لأنهم وجدوا في بعض مظاهرنا شيئاً شبيها بما اختبروه مرة في حياتهم. وليتهم يكتفون بادعائهم ادراك أسرارنا ـ تلك الأسرار التي نحن ذواتنا لا ندركها ـ ولكنهم يصموننا بعلامات وأرقام ثم يضعوننا على رف من رفوف افكارهم واعتقاداتهم مثلما يفعل الصيدلي بقناني الأدوية والمساحيق! أوليس ذلك الأديب الذي يقول بانك تقلدينني في بعض كتاباتك من هؤلاء البشر الذين يدعون فهمنا ومعرفة خفايانا؟ وهل تستطيعين اقناعه بان الاستقلال هو محجة الأرواح وان اشجار السنديان والصفصاف لا تنمو في ظلال بعضها بعضاً؟

ها قد بلغت هذا الحد من رسالتي ولم أقل كلمة واحدة مما قصدت أن أقوله عندما ابتدأت. ولكن من يا ترى يقدر ان يحول الضباب اللطيف الى تماثيل وأنصاب؟ ولكن الصبية اللبنانية التي تسمع ما وراء الأصوات سترى في الضباب الصور والأشباح.

والسلام على روحك الجميلة ووجدانك النبيل وقلبك الكبير والله يحرسك.

المخلص

جبران خليل جبران

نيويورك ١٠ أيار ١٩١٩

عزيزتي الآنسة مي

إني باعث اليك بأول نسخة بلغت يدي من كتاب « المواكب[١]»، الذي صدر اليوم. وهو كما تجدينه، حلم لم يزل نصفه ضباباً والنصف الآخر يكاد ان يكون جسماً محسوساً، فان استحسنت فيه شيئاً تحوّل هو إلى حقيقة حسنة، وإن لم تستحسني شيئاً عاد إلى الضباب بجملته.

وألف تحية وسلام إلى روحك الطيبة والله يحفظك ويحرسك.

المخلص

جبران خليل جبران

---

(١) المواكب من القصائد القليلة التي اتبع جبران في نظمها الوزن والقافية وقد ذيلها بمجموعة من الرسوم الرمزية معبـراً عن خطراته الفلسفية في كل من الشعر والرسم ونشرت عام ١٩١٩ ونقدتها مي في مجلة « الهلال » المصرية (ج ٢٧، من ٨٧٤ الى ٨٧٩).

نيويورك ١١ حزيران ١٩١٩

عزيزتي الآنسة مي .

رجعت اليوم من سفرة مستطيلة الى البرية فوجدت رسائلك الثلاث والمقال الجميل الذي تفضلت بنشره في جريدة المحروسة[1]. ولقد علمت من خادمي أن هذه الرسائل بل هذه الثروة الجليلة قد وصلت معاً منذ أربعة أيام. الظاهر أن البريد المصري قد توقف عن اصدار الرسائل من القطر مثلما حجز الرسائل الواردة اليه.

ولقد انصرفت عن كل ما وجدته بانتظاري في هذا المكتب لأصرف نهاري مصغياً إلى حديثك الذي يتمايل بين العذوبة والتعنيف ـ أقول التعنيف لأني وجدت في رسالتك الثانية بعض الملاحظات التي لوسمحت لنفسي الفرحة أن تتألم لتألمت منها. ولكن كيف اسمح لنفسي النظر الى شبه سحابة في سماء صافية مرصعة بالنجوم؟ وكيف أحول عيني عن شجرة مزهرة إلى ظل من اغصانها؟ وكيف لا أقبل وخزة صغيرة من يد عطرة مفعمة بالجواهر؟ إن حديثنا الذي انقذناه من سكوت خمسة أعوام لا ولن يتحول الى عتاب او

(١) المحروسة جريدة مصريةأسست سنة ١٨٨١، حرر فيها والد مي الياس زيادة منذ عام ١٩٠٨ ثم انتقلت ملكيتها اليه وأسهمت مي في تحريرها. وبعد وفاة والدها عام ١٩٢٩ أصبحت مي رئيسة التحرير وصاحبة « المحروسة ».

مناظرة، فانا اقبل بكل ما تقولينه لاعتقادي بانه يجمل بنا وسبعة آلاف ميل تفصلنا الا نضيف فتراً واحداً الى هذه المسافة الشاسعة بل ان نحاول تقصيرها بما وضعه الله فينا من الميل الى الجميل والشوق إلى المنبع والعطش الى الخالد. يكفينا يا صديقتي ما في هذه الأيام وهذه الليالي من الأوجاع والتشويش والمتاعب والمصاعب. وعندي ان فكرة تستطيع الوقوف امام المجرد المطلق لا تزعجها كلمة جاءت في كتاب أو ملاحظة أتت في رسالة. إذا فلنضع خلافاتنا، وأكثرها لفظية - في صندوق من ذهب ولنرمِ بها إلى بحر من الابتسامات.

ما أجمل رسائلك يا مي وما أشهاها، فهي كنهر من الرحيق يتدفق من الأعالي ويسير مترنماً في وادي أحلامي، بل هي كقيثار اورفيوس[1] تقرّب البعيد وتبعد القريب وتحول بارتعاشاتها السحرية الحجارة الى شعلات متقدة والاغصان اليابسة الى أجنحة مضطربة. إن يوماً يجيئني منك برسالة واحدة لهو من الأيام بمقام القمة من الجبل فما عسى أن أقول في يوم يجيئني بثلاث رسائل؟ ذلك يوم اتنحى فيه عن سبل الزمن لأصرفه متجولا في إرم ذات العماد[2].

وبما أجيب على سؤالاتك؟ وكيف استطيع متابعة الحديث وفي النفس ما لا يسيل مع الحبر؟ ولكن لا بد من متابعة الحديث. فما بقي صامتاً ليس بالغير مفهوم لديك.

---

(١) أورفيوس Orpheus شاعر وموسيقي تحدثت عنه أساطير قدماء اليونان، سحر بأنغامه وحش الغاب وآلهة الجحيم.

(٢) « إرم ذات العماد » جاء ذكرها في « سورة الفجر » في القرآن الكريم وهي البلد التي سكنتها قبيلة عاد، ويقال انها بنيت على عمد وكانت آية في الجمال. وقد اتخذ جبران هذا الاسم عنواناً لمسرحية صوفية نشرت عام ١٩٢١.

تقولين في رسالتك الأولى « **لو كنت انا في نيويورك لكنت زرت مكتبك الفني في هذه الأيام** » أفلم تزوري مكتبي قط؟ أليس وراء أثواب الذكرى الظاهرة جسد خفيّ للذكرى؟ انما مكتبي هيكلي وصديقي ومتحفي وجنتي وجحيمي. هو غاب تنادي فيه الحياة الحياة وهو صحراء خالية اقف في وسطها فلا أرى سوى بحر من رمال وبحر من أثير. ان مكتبي يا صديقتي هو منزل بدون جدران وبدون سقف.

ولكن في مكتبي هذا أشياء كثيرة أحبها واحافظ عليها. انا مولع بالآثار الفنية القديمة وفي زوايا هذا المكتب مجموعة صغيرة من طرائف الأجيال وبعض نفائسها كتماثيل والواح مصرية ويونانية ورومانية وزجاج فينيقي وخزف فارسي وكتب قديمة العهد ورسوم ايطالية وافرنسية وآلات موسيقية تتكلم وهي صامتة. ولا بد من الحصول يوما ما على تمثال كلداني من الحجر الأسود. اني أميل بكليتي الى كل شيء كلداني فاساطير هذا الشعب وشعره وصلواته وهندسته بل واصغر اثر ابقاه الدهر من فنونه وصنائعه ينبه في داخلي تذكارات غامضة بعيدة ويعود بي الى الماضي الغابر ويجعلني ارى الحاضر من نافذة المستقبل. احب الآثار القديمة واشغف بها لأنها من أثمار الفكرة البشرية السائرة بألف قدم من الظلام نحو النور ـ تلك الفكرة الخالدة التي تغوص بالفن الى اعماق البحار وتصعد به الى المجرة.

أما قولك « **ما أسعدك أنت القانع بفنك** » فقد جعلني افتكر طويلا، لا يا مي لست بقانع ولا انا بسعيد. في نفسي شيء لا يعرف القناعة ولكنه ليس كالطمع، ولا يدري ما السعادة غير انه لا يشابه التعاسة. في أعماقي خفقان دائم وألم مستمر ولكنني لا أريد ابدال هذا ولا تغيير ذاك ـ ومن كان هذا شأنه فهو لا يعرف السعادة ولا يدري ما هي القناعة ولكنه لا يشكو لأن في الشكوى ضربا من الراحة وشكلا من التفوق.

وهل أنت سعيدة وقانعة بمواهبك العظيمة؟ اخبريني يا مي هل أنت قانعة

وسعيدة؟ اكاد اسمعك هامسة: « **لا لست بقانعة ولا أنا بسعيدة** » ان القناعة هي الاكتفاء والاكتفاء محدود وانت غير محدودة. اما السعادة فهي ان يملأ المرء نفسه من خمرة الحياة ولكن من كان كأسه سبعة آلاف فرسخ بالطول وسبعة آلاف فرسخ بالعرض لا ولن يعرف السعادة حتى تنسكب الحياة بكاملها في كأسه. أفليس كأسك يا مي سبعة آلاف فرسخ وفرسخ؟

وماذا أقول « عن جوي المعنوي؟ » لقد كانت حياتي منذ عام أو عامين لا تخلو من الهدوء والسلامة اما اليوم فقد تبدل الهدوء بالضجيج والسلام بالنزاع. ان البشر يلتهمون ايامي ولياليَّ ويغمرون احلامي بمنازعهم ومراميهم فكم مرة هربت من هذه المدينة الهائمة الى مكان قصي لأتخلص من الناس ومن اشباح نفسي ايضا. انما الشعب الأماركي جبار لا يكل ولا يمل ولا يتعب ولا ينام ولا يحلم، فاذا بغض هذا الشعب رجلا قتله بالاهمال واذ احبه قتله بالانعطاف فمن شاء ان يحيا في نيويورك عليه ان يكون سيفاً سنيناً ولكن في غمد من العسل: السيف لروع الراغبين في قتل الوقت والعسل لارضاء الجائعين؟

وسوف يجيء يوم أهرب فيه الى الشرق. ان شوقي الى وطني يكاد يذيبني ولولا هذا القفص الذي حبكت قضبانه بيدي - لاعتليت متن اول سفينة سائرة شرقاً. ولكن اي رجل يستطيع أن يترك بناءً صرف عمره بنحت حجارته وصفها؟ حتى وإن كان ذلك البناء سجناً فهو لا يقدر او لا يريد ان يتخلص منه في يوم واحد.

سامحيني أيتها الصديقة العزيزة فقد ازعجتك بالكلام عن نفسي وبشكواي من امور ادعى الى الجهاد منها الى التذمر.

ان استحسانك « المواكب » قد جعلها عزيزة لدي. اما قولك بانك ستستظهرين ابياتها فمنة احني امامها رأسي، غير انني اشعر ان حافظتك خليقة

بقصائد اسمى وأبلغ وانبل من كل ما جاء في المواكب، بل ومن كل ما كتبته واكتبه. وأمّا قولك في رسوم الكتاب «**أنتم أهل الفن تبرزون هذه البدائع بقوى اثيرية احتفظتكم عليها ملوك الجوزاء فنأتي نحن الجمهور وليس لدينا ما نتفهمها به سوى العجز والدعوى فانتم بغباوتنا اشقياء مظلومون ونحن بها أشقياء خاسرون**» فكلام لا اقبله بل اني استميحك بالتمرد عليه (وما اكثر تمردي) - أنت يا مي **منا وفينا**. بل وانت بين بنات الفن وابنائه كالوردة بين اوراقها. ان ما جاء في مقالتك التي نشرت في «المحروسة» عن رسوم المجنون لأكبر دليل على شعور فني عميق وفكرة خاصة دقيقة وبصيرة نقادة ترى ما لا يراه غير القليل من الناس. ولست بمبالغ اذا قلت بانك اول صبية شرقية مشت في غابة «الأخوات التسع[1]» بقدم ثابتة ورأس مرفوع وملامح منفرجة كأنها في بيت ابيها. ألا فاخبريني كيف عرفت كل ما تعرفين وفي اي عالم جمعت خزائن نفسك وفي اي عصر عاشت روحك قبل مجيئها الى لبنان؟ ان في النبوغ سراً اعمق من سرّ الحياة.

وأنت تريدين ان تسمعي ما يقوله الغربيون عني، فألف شكر لك على هذه الغيرة وهذا الاهتمام القومي. لقد قالوا الشيء الكثير وكانوا مبالغين في اقوالهم متطرفين في ظنونهم متوهمين وجود الجمل في وكر الأرنب. ويعلم الله يا صديقتي بانني ما قرأت شيئاً حسناً عني الا ونحت في قلبي. ان الاستحسان نوع من المسؤولية يضعها الناس على عواتقنا فتجعلنا نشعر بضعفنا. ولكن لا بد من المسير حتى ولو قوّص الحمل الثقيل ظهورنا، ولا بد من استنباط القوة من الضعف. انا باعث اليك في غلاف آخر بشيء من اقوال الجرائد والمجلات وستعلمين منها ان الغربيين قد ملوا اشباح ارواحهم وضجروا من ذواتهم فاصبحوا يتسلون بالغريب الغير مألوف خصوصاً اذا كان شرقياً.

---

(١) اشارة إلى الآلهات التسع (Muses) في الميثولوجيا الاغريقية المشرفات على الآداب والعلوم والفنون وقد عُرفن بأسماء عدة في عصور التاريخ القديم.

هكذا كان الشعب الأثيني بعد انقضاء عصره الذهبي. لقد بعثت منذ شهر او اكثر بمجموعة من اقوال الصحف في المجنون الى اميل افندي زيدان[1] ـ وهو بالطبع من اصدقائك.

احمد الله وأشكره على انقضاء الأزمة عندكم. ولقد كنت اقرأ اخبار تلك المظاهرات فأتخيلك هائبة فأهاب، مضطربة فأضطرب. ولكنني كنت اردد في الحالين قول شكسبير[2]:

Do not fear our person.

There's such divinity doth hedge a king
That treason can but peep to what it would
Acts little of his will.

وأنت يا مي من المحروسين وفي نفسك ملكٌ يحميه الله من كل مكروه.

وتسألين ما اذا كان لكم من صديق في ربوعنا؟

أي والحياة وما في الحياة من حلاوة جارحة ومرارة مقدسة ان لكم في ربوعنا صديقاً إرادته تدافع عنكم ونفسه ترغب في الخير لكم وابعاد السوء عنكم وتحميكم من كل اذى. وقد يكون الصديق الغائب أدنى وأقرب من الصديق الحاضر. أفليس الجبل اكثر هيبة واشد وضوحاً وظهوراً لسائر في السهل منه لساكنيه؟

ها قد غمر المساء هذا المكتب بوشاحه فلم أعد أرى ما تخطه يدي. وألف تحية لك والف سلام عليك والله يحفظك ويحرسك دائماً.

صديقك المخلص

جبران خليل جبران

---

(١) اميل زيدان تولى رئاسة تحرير مجلة «الهلال» سنة ١٩١٤ التي اسسها والده الأديب العلامة جرجي زيدان.

(٢) هذا المقتطف من مسرحية «هملت» الفصل (٤) المشهد (٥) وترجمته ما يلي: «لا تخافي منا فالملك تحيط به هالة من القداسة وليس في مقدور الخيانة ان تبلغ ما ترمي اليه أو أن تحدّ من عزيمته».

نيويورك ١١ حزيران ١٩١٩

وفي ١١ حزيران ١٩١٩ أيضاً أرسل جبران الى ميّ مغلفاً يتضمن قصاصات صحف يتحدث فيها كتاب اميركيون عن « المجنون ». وقد كتب جبران بخطه الى جانب احدى القصاصات يقول: لقد ترجم المجنون الى الفرنسية والايطالية والروسية، وبعضه الى لغات أخرى. ستظهر الترجمة الفرنساوية عما قريب، وسأبعث اليك بنسخة.

THE MADMAN. By Kahlil Gibran. Knopf;
$1.25.

It is not strange that Rodin should have hoped much of this Arabian poet. For in those parables and poems which Gibran has given us in English he curiously seems to express what Rodin did with marble and clay. Both sculptor and poet show an imagination which goes to the mountains and the elements for strength, a desire to give human things a universal quality, a mellow irony, and a love of truth which is not afraid of platitudes. Rodin compared Gibran to William Blake. But the parables collected in The Madman are more reminiscent of Zarathustra's maskings and unmaskings, of the long rising rhythms of Tagore. The English language never seems a fit medium for work of this nature. It is too angular, too resisting to hold the meanings which Oriental literature crowds as thickly and dazzlingly as jewels on an encrusted sword-hilt. It would be interesting at least to see what a French translator would make of these poems:

« For what is there can quench a madman's thirst but his own blood? I was dumb - and I asked wounds of you for mouths. I was imprisoned in your days and nights - and I sought a door into larger days and nights.

And now I go - as others already crucified have gone. And think not we are weary of crucifixion. For we must be crucified by larger and yet larger men, between greater earths and greater heavens ».

نيويورك ٢٥ تموز ١٩١٩

عزيزتي الآنسة مي

منذ كتبت اليك حتى الآن وأنتِ في خاطري. ولقد صرفت الساعات الطوال مفكراً بكِ مخاطباً إياكِ مستجوباً خفاياك مستقصياً اسراركِ. والعجيب انني شعرت مرات عديدة بوجود ذاتك الأثيرية في هذا المكتب ترقب حركاتي وتكلمني وتحاورني وتبدي رأيها في مآتيَّ وأعمالي.

أنت بالطبع تستغربين هذا الكلام، وأنا أستغرب حاجتي وإضطراري إلى كتابته إليك. وحبذا لو كان بامكاني معرفة ذلك السرّ الخفي الكائن وراء هذا الاضطرار وهذه الحاجة الماسّة.

قد قلت لي مرةً «ألا ان بين العقول مساجلة وبين الأفكار تبادلاً قد لا يتناوله الإدراك الحسي ولكن من ذا الذي يستطيع نفيه بتاتاً من بين أبناء الوطن الواحد؟».

ان في هذه الفقرة الجميلة حقيقة أولية كنت فيما مضى أعرفها بالقياس العقلي، اما الآن فاني اعرفها بالاختبار النفسي. ففي الآونة الأخيرة قد تحقق لي وجود رابطة معنوية دقيقة قوية غريبة تختلف بطبيعتها ومزاياها وتأثيرها عن كل رابطة أخرى، فهي اشد واصلب وأبقى بما لا يقاس من الروابط الدموية والجنينية حتى والاخلاقية. وليس بين خيوط هذه الرابطة خيط واحد من غزل

الأيام والليالي التي تمر بين المهد واللحد. وليس بين خيوطها خيط غزلته مقاصد الماضي او رغائب الحاضر أو أماني المستقبل، فقد تكون موجودة بين اثنين لم يجمعهما الماضي ولا يجمعهما الحاضر - وقد لا يجمعهما المستقبل.

وفي هذه الرابطة يا مي، في هذه العاطفة النفسية، في هذا التفاهم الخفي، احلامٌ أغرب وأعجب من كل ما يتمايل في القلب البشري - احلام طيّ احلام طيّ أحلام.

وفي هذا التفاهم يا « مي » أغنية عميقة هادئة نسمعها في سكينة الليل فتنتقل بنا الى ما وراء الليل، الى ما وراء النهار، الى ما وراء الزمن، الى ما وراء الأبدية.

وفي هذه العاطفة يا « مي » غصات أليمة لا تزول ولكنها عزيزة لدينا ولو استطعنا لما أبدلناها بكل ما نعرفه ونتخيله من المذات والأمجاد.

لقد حاولت في ما تقدم ابلاغك ما لا ولن يبلغك إياه إلا ما يشابهه في نفسك. فإن كنت قد أبنت سراً معروفاً لديك كنتُ من أولئك الذين قد حبتهم الحياة وأوقفتهم امام العرش الأبيض وإن كنتُ قد أبنت أمراً خاصاً بي وحدي فلك ان تطعمي النار هذه الرسالة.

استعطفك يا صديقتي ان تكتبي اليَّ، واستعطفك ان تكتبي اليّ بالروح المطلقة المجردة المجنحة التي تعلو فوق سبل البشر. أنت وأنا نعلم الشيء الكثير عن البشر، وعن تلك الميول التي تقربهم الى بعضهم البعض، وتلك العوامل التي تبعد بعضهم عن البعض. فهلا تنحّينا، ولو ساعةً واحدة، عن تلك السبل المطروقة ووقفنا محدّقين، ولو مرة واحدة، بما وراء الليل، بما وراء النهار، بما وراء الزمن، بما وراء الأبدية؟

والله يحفظك يا « مي » ويحرسك دائماً.

صديقك المخلص

جبران خليل جبران

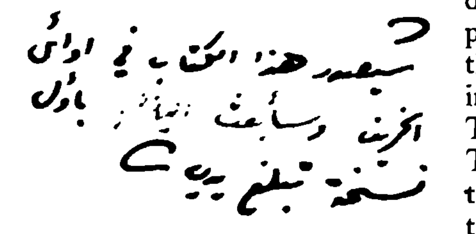
نيويورك ٢٦ تموز ١٩١٩

وفي ١٩١٩/٧/٢٦ تسلمت ميّ زيادة مغلفاً من جبران تضمن قصاصة الصحيفة المصورة لاحقاً التي تحمل صورته ومقطعاً من دراسة الناقدة الأديبة « أليس رافائيل Alice Raphael » عن كتابه « عشرون رسماً »وكلمة بخطه الى مي.

TWENTY
DRAWINGS

By
KAHLIL GIBRAN
Author of "The Madman"
With an Introductory Essay by
ALICE RAPHAEL

Quarto, half cloth, French board sides, $3.00 *net*.





KAHLIL GIBRAN'S poetry is known not only to the millions who speak Arabic, but since the publication of *The Madman,* his first work in English, to Europe and America as well. His art has much of the quality of his poetry. Auguste Rodin, his friend, said of him: "I know of no one else in whom drawing and poetry are so linked together as to make him a new Blake."

These pictures represent the human form in attitudes expressing the eternal verities. There is the "Erdgeist"—the spirit of creation; the Transfiguration, expressing the suffering of mankind; there are delightful, delicate pictures of the Centaurs—who but Gibran could portray a *delicate* Centaur?—in their legendary battles, expressing the struggle of man against his brute nature. Of the twenty drawings one is in full color, the rest in wash with very faint pencil lining. The introductory appreciation is informing and complete.

The whole is a representative collection of the best work of one of the most remarkable figures of the day—a man who has brought the mysticism of the Near East to America and has chosen to throw in his lot with the artists of the occident in an endeavor to fuse new bonds of interest between the old world and the new.

نيويورك ٩ تشرين الثاني ١٩١٩

عزيزتي الآنسة « مي »

أنتِ حاقدة علي، ناقمة عليّ، ولك الحق، ومعك الحق، وما علي سوى الامتثال فهلا نسيت إثماً اقترفته وانا بعيد عن عالم المقاييس والموازين؟ هلاّ وضعتِ في « صندوق الذهب » ما لا يستحق الحفظ في الصندوق الأثيري؟

ان ما يعرفه الحاضر يجهله الغائب وليس من العدالة ان نحسب جهل الغائب جريمة فالجرائم لا تكون الا في موضع الادراك والمعرفة، وانا لا أريد ان اسكب سهواً قليلا من الرصاص المذوب او الماء الغالي على اصابع العارفين المدركين لعلمي ان الجريمة نفسها عقاب المجرمين، وان مصائب اكثر الناس في ما أسند اليهم من الأعمال.

لقد استأنست بذلك العنصر الشفاف الذي تتلاشى امامه المسافة والحدود والحواجز، والنفس المستوحشة لا تستأنس الا بذلك العنصر ولا تستصرخ سواه ولا تستنجد غيره. وأنتِ ـ أنتِ التي تعيشين كثيراً في عالم المعنى تعلمين ان العنصر الشفاف فينا يتنحى عن جميع اعمالنا ويبتعد حتى وعن أجمل ميولنا البيانية وأنبل رغائبنا الفنية، فهو وإن جاور الشاعرية فينا لا ينظم ذاته نشيداً غنائياً، ولا يضع خفاياه في الخطوط والألوان. كل بشري يستطيع التكلف بمنازعه واللعب بمطامعه والمتاجرة بافكاره ولكن ليس بين البشر من يستطيع

التكلف بوحشته او اللعب بألمه او المتاجرة بجوعه وعطشه. ليس بين الناس من يقدر ان يحول احلامه من صورة الى صورة، او ينقل اسرار نفسه من مكان الى مكان. وهل بامكان الضعيف والصغير فينا ان يؤثر على القوي والعظيم فينا؟ هل بامكان الذات المقتبسة وهي من الأرض ان تحور وتغير الذات الوضعية وهي من السماء؟ ان تلك الشعلة الزرقاء تنير ولا تتغير، وتحول ولا تتحول، وتأمر ولا تأتمر. وهل تظنين حقيقةً، وانت ابعد الناس فكراً، ان «التهكم الدقيق» ينبت في حقل يفلحه الألم وتزرعه الوحشة ويحصده الجوع والعطش؟ هل تظنين ان «النكتة الفلسفية» تسير بجانب الميل الى الحقيقة والرغبة في المجرد والمطلق؟ لا يا صديقتي، انت أرفع من الشك والارتياب. الشك يلازم الخائفين السلبيين، والارتياب يلاحق من ليس لهم الثقة بنفوسهم، اما أنتِ فقوية إيجابية ولك الثقة التامة بنفسكِ فهلّا كنتِ مؤمنةً بكل ما تضعه الأيام في راحتيكِ؟ هلّا حولت عينيكِ عن المظاهر الجميلة الى الحقيقة الجميلة؟

قد صرفت شهور الصيف في منزل منفرد منتصب كالحلم بين البحر والغاب فكنت كلما أضعت نفسي في الغاب أذهب الى البحر فأجدها ، وكلما فقدتها بين الأمواج أعود الى ظل الأشجار فألتقي بها . إن غابات هذه البلاد تختلف عن غابات الأرض كافةً ، فهي غضّةٌ كثيفة متعرشة تعود بالذكرى الى الأزمنة الغابرة ، الى البدء إذ كان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله ! أما بحرنا فبحركم وذلك الصوت المجنّح الذي تسمعونه على شواطىء مصر نسمعه نحن على هذه الشواطىء ، وذلك القرار الرهاوي الذي يملأ صدوركم بهيبة الحياة وهولها يملأ صدورنا بهول الحياة وهيبتها . لقد أصغيت الى نغمة البحر في مشارق الأرض ومغاربها فكانت ولم تزل هي هي الأغنية الأزلية الأبدية التي تعلو وتهبط بالروح فتكسبها تارة الحزن وطوراً الطمأنينة . لقد أصغيت الى تلك النغمة حتى وعلى رمال الاسكندرية ـ نعم على رمال

الاسكندرية ـ وكان ذلك في صيف ١٩٠٣ فسمعت اذ ذاك حديث الدهور من بحر المدنية القديمة مثلما سمعته بالأمس من بحر المدنية الحديثة ، ذلك الحديث الذي سمعته للمرة الأولى وأنا في الثامنة فاحترت بأمري وأُلبست عليَّ حياتي فأخذت أحارب بسؤالاتي الكثيرة صبر المرحومة أمي وجلدها ، ذلك الحديث الذي أسمعه اليوم فأطرح السؤالات ذاتها ولكن على الأم الكليّة فتجيبني بغير الكلام ، وتُفهمني أموراً كلما حاولت إظهارها للآخرين تحولت الألفاظ في فمي الى سكوت عميق . أنا اليوم ، وقد صرت في الثمانين مثلما كنت وأنا في الثامنة ، أجلس على شط البحر وأنظر الى أبعد نقطة من الأفق الأزرق وأسأل ألف سؤال وسؤال : « تُرى هل لنا من **مجيب** في ربوعكم ؟ » ترى هل تنفتح الأبواب الدهرية ولو دقيقة واحدة لنرى ما وراءها من الأسرار والخفايا ؟ أليس بإمكانكم ان تقولوا لنا كلمة واحدة عن « **تلك الأنظمة السرية النافذة، حولنا في الحياة قبل أن يضع الموت نقابه الأبيض على وجوهنا ؟** » وأنت تسألين ما إذا كنتُ لا « **أستطيب الفائدة في التفكهة بلا إجهاد** » إني أستطيب **الفائدة** ، **أستطيبها الى درجة قصوى ولكن بعد أن أترجم لفظها الى لغتي الخاصة ! !** **أما الإِجهاد** فسلّم نصعد عليه لنبلغ العلّية . أنا بالطبع أفضل الصعود الى علّيتي طائراً ولكن الحياة لم تعلّم جانحيّ الرفرفة والطيران فماذا أفعل ؟ وأنا أفضل الحقيقة الخفية على الحقيقة الظاهرة ، وأفضل الحاسة الصامتة اكتفاء واقتناعاً على الحاسة التي تحتاج الى التفسير والتعليل . غير أنني وجدت أن السكوت العلوي يبتدىء دائماً بكلمة علوية .

إني أستطيب الفائدة ، بل وأستطيب كل شيء في الحياة إلا الحيرة ، فإذا جاءت الفائدة وعلى منكبيها غمر من الحيرة أغمضتُ عينيَّ وقلتُ في سري « هذا صليب آخر عليَّ أن أحمله مع المئة صليب التي أحملها » وليست الحيرة بذاتها من الأمور المكروهة ولكنني قد رافقتها حتى مللتها ـ قد أكلتها خبزاً ، وشربتها ماءً ، وتوسّدتها فراشاً ، ولبستها رداءً حتى صرت أتبرّم من لفظ اسمها ، وأهرب من ظلّ ظلها .

أظن ان مقالتك في « المواكب » هي الأولى من نوعها باللغة العربية . هي أول بحث في ما يرمي اليه الكاتب بوضع كتاب . حبذا لو كان بإمكان أدباء مصر وسوريا ان يتعلموا منكِ استجواب أرواح الكتب دون أجسادها ، واستفسار ميول الشعراء النفسية قبل استقصاء مظاهر الشعر الخارجية . يجب عليَّ أن لا أحاول إظهار امتناني الشخصي على تلك المقالة النفيسة لأنني أعلم أنها كُتبت وأنت منصرفة عن كل شيء شخصي . وإذا ما حاولت إظهار امتناني القومي بصورة عمومية أوجب عليَّ ذلك كتابة مقالة في تلك المقالة وهذا أمرٌ يحسبه الشرقيون في الوقت الحاضر من الأمور التي لا تجاور الذوق السليم ! ولكن سيجيء يوم أقول فيه كلمتي في « ميّ » ومواهبها ، وستكون كلمتي هائلة ! وستكون طويلة عريضة ! وستكون صادقة لأنها ستكون جميلة .

إن الكتاب الذي سيصدر في هذا الخريف هو كتاب رسوم خالٍ من « ضجيج التمرّد والعصيان » . ولولا إضراب العمال في المطابع لظهر منذ ثلاثة أسابيع . وفي السنة القادمة سيصدر كتابان الأول « المستوحد » وربما دعوته باسم آخر ! وهو مؤلف من قصائد وأمثال ، والثاني كتاب رسوم رمزية باسم « نحو الله Towards God » وبهذا الأخير أنتهي من عهد وأبتدىء بعهد آخر . وأما « النبي » فكتاب فكرت به منذ الف سنة ولكنني لم أكتب فصلاً من فصوله حتى أواخر السنة الغابرة . وماذا عسى أقول لكِ عن هذا النبي ؟ هو ولادتي الثانية ومعموديتي الأولى . هو الفكرة الوحيدة التي تجعلني حريّاً بالوقوف أمام وجه الشمس . ولقد وضعني هذا النبي قبل أن أحاول وضعه ، وألفني قبل أن أفكر بتأليفه ، وسيّرني صامتاً وراءه سبعة آلاف فرسخ قبل أن يقف ليملي عليّ ميوله ومنازعه .

أرجوك ان تسألي رفيقي ومعاوني العنصر الشفاف عن هذا النبي وهو يقص عليك حكايته . إسألي العنصر الشفاف ، إسأليه في سكينة الليل عندما تنعتق النفس من قيودها ، وتتملص من أثوابها ، وهو يبوح لكِ بأسرار هذا

النبي ، وبخفايا من تقدمه من الأنبياء أجمعين .

أنا أعتقد يا صديقتي ان في العنصر الشفاف من العزم ما لو وضعنا ذرّة منه تحت جبل لأنتقل من مكان الى مكان آخر ، واعتقد ، بل وأعلم ، اننا نستطيع ان نمدّ ذلك العنصر سلكاً بين بلاد وبلاد فنعلم بواسطته كل ما نريد ان نعلمه ونحصل على كل ما نشوق اليه ونبتغيه .

ولديَّ أمور كثيرة أريد أن أقولها-عن العنصر الشفاف وغيره من العناصر ولكن عليَّ أن أبقى صامتاً عنها . وسوف أبقى صامتاً حتى يضمحل الضباب ، وتنفتح الأبواب الدهرية ، ويقول لي ملاك الرب : « تكلمْ ، فقد ذهب زمن الصمت ، وسر فقد طال وقوفك في ظلال الحيرة » .

أي متى يا ترى تنفتح الأبواب الدهرية ؟ هل تعلمين ؟ هل تعلمين أي متى تنفتح الأبواب الدهرية ويضمحل الضباب ؟

والله يحفظكِ يا « ميّ » ويحرسكِ دائماً .

المخلص

جبران خليل جبران

نيويورك ١٥ تشرين الثاني ١٩١٩

وفي ١٥ تشرين الثاني ١٩١٩ تلقت مي زيادة رسالة[١] يحمل مغلفها التاريخ الآنف الذكر كانت عبارة عن بطاقة دعوة لمعرض فنّي كبير أقيم في نيويورك لفنانين أجانب وأميركان . وقد كتب جبران على تلك البطاقة إلى ميّ العبارة التالية :

(هذه دعوة الى وليمة فنية فهلّا تكرّمتِ وشرّفتينا ! !)

---

(١) وجدنا من المناسب تصوير البطاقة ونشرها مع الرسائل لأهميتها التاريخية ولصلتها بمضمون المراسلة .

هذه دعوة الى وليمة فنية فهلا تفضلت وشرفتينا !!

MESSRS. M. KNOEDLER & CO.

ANNOUNCE A SMALL EXHIBITION OF

FOREIGN AND AMERICAN PAINTINGS

AT THEIR GALLERIES

556-558 FIFTH AVENUE

NEAR FORTY-SIXTH ST.

NOVEMBER 27TH TO DECEMBER 16TH

Artists represented

Besnard, Bonnard, Bellows, Brush, Carriere, Cezanne, Cottet, Cadell, Calder, Daumier, Dagnan, Domingo, Gibran, Glackens, Henri, Kelly, Kronberg, La Touche, Miller, Orpen, Pissaro, Perelman, Sargent, Stevens, Sterner, Steer, Thompson, Vasquez and Weir

نيويورك ـــــــ ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩

وبعد أسبوعين ، أي بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩ استناداً الى ختم البريد في مصر المسجّل على المغلف تلقت ميّ رسالة أخرى تتضمن دعوة من نادي « ماكدويل » في نيويورك . كما هو واضح في الصورة اللاحقة ، لحضور أمسية فنية أدبية في ٢ كانون الأول ١٩١٩ يقرأ فيها جبران بعضاً من حكاياته وأمثاله ، وينشد فيها « ويتّر باينرز » بعضاً من أناشيده ، وقد كتب جبران على هامش البطاقة بالانكليزية ما يلي :

(1) Would that you were here to lend wings to my voice and turn my mutterings into songs. Yet I shall read knowing that among the « strangers » an invisible « friend » is listening and smiling sweetly and tenderly.

---

(١) « حبذا لو كنت هنا لتعيري أجنحة الى صوتي وتحيلي همهماتي الى تراتيل ومع ذلك فسوف اقرأ وانا واثق ان لي بين « الغرباء » صديقا لا يُرى يسمعني ويبتسم لي بعذوبة وحنان » .

THE MACDOWELL CLUB OF NEW YORK CIT

108 WEST 55TH STREET

A Club of Allied Arts

BULLETIN, NOVEMBER AND DECEMBER, 1919

The Purposes of The MacDowell Club

1. To discuss and demonstrate the principles of the arts of music, literature, the drama, painting, sculpture, and architecture, and to aid in the extension of knowledge of works especially fitted to exemplify the finer purposes of these arts, including works deserving wider recognition and to promote a sympathetic understanding of the correlation of these arts, and to contribute to the broadening of their influence, thus carrying forward the life purpose of Edward MacDowell.

2. To maintain a home for the Club in furtherance of its purposes.

Tuesday Evening, December Second

at half past eight o'clock

The Committee on Literature announces

Readings

OF

Kahlil Gibran's

Parables

AND OF

Witter Bynner's

Canticles

BY THE AUTHORS

Free to members and their guests

Wonders that you were here to lend wings to my voice and time my mutterings into songs. Gibran shall remain knowing that among the "strangers" is an invisible "friend" listening and smiling cheerfully and tenderly.

نيويورك ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٠

عزيزتي الآنسة « ميّ »

تريدين ان تعلمي « بالضبط » معنى ندامتي وما وراء طلبي المغفرة منكِ عن « الأسرار النفسية » . وإليك بالضبط البسيط ما كان وسيكون وراء تلك الندامة وتلك المعاني وتلك الأسرار وتلك النفسيات .

لم أندم على كتابة تلك الرسالة المعروفة لديكِ « بالنشيد الغنائي » ـ ولن أندم .

لم أندم على أصغر حرف فيها لا ، وعلى أكبر نقطة فيها ـ ولن أندم .

لم أكن في ضلال لذلك لم أرَ داعياً للاهتداء .

وكيف يا تُرى أندم على أمر موجود الآن في نفسي مثلما كان موجوداً إذ ذاك ؟

وأنا لست ممن يندمون على وضع ما في نفوسهم بين شفاههم .

ولست ممن ينفون في يقظتهم ما يثبتونه في أحلامهم ، لأن أحلامي هي يقظتي ، ويقظتي هي أحلامي ، لأن حياتي لا تُقسم إلى خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الوراء .

أما الإثم الذي اقترفته ـ أو توهمت بأنني اقترفته وأنا بعيد عن عالم الموازين

والكميّة ـ فهو هذا : بعد أن قرأت كلامك عن ذلك اللبناني الذي زارك قبل مغادرتك القاهرة الى رمال الاسكندرية ـ أعني ذلك الرجل الذي « **بكل أسف لم تسكبي سهواً بعض قطرات من الماء الغالي على يده** » معاقبةً له على « أمر غير محمود » ـ بعد ان قرأت كلامك هذا انتبهت لشيء كان من الواجب عليَّ أن أفطن له قبل أن أضع تلك الرسالة في صندوق البريد ، فظننتُ أو تخيلت ؛ أو تصورت ، أن تلك الرسالة قد سببت لك بعض الانزعاج من هذه الوجهة . ومَن منا لا يتأفف ويتبرم إذا علم أن الأشياء المختصة به دون سواه قد مرّت بين أصابع وأمام عيون من ليس لهم الحق بمعرفتها؟

هذا هو الأمر الذي انتبهت له فندمت ، وهذا هو الشيء الوحيد الذي طلبت اليك وضعه في صندوق النسيان . وقد دعوت « قلم المراقبة » والأسباب التي أوجدته والنتائج التي أوجدها « بعالم الموازين والكمية » ـ دعوته بهذا الاسم لبعده عن العالم الذي كان يشغل فكري حينئذ بُعد الجحيم عن غابة الحق .

ولقد عرفت في العام الغابر عن « قلم المراقبة » ما يضحك البوم بين القبور ! فقد كان بعض الفتيان الموظفين في تلك الادارة النبيلة يفتحون الرسائل الواردة إليّ من الشرق ويذيلونها بالحواشي والسلامات والتحيات والملاحظات السياسية والعمرانية والأدبية وبعضهم كان يطلب مني المال لأغراض لم أسمع بمثلها .

وأغرب من هؤلاء جميعهم مراقب في دمشق وجد فسحة بيضاء واسعة في رسالة موجهة إليّ فنمقها وطرّزها بقصيدة طويلة يمدحني بها ! ولو أخبرتك حكاية تلك القصيدة بتمامها لغضبت عليّ .

أما تلك الرسالة « المعروفة بالنشيد الغنائي » فهي مني وبي وفيَّ ، وهي أنا مثلما كنت ومثلما سأكون ، وهي الآن مثلما كانت بالأمس ومثلما ستكون في

الغد فهلّا آمنت وصدقت يا توما[1] ؟ أتريدين وضع إصبعك في الجرح يا ميّ ؟

واسمحي لي أن أقول ثانيةً أنني أكره التهكم الدقيق والغير دقيق بين الأصدقاء ، وأكره النكتة الفلسفية والغير فلسفية بين المتفاهمين بالروح ، وأكره التكلف والتصنع في كل أمر حتى وفي الصعود الى السماء . وأما سبب كرهي هذه الأشياء فهو ما أراه حولي في كل دقيقة من مظاهر هذه المدنية الآلية ونتائج هذا الاجتماع السائر على دواليب لأنه بدون أجنحة .

أظن أن السبب الذي يجعلك أن تعزي إليّ « التهكم الدقيق » هو في بعض ما جاء في « المجنون » وإذا صح ظني أكون أول ضحايا ذلك الكتاب لأن « المجنون » ليس أنا بكليتي ، والأفكار والمنازع التي أردت بيانها بلسان شخصيةٍ ابتدعتها ليست كل ما لديّ من الأفكار والمنازع . واللهجة التي وجدتها مناسبة لميول ذلك المجنون ليست اللهجة التي اتخذها عندما أجلس لمحادثة صديق أحبه وأحترمه . ولكن إذا كان لا بدّ من الوصول الى حقيقتي بواسطة ما كتبته فما عسى يمنعك عن اتخاذ فتى الغاب في كتاب « المواكب » لهذه الغاية بدلا من « المجنون » ؟ إن روحي يا ميّ أقرب بما لا يقاس الى « فتى الغاب » ونغمة نايه منها الى « المجنون » وصراخه . وسوف يتحقق لديك بأن « المجنون » لم يكن سوى حلقة من سلسلة طويلة مصنوعة من معادن مختلفة . لا أنكر أن « المجنون » كان حلقة خشنة مصنوعة من حديد ، ولكن هذا لا يدلّ على أن السلسلة بكليتها ستكون من الحديد الخشن . لكل روح فصول يا ميّ ، وشتاء الروح ليس كربيعها ، ولا صيفها كخريفها .

---

(١) توما: هو القديس توما احد رسل المسيح الاثني عشر. لم يؤمن بقيامته الا بعد ان رأى آثار جراحاته ووضع فيها اصبعه. وهو الذي ادخل المسيحية الى الهند.

قد سررت جداً لانتسابك الى عائلة **لاويّة**[1] ، سررت الى درجة قصوى وسبب هذا السرور الهائل هو هذا : انا ابن ابنة كاهن ماروني ! نعم فقد كان جدّي ، والد أمي ، كاهناً متعمقاً بالأسرار اللاهوتية ! (بيد أنه كان مولعاً بالموسيقى الكنائسية والغير كنائسية ولهذا قد غفرت له كهنوتيته) . وقد كانت أمي أحبّ أبنائه اليه وأشبههم به . والغريب أنها عزمت واستعدّت وهي في ربيع العمر للدخول الى دير القديس سمعان للراهبات في شمال لبنان . أما أنا فقد ورثت عن أمي تسعين بالمئة من أخلاقي وميولي (لا أقصد بذلك انني أماثلها من حيث الحلاوة والوداعة وكبر القلب) ومع أنني أشعر بشيء من البغضاء نحو الرهبان فأنا أحب الراهبات وأباركهن في قلبي . وقد يكون حبي لهن ناتجاً عن تلك الرغائب السرية Mystique التي كانت تشغل خيال أمي في صباها . وإني أذكر قولها لي مرة ، وقد كنتُ في العشرين :

ــ لو دخلت الدير لكان ذلك أفضل لي وللناس .

فقلت لها :

ــ لو دخلتِ الدير لما جئت أنا .

فأجابت :

ــ أنت مقدّر يا ابني .

فقلت :

ــ نعم ، ولكن قد اخترتك أمّاً لي قبل أن أجيء بزمنٍ بعيد .

فقالت :

ــ لو لم تجيء لبقيتَ ملاكاً في السماء .

فقلت :

ــ لم أزل ملاكاً !

---

(١) لاويا: نسبة الى « لاوي ـ Levi » الابن الثالث ليعقوب، وقد خرج اللاويون، كهنة بني اسرائيل، من سبطة.

فتبسمت وقالت :

ــ أين جوانحك ؟

فوضعت يدها على كتفيّ قائلا :

ــ هنا .

فقالت :

ــ متكسّرة !

بعد هذا الحديث بتسعة أشهر ذهبت أمي الى ما وراء الأفق الأزرق .

أما كلمتها « متكسّرة » فظلت تتمايل في نفسي ومن هذه الكلمة قد غزلت ونسجت حكاية « الأجنحة المتكسرة »[١]

لا يا ميّ لم أكن قط من جدود جدود أمي . لقد كانت ولم تزل أمّاً لي بالروح . وإني أشعر اليوم بقربها مني وتأثيرها علي ومساعدتها لي أكثر مما كنت اشعر به قبل ان تذهب ـ أكثر بما لا يقاس . ولكن هذا الشعور لا ينفي الروابط الأخرى الكائنة بيني وبين أمهاتي وأخواتي بالروح ، وليس هناك من فرق بين شعوري نحو أمي ، وشعوري نحو أمهاتي سوى الفرق الموجود بين الذكرى الواضحة ، والذكرى الضئيلة .

هذا شيء قليل عن أمي . واذا جمعتنا الأيام أخبرتك الشيء الكثير عنها ، وإني لا أشك بأنكِ ستحبينها . ستحبينها لأنها تحبكِ . والأرواح السابحة هناك تحب الأرواح الجميلة السائرة هنا . وأنت يا ميّ روح جميلة إذاً لا تستغربي قولي « إنها تحبكِ » .

أما الوجه الذي نُشر في « الفنون » فهو وجهها في حالة الألم النفسي .

---

(١) الأجنحة المتكسرة ـ قصته التي نشرها عام ١٩١٢ .

والوجه المنشور في أول صفحة من[١] « Twenty Drawings » هو وجهها أيضاً ، ولقد دعوته « نحو اللانهاية » لأنه يمثلها في آخر دقيقة من حياتها هنا ، وأول دقيقة من حياتها هناك .

وأما من جهة عائلة والدي فإني أستطيع ان أتبجح وأتباهى بثلاثة أو أربعة من الكهّان مثلما تباهيتِ وتبجّحتِ بكهنة وقسس بيت زيادة ! ! ! أقرُّ لك بميزة واحدة وهي وجود القسس عندكم ، إن شجرتنا لم تثمر من هذا النوع ! ولكن قد ظهر عندنا خوروسقفس أي خوري ونصف خوري ، فهل ظهر عندكم من هذا الجنس ؟ ولقد كان هذا الخوروسقفس او هذا المونسنيور الجبراني ، يصلي ويبتهل لله ليرجعني الى حضن الكنيسة الجامعة الرسولية مثلما أرجع الإبن الشاطر إلى أبيه ! وحضن الكنيسة ، كما تعلمين ، يشابه صدر أبينا إبراهيم ـ الأول لراحة الخطأة ، والثاني لراحة الأموات . والمسيحي المسكين لا يتملص من هذا حتى يهبط في ذاك وأنا والحمد للسماء لم أكن من الخطأة ولن أصير من الأموات ! بيد أنني أشفق على ابراهيم إجمالاً ، وعلى صدر ابراهيم خصوصاً . . .

هذا ولا يغرب عن بالكِ ان نصف سكان شمال لبنان من الكهنة والقساوسة ، والنصف الثاني من أبناء وأحفاد الكهنة ! فهل في بلدكم ـ وأظنها غزير[٢] ـ مثل ذلك ؟ أما في بلدنا ـ بشري[٣] ـ فمن الصعوبات إحصاء عدد الكهان والرهبان !

---

(١) « عشرون رسما »، عنوان لكتاب يتضمن رسوما بريشة جبران كتبت مقدمته اليس رافائيل Alice Raphael نشر في نيويورك سنة ١٩١٩ .

(٢) غزير: قرية في لبنان، منطقة كسروان، تقع بالقرب من مسقط رأس مي زيادة أي من قرية شحتول، كانت تؤمها للاصطياف .

(٣) بشري : مسقط رأس جبران .

أجل لنتحدثن عن كتاب « دمعة وابتسامة »[1] فأنا لست بخائف !

ظهر هذا الكتاب قبل نشوب الحرب بمدة قصيرة . وقد بعثت اليك بنسخة منه يوم صدوره . نعم قد بعثت اليك بنسخة من كتاب « دمعة وابتسامة » يوم صدوره من مطبعة الفنون ولكنني لم أسمع منك كلمة واحدة عن وصولها فتأثرت ولم أزل متأثراً .

أما مقالات « دمعة وابتسامة » فهي أول شيء نُشر لي في الجرائد . هي من حصرم كرْمي وقد كتبتها قبل « عرائس المروج »[2] بزمن طويل ثم نُشرت متتابعةً في جريدة « المهاجر »[3] منذ ١٦ سنة . ولقد شاء نسيب عريضة فجمعها وأضاف اليها مقالتين كُتبتا في باريس منذ ١٢ سنة . سامحه الله . لقد كتبت ونظمت قبل « دمعة وابتسامة » أعني بين الطفولية والشباب المجلدات الضخام ! ولكنني لم اقترف جريمة نشرها ، ولن أفعل. وأنا باعث اليك بنسخة ثانية من « دمعة وابتسامة » مع الأمل بأنك ستنظرين الى روحها لا الى جسدها .

أنا من الميالين الى شارل جيران[4] ولكنني أشعر أن المدرسة التي ينتمي اليها ، أو الشجرة التي هو غصن من غصونها لم تكن في الغابة العلوية . إن الشعر الإفرنسي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين كان خاتمة لشيء وُجد بدلاً من أن يكون بداية لشيء غير موجود ـ

---

(١) دمعة وابتسامة مجموعة من المقالات وقصائد نثرية نشرها عام ١٩١٤ .

(٢) عرائس المروج كتابه الذي شن فيه هجوما عنيفا على التعصب الديني والاقطاع السياسي، والفوارق الطبقية، نشره عام ١٩٠٦ .

(٣) المهاجر صحيفة عربية أسسها ميخائيل رستم اللبناني في الولايات المتحدة عام ١٨٩٥ .

(٤) شارل جيران Charles Guérin (١٨٧٣ ـ ١٩٠٧) شاعر فرنسي له عدة دواوين من الشعر العاطفي الرقيق .

أعني غير موجود في عالم الحواس . ففي عقيدتي ان رودان[1] النحات ، كاريير[2] المصور ، وديبوسي[3] الموسيقي قد ساروا على سبل جديدة فكانوا حقيقةً من العظام . ولكن « جيران » ورفاقه كانوا وما برحوا يسيرون حتى الساعة على السُبُل التي رسمتها لهم الحالة المعنوية في أوروبا قبل زمن الحرب . ومع أنهم يشعرون بجمال الحياة ، وما في الحياة من الألم والغبطة والمظاهر والأسرار ، فهم يمثلون مساء عهدٍ بدلاً من صباح عهد آخر . وعندي ان كتاب وشعراء العالم العربي في أيامنا هذه يمثلون ، ولكن بصورة مصغرة جداً ، نفس الفكرة ونفس الحالة ونفس العهد .

وعلى ذكر العالم العربي فإني أسألك : لماذا يا ترى لا تعلّمي كتاب وشعراء مصر المسير على السبل الجديدة ؟ أنتِ وحدكِ قادرة على ذلك فماذا يمنعك ؟ أنتِ يا ميّ من بنات الصباح الجديد فلماذا لا تنبهي الراقدين ؟ إن الصبيّة الموهوبة كانت وستكون بمقام ألف رجل موهوب . وإني لا أشك بأنكِ إذا ناديت تلك النفوس الضائعة الحائرة المستعبدة بقوة الاستمرار أيقظتِ فيها الحياة والعزم والميل الى الصعود نحو الجبل . إفعلي هذا وثقي بأن من يسكب الزيت في السراج يملأ بيته نوراً - أفليس العالم العربي بيتكِ وبيتي ؟

أنت تتأسفين لأنك لم تستطيعي الحضور الى « الوليمة الفنية » . وأنا أستغرب أسفكِ هذا ، أستغربه جداً ، أفلا تذكرين ذهابنا سوية الى المعرض ؟ هل نسيتِ انتقالنا من صورة الى صورة ؟ هل نسيتِ كيف سرنا

---

(١) رودان : Auguste Rodin (١٨٤٠ - ١٩١٧) وهو المثال الافرنسي المشهور الذي تأثر به جبران .

(٢) كاريير Eugene Carriere (١٨٤٩ - ١٩٠٦) رسام افرنسي اشتهرت لوحاته بانها كانت تعتمد على أرضية من الضباب .

(٣) ديبوسي Claude Debussy (١٨٦٢ - ١٩١٨) من أشهر مؤلفي الموسيقى ومجدديها في القرن العشرين .

ببطء في تلك القاعة الواسعة نبحث وننتقد ونستقصي ما وراء الخطوط والألوان من الرموز والمعاني والمقاصد ؟ هل نسيتِ كل ذلك ؟ الظاهر ان « العنصر الشفاف » فينا يقوم بكثير من الأعمال والمآتي على غير معرفة منا ، فهو يسبح مرفرفاً الى الجهة الثانية من الأرض ونحن في غرفة صغيرة نقرأ جرائد المساء ، ويزور الأصدقاء البعيدين ونحن نجالس ونحدث الأصدقاء القريبين ، ويسير في حقول وغابات بعيدة سحرية لم ترها عين بَشَري ونحن نسكب الشاي في فنجان سيدة تخبرنا عن الاحتفال بعرس ابنتها .

ما أغرب العنصر الشفاف فينا يا ميّ وما أكثر أعماله المجهولة لدينا . ولكن عرفناه أو لم نعرفه فهو أملنا ومحجتنا . وهو مصيرنا وكمالنا . وهو نحن في الحالة الربانية .

هذا وأنا أعتقد بأنكِ إذا أجهدت حافظتكِ قليلا تتذكرين زيارتنا الى المعرض فهلّا فعلتِ ؟

لقد طالت رسالتي ـ ومن يجد لذةً في شيء أطاله .

قد ابتدأت بهذا الحديث قبل نصف الليل وها قد صرتُ بين نصف الليل والفجر ولكنني للآن لم أقل كلمة واحدة مما أردت ان أقوله عندما ابتدأت . ان الحقيقة الوضعية فينا ، ذلك الجوهر المجرّد ، ذلك الحلم الملتف باليقظة لا يتخذ غير السكوت مظهراً وبياناً .

نعم كان بقصدي أن أسألك ألف سؤال وسؤال وها قد صاح الديك ولم أسألْك شيئاً . كان بقصدي أن أسألك مثلاً ما اذا كانت لفظة « سيدي » موجودة حقيقةً في قاموس الصداقة ؟ لقد فتشت عن هذه اللفظة في النسخة الموجودة لديّ من هذا القاموس ولم أجدها فاحترت بأمري ، غير أنني أشعر أن نسختي هي النسخة المصححة ـ ولكن قد أكون غير مصيب !

هذا سؤال صغير ، أما السؤالات الكبيرة فسأتركها الى فرصة أخرى ـ الى ليلة أخرى ـ فليلتي هذه قد شاخت وهرمت ، وأنا لا أريد أن أكتب اليكِ في ظلال الليالي المسنّة .

وإني أرجو ان يملأ العام الجديد راحتيك بالنجوم .

والله يحفظك يا ميّ ويحرسكِ .

صديقك المخلص

جبران خليل جبران

بعد ان ختمت هذه الرسالة فتحت نافذتي فوجدت المدينة متشحة برداء أبيض ، والثلج يتساقط بهدوء وعزم وغزارة ، فتهيّبتُ لهذا المشهد الجليل بطهره ونقاوته ، وعدتُ بالفكر الى شمال لبنان ، الى أيام حداثتي عندما كنت أصنع التماثيل من الثلج ثم تطلع الشمس فتذيبها .

إني أحب عواصف الثلج محبتي لكل أنواع العواصف . وسأخرج - سأخرج في هذه الدقيقة وأمشي تحت هذه العاصفة البيضاء . ولكنني لا ولن أمشي وحدي .

جبران

نيويورك ــــــ ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠

يا صديقتي يا مي

لم يكن سكوتي في الآونة الأخيرة سوى سكوت الحيرة والالتباس ولقد جلست مرّات بين حيرتي والتباسي في هذا « الوادي » لأحدثكِ وأعاتبكِ ولكنني لم أجد ما أقوله لك . لم أجد ما أقوله يا ميّ لأنني كنت أشعر بأنكِ لم تتركي سبيلاً للكلام . ولأنني أحسست بأنك تريدين قطع تلك الأسلاك الخفية التي تغزلها يد الغيب وتمدّها بين فكرة وفكرة ، وروح وروح .

جلست مرات في هذه الغرفة ونظرت طويلاً الى وجهكِ ولكنني لم أتلفظ بكلمة . أما أنت فكنتِ تحدّقين بي وتهزين رأسكِ وتبتسمين ابتسامة من يجد لذة في تلبّك وتشويش جليسه .

وماذا أقول لكِ الآن ورسالتكِ العذبة أمامي ؟ ان هذه الرسالة العلوية قد حوّلت حيرتي الى الخجل . أنا مخجول من سكوتي ، ومخجول من ألمي ، ومخجول من الكبرياء التي جعلتني أضع أصابعي على شفتيّ وأصمت . كنت بالأمس أحسبكِ « المذنبة » اما اليوم وقد رأيت حلمكِ وعطفك يتعانقان كملاكين فقد صرت أحسب نفسي المذنب .

ولكن إسمعي يا صديقتي فأخبرك عن أسباب سكوتي وألمي :

حياتي حياتان ، حياة أصرفها بالعمل والبحث ومخالطة الناس ومصارعة

الناس واستقصاء السرّ الخفي في أعماق الناس ، وحياة أخرى أصرفها في مكان قصيّ هادىء مهيب مسحور لا يحدّه مكان ولا زمان . ففي العام الغابر كنت إن بلغتُ ذلك المكان البعيد ألتفتُ فأرى روحاً ثانية جالسة بجانب روحي تبادلها ما هو أدق من الأفكار ، وتشاركها بما هو أعمق من العواطف . فعزوت هذا الأمر في البداية الى أوليات بسيطة اعتيادية ، ولكن لم يمرّ شهران إلا وتقرّر لديّ أن هناك سرّاً أبعد من الأوليات وأدق من الاعتياديات . والغريب أنني كنت أعود من هذه السفرات النفسية شاعراً بيد شبيهة بالضباب تلامس وجهي ، وفي بعض الأحايين كنت أسمع صوتاً دقيقاً ناعماً كلهاث الطفل متموّجاً في أذنيّ .

يقول بعض الناس إنني من « الخياليين » ، وأنا لا أعرف ماذا يعنون بهذه الكلمة ، ولكنني أعرف أنني لست بخيالي الى درجة الكذب على نفسي . ولو حاولت الكذب على نفسي فنفسي لا تصدقني . النفس يا ميّ لا ترى في الحياة إلا ما بها ، ولا تؤمن إلا باختباراتها الخصوصية ، وإذا ما اختبرت أمراً صار غصناً في شجرتها . وأنا قد اختبرت امراً في العام الغابر . قد اختبرته ولم أتخيّله . اختبرته مرات عديدة . اختبرته بنفسي وعقلي وحواسّي . اختبرته وكان بقصدي أن أكتمه كشيء خصوصي . ولكنني لم أكتمه ، بل أظهرته لصديقة لي . أظهرته لها لأنني شعرت إذ ذاك بحاجة ماسّة الى إظهاره . وهل تعلمين ماذا قالت لي صديقتي ؟ قالت لي على الفور « هذا **نشيد غنائي** » ! لو قيل لوالدة تحمل طفلها على منكبيها : « هذا تمثال من الخشب ، وأنت تحملينه بعياقة » فبماذا يا تُرى تجيب تلك الوالدة ؟ وبماذا تشعر ؟

ومرّت الشهور وهذه الكلمة « **نشيد غنائي** » تحفر في قلبي. ولم تكتف صديقتي! لم تكتف بل ظلت واقفة لي في المرصاد، فلم أقل كلمة إلا وذيلتها بالتعنيف، ولم أحدق بشيء إلا وأخفته وراء القناع، ولم أمد يداً إلاّ وثقبتها بمسمار.

بعد ذلك قنطت . وليس بين عناصر النفس عنصر أمرّ من القنوط . ليس في الحياة شيء أصعب من ان يقول المرء لنفسه « **قد غُلبت** » .

والقنوط يا ميّ جزر لكل مدّ في القلب . والقنوط يا ميّ عاطفة خرساء . لذلك كنت أجلس أمامك في الشهور الأخيرة وأنظر طويلاً الى وجهك بدون أن أنبس ببنت شفة . لذلك لم أكتب بدوري . لذلك كنت أقول في سرّي (لم يبق لي دور) .

ولكن في قلب كل شتاء ربيع يختلج ، ووراء نقاب كل ليل صباح يبتسم . وها قد تحوّل قنوطي الى شكل من الأمل .

ما أقدس تلك الساعة التي رسمتُ فيها صورة « نحو اللانهاية » . وما أعذب وأهيب الامرأة التي تضع شفتيها على عنق امرأة اخرى وتناجيها . وما أبهى ذلك النور الذي يتكلم في أعماقنا ، ما أبهى ذلك النور يا ميّ .

وماذا أقول عن رجل أوقفه الله بين امرأتين امرأة تحوك من أحلامه اليقظة وامرأة تحوك من يقظته الأحلام ؟ ماذا أقول عن قلب وضعه الله بين سراجين ؟ ماذا أقول عن هذا الرجل ؟ هل هو كئيب ؟ لا أدري ، ولكنني أعلم ان الانانية لا تجاور كآبته . هل هو سعيد ؟ لا أدري ، ولكنني أعلم ان الأنانية لا تقترب من سعادته . هل هو غريب عن هذا العالم ؟ لا أدري ، ولكنني أسألك ما إذا كنت تريدين ان يبقى غريباً عنكِ ؟ هل هو غريب وليس في الوجود من يعرف كلمة من لغة نفسه ؟ لا أدري ، ولكنني أسألك ما اذا كنت لا تريدين محادثته بلغة أنت أعرف الناس بها ؟

أوَ لستِ أنتِ أيضاً غريبة عن هذا العالم ؟ ألستِ بالحقيقة غريبة عن محيطك وعن كل ما في محيطك من الأغراض والمنازع والمآتي والمرامي ؟ أخبريني ، أخبريني يا ميّ هل في هذا العالم كثيرون يفهمون لغة نفسكِ ؟ كم مرة يا ترى لقيتِ من يسمعكِ وأنتِ ساكتة ، ويفهمكِ وأنت ساكنة ، ويطوف

معكِ في قدس أقداس الحياة وأنت جالسة قبالته في منزل بين المنازل ؟

أنتِ وأنا من الذين حباهم الله بالأصدقاء والمحبين والمريدين الكثيرين . ولكن قولي لي هل يوجد بين هؤلاء الغيورين المخلصين من يستطيع الواحد منا ان يقول له « **ألا فاحمل صليبي عني يوماً واحداً** » هل بينهم من يعرف أن وراء أغانينا أغنية لا تسجنها الأصوات ، ولا ترتعش بها الأوتار ؟ هل بينهم من يعرف الفرح في كآبتنا ، والكآبة في فرحنا ؟

تقولين لي « **أنت فني وأنت شاعر ويجب عليك ان تكون سعيداً مقتنعاً لأنك فنّي وشاعر** » ولكن يا ميّ انا لست بفنّي ولا بشاعر . قد صرفت أيامي ولياليَّ مصوّراً وكاتباً ولكن « أنا » لست في أيامي ولياليَّ . أنا ضباب يا مي . أنا ضباب يغمر الأشياء ولكنه لا يتحد وإياها . أنا ضباب لم **ينعقد قطراً** . أنا ضباب وفي الضباب وحدتي وفيه وحشتي وانفرادي وفيه **جوعي وعطشي** . ومصيبتي ان هذا الضباب ، وهو حقيقتي ، يشوق الى لقاء ضباب آخر في الفضاء . يشوق الى استماع قائلٍ يقول « **لست وحدك** . **نحن اثنان** . **أنا أعرف مَن أنت** » .

اخبريني ، اخبريني يا صديقتي ، أيوجد في هذا العالم مَنْ يقدر ويريد ان يقول لي « **أنا ضباب آخر أيها الضباب ، فتعال نخيّم على الجبال وفي الأودية . تعال نسير بين الأشجار وفوقها ، تعال نغمر الصخور المتعالية . تعال ندخل معاً الى قلوب المخلوقات وخلاياها ، تعال نطوف في تلك الأماكن البعيدة المنيعة الغير معروفة** »[1] . وقولي لي يا ميّ ، أيوجد في ربوعكم من يريد ويقدر ان يقول لي ولو كلمة واحدة من هذه الكلمات ؟

وأنتِ تريدين ان أبتسم « **وأعفو** » .

---

(١) هكذا في الأصل

لقد ابتسمت كثيراً منذ هذا الصباح ، وها أنا أبتسم في أعماقي ، وأبتسم في كليتي ، وأبتسم طويلاً ، وأبتسم كأنني لم أخلق إلا للابتسام . أما « **العفو** » فكلمة هائلة فتاكة جارحة اوقفتني مخجولاً متهيّباً أمام الروح النبيلة التي تتواضع الى هذا الحدّ ، وجعلتني أحني رأسي طالباً منها العفو . أنا وحدي المسيء . قد أسأت في سكوتي وفي قنوطي لذلك استعطفك ان تغتفري ما فرط مني وتسامحيني .

كان الأحرى بنا تصدير هذا الحديث بالكلام عن كتاب « **باحثة البادية** »[1] ولكن للخصوصيات دالّة علينا ، وفي الخصوصيات قوة تجتذبنا اليها من أقصى الأمور وأجلّها .

ما قرأت قط كتاباً عربياً او غير عربي مثل كتاب « **باحثة البادية** » . لم أرَ في حياتي صورتين مرسومتين بمثل هذه الخطوط وهذه الألوان . لم أرَ في حياتي صورتين في إطار واحد ، صورة امرأة أديبة مصلحة وصورة امرأة أكبر من أديبة وأعظم من مصلحة . لم أرَ في حياتي وجهين في مرآة واحدة ـ وجه امرأة يخفي نصفه ظلّ الأرض ، ووجه امرأة يغمره نور الشمس . قلت « **وجه امرأة يخفي نصفه ظلّ الأرض** » لأنني شعرت منذ أعوام ولم أزل أشعر بأن باحثة البادية لم تتملّص من محيطها المادّي ولم تتجرّد عما يساورها من المؤثرات القومية والاجتماعية حتى حلّ الموت قيودها . أما الوجه الثاني ، الوجه اللبناني المغمور بكليته بنور الشمس ، فهو في عقيدتي وجه أول امرأة شرقية تعالت حتى بلغت ذلك الهيكل الأثيري حيث تنزع الأرواح أجسادها المصنوعة من غبار التقاليد والعادات والزوائد وقوة **الاستمرار** . هو وجه أول امرأة شرقية أدركت وحدة الوجود بما في الوجود من الخفي والظاهر ، ومن المعروف وغير المعروف .

---

(١) « باحثة البادية » اسم مستعار اتخذته الكاتبة المصرية ملك حفني ناصف (١٨٨٦ ـ ١٩١٨) واتخذته مي عنوانا للسيرة التي وضعتها عن ملك ونشرتها (دار الهلال) عام ١٩٢٠

وغداً ، بعد أن يطرح الزمن ما يكتبه الكتاب وينظمه الشعراء في (**هوة**) النسيان يظلّ كتاب « **باحثة البادية** » موضوع إعجاب الباحثين والمفكرين والمستيقظين . أنت يا ميّ صوت صارخ في البرّية . أنت صوت ربّاني ، والأصوات الربانية تبقى متموجة في الغلاف الأثيري حتى نهاية الزمن .

والآن عليّ أن أجيب عن كل سؤال من سؤالاتك اللذيذة . عليّ أن لا أنسى شيئاً . **أولاً « كيف أنا ؟ »** - لم أفكر في الآونة الأخيرة بكيفية أنا ، بيد أنني أرجح انني في حالة حسنة رغم ما في حياتي اليومية من الرقّاصات المتباينة والدواليب المختلفة بالصورة والحجم . **« وماذا أكتب » ؟** - أكتب سطراً أو سطرين بين كل مساء وصباح . قلت بين كل مساء وصباح لأنني في الوقت الحاضر أصرف نور نهاري مهموكاً برسوم زيتية كبيرة عليّ إتمامها قبل نهاية هذا الشتاء . ولولا هذه الصور والمعاهدة التي تربطني بها لكنت صرفت هذا الشتاء بين باريس والشرق . **« وهل أشتغل كثيراً ؟ »** - أشتغل دائماً ، أشتغل حتى وفي نومي ، أشتغل وأنا جامدٌ كالصخر . ولكن شغلي الحقيقي ليس بالكتابة ، التصوير ، في أعماقي يا ميّ حركة أخرى لا علاقة لها بالكلام ولا بالخطوط والألوان . فالشغل الذي ولدتُ له لا يتناول الريشة والقلم . **« وما لون البذلة التي أرتديها اليوم ؟ »** - من عوائدي أن أرتدي بذلتين في وقت واحد ، بذلة من نسج الناسجين وخياطة الخياطين ، وبذلة من لحم ودم وعظام ! أما اليوم فإني أرتدي ثوباً واحداً طويل الأذيال ، واسع الجوانب ، عليه أثر الحبر والألوان ، وهو بالإجمال لا يختلف عن ملابس الدراويش إلا بنظافته ! أما الثوب الثاني المصنوع من لحم ودم وعظام فهو مطروح في الغرفة المحاذية ، ذلك لأني أفضل محادثتك وهو بعيد عني . **« وكم سيجارة دخنت منذ الصباح ؟ »** ما أعذب هذا السؤال وما أصعب الجواب عليه ! هذا يا ميّ يوم تدخين بتدخين فقد حرقت منذ صباحه أكثر من عشرين سيجارة ! والتدخين عندي لذة لا عادة قاهرة ، فقد يمرّ بي الأسبوع الكامل بدون سيجارة

واحدة . نعم ، دخنتُ اليوم أكثر من عشرين **سيجارة** ، والحق عليكِ ! فلو كنتُ وحدي في هذا « الوادي » لما دخنت أبداً ! ! ولكنني لا أريد أن أكون وحدي . أما بيتي فلم يزل بدون سقف ولا جدران ، وأيّ منا يا ترى يريد ان يكون مسجوناً ؟ وأما بحار الرمل وبحار الأثير فهي اليوم مثلما كانت بالأمس ـ عميقة كثيرة الأمواج وبدون شواطىء . والسفينة التي أخوض بها هذه البحار تسير ولكن ببطء . مَن يقدر ويريد ان يضيف شراعاً جديداً الى شراع سفينتي ؟ ليت شعري من يقدر ويريد ؟ أما كتاب « **نحو الله** » فما برح في المعمل السديمي ، وأفضل رسومه لم تزل خطوطاً في الهواء وعلى وجه القمر . وأما « **المستوحد** » فقد ظهر منذ ثلاثة أسابيع باسم « **السابق** »[1] وقد بعثت اليك بنسخة منه . وفي البريد نفسه بعثت اليك بنسخة من « **العواصف** »[2] وبنسخة **ثالثة** من حصرم كرْمي « **دمعة وابتسامة** » ، ولم أرسل اليك القائمة التي يصدرها في الصيف ناشر كتبي لأنني في الصيف كنت في البرّية البعيدة ـ وهناك سبب آخر ! ! وأما الرسوم ، والخزف ، والزجاج والكتب القديمة والآلات الموسيقية والتماثيل المصرية واليونانية والغوطية فهي كما تعهدينها ، مظاهر للروح الأزلية الأبدية ، كلمات منثورة من كتاب الله . وكم جلست امامها مفكراً بالشوق الذي أوجدها ، كم حدّقت بها حتى غابت عن نظري وحلّ مكانها أشباح الأزمنة التي نقلتها من عالم الغيب الى عالم المرئيات . لم أحصل بعدُ على التمثال الكلداني من الحجر الأسود . ولكن في الربيع الغابر كتبَ إليّ صديق انكليزي موجود في العراق مع الحملة البريطانية وقال « إذا وجدت شيئاً فهو لك » .

---

(١) كتابه الانكليزي الثاني وفيه يظهر المنحى الجديد الذي بداه في المجنون، وتظهر نزعته الصوفية العميقة، نشره عام ١٩٢٠ .

(٢) مجموعة باللغة العربية من المقالات والقصص القصيرة والقصائد النثرية كانت قد نشرت في الصحف والمجلات ما بين ١٩١٢ و ١٩١٨ .

قد أجبت على جميع سؤالاتك ولم أنسَ شيئاً . وقد بلغت الحد من هذه الصفحة قبل أن أقول كلمة مما أردت قوله عندما ابتدأت في رأس الصفحة الأولى . لم ينعقد ضبابي قطراً يا ميّ ، وتلك السكينة ، تلك السكينة المجنحة المضطربة لم تتحوّل الى ألفاظ . ولكن هلاّ ملأتِ يدكِ من هذا الضباب ؟ هلاّ أغمضتِ عينيكِ وسمعتِ السكينة متكلمة ؟ وهلاّ مررتِ ثانيةً بهذا الوادي حيث الوحشة تسير كالقطعان ، وترفرف كأسراب الطيور ، وتتراكض كالسواقي ، وتتعالى كأشجار السنديان ؟ هلاّ مررتِ ثانيةً يا ميّ ؟ والله يحفظكِ ويحرسكِ .

جبران

بوسطن ١١ كانون الثاني ١٩٢١

يا ميّ

ها قد بلغنا قمّة عالية فظهرت أمامنا سهول وغابات وأودية ، فلنجلس ساعةً ولنتحدث قليلاً . نحن لا نستطيع البقاء هنا طويلاً لأني أرى عن بعد قمّة أعلى من هذه وعلينا ان نصل اليها قبل الغروب ، ولكننا لن نترك هذا المكان إلاّ وأنتِ فرحة ، ولن نخطو خطوة إلا وأنتِ مطمئنة .

قد قطعنا عقبة صعبة المسالك ، قطعناها بشيء من التلبّك . وإني أعترف لكِ بأنني كنت ملحاً لجوجاً غير أن إلحاحي كان نتيجة مقررة لشيء أقوى مما ندعوه إرادة . واعترف لكِ بأنني لم أكن حكيماً في بعض الأمور ولكن أليس في الحياة ما لا تبلغه أصابع الحكمة ؟ أليس فينا ما تتحجّر الحكمة أمامه ؟ ولو كانت اختباراتي يا ميّ تماثل بوجه من الوجوه ما اختبرته في ماضيّ لما أعلنتها ، ولكنها جاءت جديدة غريبة وعلى حين غفلة . ولو كنت إذ ذاك في القاهرة وأظهرتها لكِ شفاهاً وبصورة بسيطة مجردة خالية مما في الشخصيات من المرامي الذاتية لما حدث بيننا سوء تفاهم . ولكن لم أكن إذ ذاك في القاهرة ، ولم يكن لديّ من وسيلة إلا المراسلة ـ والمراسلة في هذه « المواضيع » تُلبس أبسط الأمور ثوباً من المركبات ، وتُسدلُ على وجه المجردات نقاباً كثيفاً من الكلفة . فكم مرّة نريد أن نبدي فكرة بسيطة فنضعها في ما يتيسّر لنا من الألفاظ ، تلك الألفاظ التي تعوّدت أقلامنا سكبها على الورق ، فينتج عن كل ذلك

« **قصيدة منثورة** » أو « **مقالة خيالية** » . أما السبب فهو اننا نشعر ونفكر بلغة أصدق وأصحّ من اللغة التي نكتب بها . نحن بالطبع نحب القصائد المنثورة والمنظومة ونحب المقالات الخيالية وغير الخيالية ، بيد أن العاطفة الحيّة الحرّة شيء ، والبيان في المراسلات شيء آخر . مذ كنت صبياً في المدرسة وأنا أبتعد بقدر استطاعتي عن التعابير القديمة المتداولة لأنني كنت ولم أزل أشعر بأنها تخفي الفكر والعاطفة أكثر مما تظهرهما ، ولكن يبدو لي الآن أنني لم أتملّص مما أتبرم منه ـ يبدو لي انني كنت منذ سنة ونصف سنة حيث كنت وأنا في الخامسة عشرة، ودليلنا على ذلك ما أثمرته رسائلي من سوء التفاهم .

أقول ثانيةً أنني لو كنت في القاهرة لوقفنا امام اختباراتنا النفسية وقوفنا أمام البحر او أمام النجوم او أمام شجرة تفاح مزهرة . ومع كل ما في اختباراتنا من الغرابة فهي ليست بأغرب من البحر أو من النجوم أو من الشجرة المزهرة ، ولكن من العجائب اننا نمتثل ونستسلم إلى معجزات الأرض والفضاء وفي الوقت نفسه نستصعب تصديق ما يظهر في أرواحنا من المعجزات .

كنت أعتقد يا ميّ ، وما برحت أعتقد ، أن بعض الاختبارات لا تحدث إلّا إذا اشترك بها اثنان في وقت واحد . وربما كان هذا الاعتقاد سبباً أولياً لتلك الرسائل التي جعلتك أن تقولي لنفسكِ « **يجب أن نقف هنا** » . الحمد لله لأننا لم « نقف هناك » . الحياة يا ميّ لا تقف في مكان من الأمكنة ، وهذا الموكب الهائل بجماله لا يستطيع سوى المسير من لا نهاية الى لا نهاية . ونحن ، ونحن الذين نقدّس الحياة ونميل بكل قوانا الى الصالح والمبارك والعذب والنبيل في الحياة ، نحن الذين نجوع ونعطش الى الثابت الباقي في الحياة لا نريد ان نقول او نفعل ما يوعز الخوف أو ما « **يملأ الروح شوكاً وعلقماً** » . نحن لا نريد ولا نقدر أن نلمس جوانب المذبح إلا بأصابع طُهّرت بالنار . ونحن إذا أحببنا شيئاً يا ميّ نحسب المحبة نفسها محجّة لا واسطة

للحصول على شيء آخر ، وإذا خضعنا خاشعين أمام شيء علوي نحسب الخضوع رفعة والخشوع ثواباً . وإذا تشوّقنا إلى شيء نحسب الشوق بحد ذاته موهبة ونعمة . ونحن نعلم ان أبعد الأمور هو أخلقها وأحقّها بميلنا وحنيننا.

ونحن ـ **أنت وأنا** ـ لا نستطيع حقيقة ان نقف في نور الشمس قائلين « **يجب أن نوفّر على نفوسنا عذاباً نحن بغنى عنه** » لا يا ميّ ، نحن لسنا بغنىً عما يضع في النفس خميرة قدسية ، ولسنا بغنى عن القافلة التي تسير بنا الى مدينة الله ، ولسنا بغنى عما يقرّبنا من ذاتنا الكبرى ، ويرينا بعض ما في أرواحنا من القوى والأسرار والعجائب . وفوق كل ذلك فنحن نستطيع أن نجد السعادة الفكرية في أصغر مظهر من مظاهر الروح ، ففي الزهرة الواحدة نشاهد كل ما في الربيع من الجمال والبهاء ، وفي عينيّ الطفل الرضيع نجد كل ما في البشرية من الآمال والأماني . لذلك لا نريد أن نتخذ أقرب الأشياء وسيلة او مقدمة للوصول الى أبعدها ، كما أننا لا نريد ولا نقدر أن نقف أمام الحياة ونقول مشترطين « **أعطنا ما نريد أو لا تعطنا شيئاً ـ إما ذاك وإما لا شيء** » لا يا ميّ ، نحن لا نفعل ذلك لأننا نعلم ان الصالح والمبارك والثابت في الحياة لا يسير كما نشاء بل يسيّرنا كما يشاء . وأيّ مطمع لنا وسبعة آلاف ميل تفصلنا ، في إعلان سرّ من أسرار أرواحنا سوى التمتع بإعلان ذلك السرّ ؟ وما هي غايتنا من الوقوف بباب الهيكل سوى مجد الوقوف ؟ ماذا يا ترى يبغي الطائر إذا ترنّم ، والبخور إذا احترق ؟ أوَ ليس في هذه النفوس المستوحدة سوى المنازع المحدودة ؟

ما أعذب تمنياتك لي في يوم مولدي وما أطيب أريجها . ولكن اسمعي يا ميّ هذه الحكاية الصغيرة واضحكي قليلاً على حسابي ! شاء نسيب عريضة ان يجمع « **دمعة وابتسامة** » في كتاب ، وذلك قبل زمن الحرب ، وشاء أن يحشر مقالة « **يوم مولدي** » بين تلك القطع الضئيلة ، ورأى ان يضع التاريخ مع العنوان ولم أكن حينئذ في نيويورك ، فأخذ يبحث ـ وهو بحّاثة لا يكلّ ولا

يملّ ـ حتى وجد تاريخ ذلك اليوم البعيد باللغة الانكليزية فترجم « January 6th. » إلى « ٦ كانون الأول » ! وهكذا خصم من سنيّ حياتي سنة ، وأخر يوم مولدي الحقيقي شهراً ! ومنذ ظهور كتاب دمعة وابتسامة حتى اليوم وأنا أتمتع في كل سنة بيوميّ مولدي ، الأول أوجدته غلطة في الترجمة ، أما الثاني فلا أدري أية غلطة في الأثير أوجدته ! وتلك السنة التي سُرقت مني ـ يعلم الله وأنتِ تعلمين أنني اشتريتها غاليةً ، اشتريتها بنبضات قلبي ، اشتريتها بسبعين وزنة من الألم الصامت والحنين إلى ما لا أعرفه ، فكيف اسمح لغلطة في كتاب أن تسلبني إياها ؟

أنا بعيد عن « الوادي » يا ميّ . جئت هذ المدينة ـ بوسطن ـ منذ عشرة أيام لعمل تصويري ، ولو لم يبعثوا إلي ببقجة من الرسائل الواردة الى عنوانيَ في نيويورك لعشت عشرة أيام أخرى بدون رسالتك ، هذه الرسالة التي حلّت ألف عقدة في حبل روحي ، وحوّلت الانتظار ، وهو صحراء ، الى حدائق وبساتين . الانتظار حوافر الزمن يا ميّ ، وأنا دائماً في حالة الانتظار . يخال لي في بعض الأحايين انني أصرف حياتي مترقباً حدوث ما لم يحدث بعد ، وما أشبهني بأولئك العمي والمقعدين الذين كانوا يضطجعون بقرب بركة « بيت حسدا » في أورشليم « **لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرّك الماء فمَن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أيّ مرض اعتراه** »(١) .

أما اليوم ، وقد حرك ملاكي بركتي ووجدتُ من يلقيني في الماء ، فإني أسير في ذلك المكان المهيب المسحور وفي عيني نور ، وفي قدميّ عزم . أسير بجانب خيال أجمل وأظهر لبصيرتي من حقيقة الناس كافةً ، أسير وفي يدي يد حريرية الملامس ولكنها قوية وذات إرادة خاصة ، وليّنة الأصابع ولكنها تستطيع رفع الأثقال وتكسير القيود . وبين الآونة والأخرى ألتفتُ فأرى عينين

---

(١) بيت حسدا: اشارة الى اليعازر وقيامته من الموت في انجيل متى ـ إصحاح ٢٦ ـ

مشعشعتين ، وشفتين تداعبهما ابتسامة جارحة بحلاوتها .

قلت لكِ مرّةً إن حياتي مقسومة إلى حياتين واني أصرف الواحدة منهما بين العمل والناس والثانية في الضباب. فقد كان ذلك بالأمس، أما اليوم فقد توحدت حياتي وصرت أشتغل في الضباب، وأجتمع بالناس في الضباب، وأنام وأحلم ثم أستيقظ وأنا في الضباب. هي نشوة محاطة بحفيف الأجنحة، فالوحدة فيها ليست بالوحدة، وألم الحنين إلى غير المعروف أطيب من كل شيءٍ عرفته. هي غيبوبة ربّانية يا ميّ، هي غيبوبة ربانية تدني البعيد وتبين الخفي وتغمر كل شيءٍ بالنور. أنا أعلم الآن أن الحياة بدون هذا الانجذاب النفسي ليست سوى قشور بغير لباب. وأحقق أن كل ما نقوله ونفعله ونفكر به لا يساوي دقيقة واحدة نصرفها في ضبابنا .

وأنت تريدين كلمة « **نشيد غنائي** » أن تحفر في قلبي! تريدينها أن تنتقم لك من هذا الكيان الخافت الذي يحملني وأحمله. لندعها تحفر وتحفر وتحفر، بل لنناد جميع الأناشيد الغنائية الهاجعة في الأثير، ولنأمرها ان تنتشر في هذه « **البلاد** » الواسعة لتحفر الترعات، وتمد السبل وتبني القصور والأبراج والهياكل، وتحول الوعر الى حدائق وكروم لأن شعباً من الجبابرة قد اختارها واتخذها وطناً له. أنت يا ميّ شعب عظيم من الجبابرة الفاتحين، وفي الوقت نفسه أنت ابنة صغيرة في السابعة تضحك في نور الشمس وتركض وراء الفراشة وتجني الأزهار وتقمز فوق السواقي. وليس في الحياة شيء ألذ وأطيب لدي من الركض خلف هذه الصغيرة الحلوة والقبض عليها ثم حملها على منكبّي ثم على كتفي ثم الرجوع بها إلى البيت لأقص عليها الحكايات العجيبة الغريبة حتى تكتحل أجفانها بالنعاس وتنام نوماً هادئاً سماوياً .

جبران

نيويورك ٦ نيسان ١٩٢١

... [١] قلوب الشرقيين فمات معها ميلهم إلى ذوي العواطف ؟ أمن أصالة الرأي ان تحجب الامرأة الممتازة قلبها ونفسها عن بصر الناس وبصيرتهم ؟ إن الله قد بعثك إلينا روحاً وعقلاً . ونحن بحاجة ماسة إلى أنوار روحكِ وإلى نار عقلكِ فلمَ ، يا ترى ، لا تعطينا منهما في آن واحد ؟

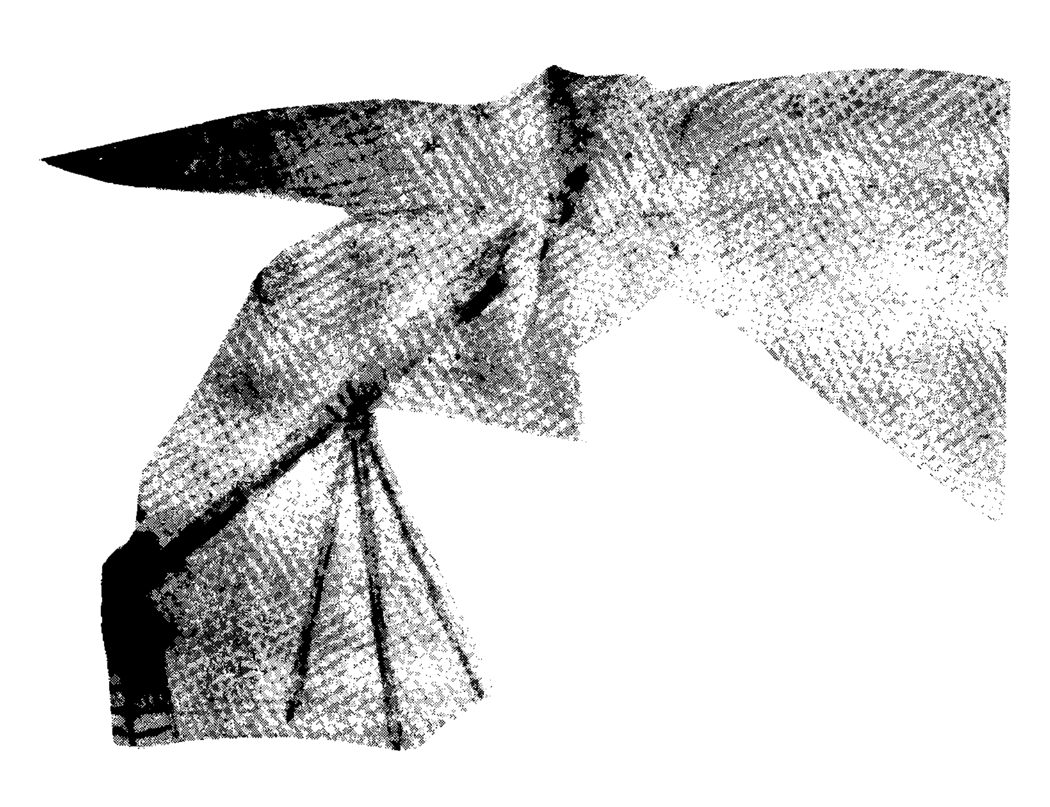


والآن وقد « انتهينا » من المعركة الدموية يتقدم اليكِ الأب والأخ والرفيق والصديق - مع أفراد الأسرة كافّةً - ويطلبون منكِ أن تنظمي أو تنثري روحكِ وقلبكِ قصائد وموشحات وأن تقفي وقوف كاهنة أمام المذبح ، ولو مرة كل شهرين ، وتتكلمي عن ذلك العالم السحري الكائن وراء عالم الفكر والعلم والبحث والمنطق .

خبر جديد - قد حصلت على مِرْقَب « تلسكوب » من الطراز الأول ، وفي كل ليلة أصرف ساعةً أو ساعتين محدّقاً باللانهاية قريباً الى القصي متهيّباً

---

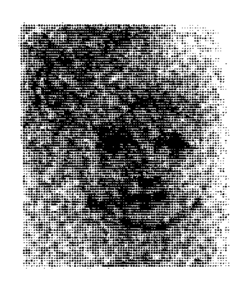
(١) هذا مقطع من رسالة فقدت صفحتاها الأولى والثانية .



الكلية العظمى . وها قد انتصف الليل وصار « الجبار » في نقطة موافقة من الفلك . وأنتِ تعلمين يا ماري أن « السديم » القريب من حزام الجبار لأجمل وأهول مشهد في الفضاء . إذاً قومي يا رفيقتي ، قومي نصعد الى السطح لنرقب كل ما في عيون الملائكة من جمال الاستغراب والعطف والمعرفة . أقول يا سيدتي إن حياة الرجل تظل كصحراء خالية إلّا من الرمال حتى يمنّ الله عليه بابنة مثل أميرتي الصغيرة . وأقول يا سيدتي أن من ليس له إبنة فليتبن إبنة لأن أسرار الأيام ومعانيها تختبىء في قلوب الصغيرات .

وأنا أدعو ابنتي « بالأميرة » لأن حركاتها ، وسكناتها ، ونغمة صوتها ، وابتساماتها ، وألعابها ، واختراعاتها ، بل وكل شيء فيها يدل على

« الأمارة » ـ وهي مستبدّة ولها آراء خصوصية لا يستطيع أحد من البشر تغييرها أو تحويرها ـ ولكن ما أعذب وأطيب استبدادها وحكمها المطلق .



هذه رسالة قصيرة ـ قصيرة جداً ـ ولكنها أول رسالة كتبتها منذ خمسة أسابيع . فهلّا قرأتِ فيها ما ليس بالمخطوط ؟ سوف أكتب إليك ثانيةً عندما أنهض من فراشي . إن الربيع سيأخذ بساعدي وينتشلني من بين هذه اللحف ويسيّرني وراءه الى الأماكن الخضراء حيث تجدد الحياة عزم أبنائها وتبدّل همسهم وأنفاسهم المتقطعة بالأغاني والتهاليل .

أرجوكِ يا صديقتي يا ميّ ، ألّا تسخطي عليّ ـ أستعطفكِ ألّا تسخطي عليّ . باركيني قليلاً فأنا أباركك دائماً .

جبـران

نيويورك ــــ مساء السبت ٢١ أيار ١٩٢١

يا ميّ يا صديقتي

« **كثيراً وبحنوٍّ ـ كثيراً وبحنوٍّ** » ، هذه حقيقة بسيطة ظهرت لي منذ حين فانفتحتْ في روحي نوافذ وأبواب جديدة ، ولما قرّرتها رأيتني واقفاً أمام مشاهد ما كنت أحلم بوجودها في هذا العالم .

« **كثيراً وبحنوٍّ ـ كثيراً وبحنوٍّ** » ، ومن هذا الكثير وهذا الحنوّ قد تعلمت الصلاة بفرح والحنين بطمأنينة والامتثال بدون انكسار . لقد عرفت ان الرجل المستوحد يستطيع ان يغمر وحدته بنور « **الكثير** » ويزيل الاجهاد في عمله بحلاوة « **الحنو** » . وعرفت ان الغريب المستوحش يستطيع ان يكون أباً وأخاً ورفيقاً وصديقاً ـ وفوق كل ذلك ان يكون طفلاً فرحاً بالحياة . « **كثيراً وبحنوٍ** » إن في هذا الكثير وهذا الحنوّ أجنحة تخيّم وأيادي تبارك . صحتي اليوم أحسنُ مما كانت عليه منذ شهر ولكنني لم أزل مريضاً ، وهذا الجسم الضعيف ما برح بدون نظام وبدون وزن وبدون قافية . وأنت تريدين أن أقول لك ممّ أشكو ، فاليك خلاصة ما قاله الأطباء :

Nervous prostration caused by overwork and lack of nourishment. General disorder of the system. Palpitation was an Inevitable result. Pulse

(1)beats 115 per minute - the Normal is about 80- ».

أي يا ميّ ، ففي العامين الغابرين قد حمّلت جسمي فوق طاقته . فكنت أصوّر ما دام النور وأكتب حتى الصباح وألقي المحاضرات وأختلط بجميع أنواع البشر ـ وهذا العمل الأخير هو أصعب شيء أمام وجه الشمس ـ وكنت إذا جلست الى مائدة الطعام أشغل نفسي بالكلام والمتكلمين حتى تحضر القهوة فأتناول منها الشيء الكثير وأكتفي بها طعاماً وشراباً . وكم مرة عدت الى منزلي بعد منتصف الليل وبدلا من الخضوع الى سنّة الله في أجسامنا كنت أنبّه ذاتي بالحمامات الباردة وبالقهوة القوية وأصرف ما بقي من الليل كاتباً أو مصوراً ـ أو على الصليب . ولو كنت شبيهاً بقومي سكان شمال لبنان لما قبضتْ علي العلّة بهذه السرعة . هم كبار الأجسام أقوياء البنية أما أنا فبعكس ذلك ولم أرث عن أولئك الأشدّاء حسنة واحدة من حسناتهم الجسدية . ها قد أشغلت فسحةً كبيرة بالكلام عن مرضي ، وكان الأحرى بي أن لا أفعل ـ ولكن ما العمل وأنا لا أستطيع إلا الجواب على كل سؤال من سؤالاتك المنطقة بحلاوة الاهتمام « والرغبة والتمني » .

أين الرسالة الطويلة المقطعة المكتوبة بقلم رصاص وعلى ورق بلدي مربّع التسطير في حديقة جميلة أمام صفّ من الذهبيات[1] ؟ أين رسالتي يا ميّ ؟ لماذا لم تبعثي بها إليّ ؟ أريد الحصول عليها ، أريدها بكلياتها وجزئياتها . أتعلمين مقدار رغبتي في الحصول على تلك الرسالة بعد ان قرأت نتفة منها ـ تلك النتفة القدسية التي جاءت فجراً ليوم جديد . أتعلمين أنه لولا خوفي من

---

(١) اضطراب عصبي سببه الاجهاد ونقص في التغذية ادى الى اضطراب في الجهاز العام للقلب فكان تسرع النبض نتيجة حتمية له، وقد بلغت نبضاته ١١٥ في الدقيقة في حين ان النبض الطبيعي هو في حدود (٨٠)

٢) اذكر الذهبيات جيدا فقد رأيتها ايام كنت في مصر (هذه ملاحظة جبران).

كلمة « وبجنون » لكنت بعثت اليك ليلة امس برقيّة أرجوك فيها تسليم الرسالة الى البريد ؟

أترين فيّ الطيبة يا ميّ ؟ وهل أنت بحاجة الى الطيبة ؟ هذا كلام جارح بعذوبته فبما أجيبُ عليه ؟ اذا كان في كياني يا صديقتي ما أنت في حاجة اليه فهو لك بكليته . ليست الطيبة فضيلة بحدّ ذاتها أما عكسها فجهالة ـ وهل تقطن الجهالة حيث « **كثيراً وبحنوّ** » ؟

إذا كانت الطيبة في محبة الجميل وفي التهيب امام النبيل وفي الشوق الى البعيد والخفي ـ اذا كانت الطيبة في هذه الأشياء فأنا إذن من الطيبين ، أما إذا كانت في غير هذه الأشياء فأنا لا أدري ما ومَن أنا ؟ وإني أشعر يا ميّ أن المرأة السامية تستلزم وجود الطيبة في روح الرجل حتى ولو كان جاهلاً .

حبذا لو كنت الساعة في مصر . حبذا لو كنت في بلادي قريباً ممن تحبهم نفسي . أتعلمين يا ميّ أنني في كل يوم أتخيّل ذاتي في منزل في ضواحي مدينة شرقية وأرى صديقتي جالسةً قبالي تقرأ في آخر مقالة من مقالاتها التي لم تُنشر بعد ، فنتحدث طويلاً في موضوعها ثم نتفق على أنها أحسن ما كتبته حتى الآن . وبعد ذلك انتشل من بين مساند فراشي بعض الأوراق وأقرأ قطعة كتبتُها أثناء الليلة الغابرة فتستحسنها صديقتي قليلاً ثم تقول في سرّها « **يجب ألا يكتب وهو في هذه الحالة . إن تراكيب هذه القطعة تدلّ على الضعف والوهن والتشويش ـ عليه ألا يأتي بعمل فكري حتى يتعافى تماماً** » ـ تقول صديقتي هذا في سرّها وأنا أسمعه في سرّي فاقتنع بعض الاقتناع ثم لا ألبث ان أقول بصوت عال « **أمهليني قليلاً ، أمهليني أسبوعاً او أسبوعين فأتلو عليك قطعةً جميلةً ، جميلة للغاية** » . فتجيبني بصراحة « **يجب أن تمتنع عن الكتابة والتصوير وكل عمل آخر عاماً أو عامين ، وإن لم تمتنع فأنا عليك من الساخطين !** » ـ تلفظ صديقتي كلمة « الساخطين » بلهجة ملؤها « **الاستبداد المطلق** » ثم تبتسم كالملائكة فأحتار دقيقةً بين سخطها وابتسامها ، ثم أجدني

فرحاً بسخطها وابتسامها ـ وفرحاً بحيرتي .

وعلى ذكر الكتابة ـ أتدركين مقدار سروري وابتهاجي وافتخاري بما ظهر لك من المقالات والحكايات في الشهور الأخيرة ؟ ما قرأت لك قطعة إلاّ وشعرت بنموّ وتمدّد في قلبي ، وما قرأتها ثانيةً إلاّ وتحولت عمومياتها الى شيء شخصي فأرى في الأفكار والقوالب ما لم يرَه سواي ، وأقرأ بين السطور سطوراً لم تكتب إلاّ لي . أنت يا ميّ كنز من كنوز الحياة ، بل وأكثر من ذلك ـ أنتِ أنتِ ، وإني أحمد الله لأنك من أمة أنا من ابنائها ، ولأنك عائشة في زمن أعيش فيه . كلما تخيلتك عائشة في القرن الماضي او في القرن الآتي رفعتُ يدي وخفقتُ بها الهواء كمن يريد ان يزيل غيمة من الدخان من أمام وجهه !

بعد أسبوعين او ثلاثة اسابيع أذهب الى البرّية فأسكن بيتاً صغيراً منتصباً كالحلم بين البحر والغابة ـ وما أجمل تلك الغابة ، وما أكثر أطيارها وأزاهرها وينابيعها . كنت في الأعوام الغابرة أسير وحيداً منفرداً في تلك الغابة . وكنت أذهب عشيةً الى البحر وأجلس كئيباً على الصخور او أرمي بنفسي الى الأمواج كمن يريد ان يتملّص من الأرض وأشباحها . اما في هذا الصيف فسأسير في الغابة وأجلس أمام البحر وفي روحي ما ينسيني الوحدة ، وفي قلبي ما يشغلني عن الكآبة .

أخبريني يا ميّ ما أنت فاعلة في هذا الصيف ؟ أذاهبة الى رمل الاسكندرية أم الى لبنان ؟ أذاهبة وحدك الى لبناننا ؟ أي متى يا ترى أعود الى لبنان ؟ أتستطيعين ان تقولي لي أي متى أتخلّص من هذه البلاد ومن القيود الذهبية التي حبكتْها منازعي حول عنقي ؟

أتذكرين يا ميّ قولك لي مرّةً ان صحفياً في بوينس آيرس قد بعث اليك برسالة يطلب فيها رسمك ومقالة من مقالاتك ؟ لقد فكرت مرات عديدة في

طلب هذا الصحفي وفي ما يطلبه جميع الصحفيين او كنت في كل مرة أقول متحسراً « **لست بصحفيّ ! لست بصحفي ! لذلك يتعذر عليّ أن أطلب ما يطلبه الصحفيون . لو كنت صاحب مجلة او محرر جريدة لطلبتُ رسمها بكل حرية ، وبدون خجل ، وبدون وجل ، وبدون توطئة منسوجة من الألفاظ المرتعشة** » كنت ولم أزل أقول هذا في قلبي ، فهل سمع الذين اتخذوا قلبي وطناً لهم ؟

ها قد انتصف الليل وللآن لم أخطّ الكلمة التي تلفظها شفتيّ وتلفظها تارة همساً وطوراً بصوت عالٍ . إني أضع كلمتي في قلب السكينة تحتفظ على كل ما نقوله بحنوّ وحرقة وإيمان . والسكينة يا ميّ تحمل صلاتنا الى حيث نريد او نرفعها الى الله .

أنا ذاهب الى فراشي . وسوف أنام الليلة طويلاً . وسوف أقول لكِ في الحلم ما لم أخطّه على هذه الورقة . مساء الخير يا ميّ . الله يحرسكِ .

جبـــران

نيويورك صباح الاثنين ٣٠ أيار ١٩٢١

يا ميّ ، يا ماري[١] ، يا صديقتي

استيقظت الساعة من حلم غريب . ولقد سمعتكِ تقولين لي في الحلم كلمات حلوة ولكن بلهجة موجعة ، والأمر الذي يزعجني في هذا الحلم ويزعجني جداً ـ هو أنني رأيت في جبهتكِ جرحاً صغيراً يقطر دماً . ليس في حياتنا شيءٌ أدعى الى التفكير والتأمل من الأحلام . وأنا من الذين يحلمون كثيراً ، بيد أنني أنسى أحلامي إلّا إذا كانت ذات علاقة بمن أحبهم . لا أذكر أنني حلمت في ماضيّ حلماً أوضح من هذا الحلم ، لذلك أراني مشوشاً مضطرباً مشغول البال في هذاالصباح . ماذا تعني رنّة التوجعّ في كلماتكِ الجميلة ؟ وما معنى الجرح في جبهتكِ ؟ وأي بشريّ يستطيع أن يخبرني مفاد انقباضي وكآبتي ؟

سوف أصرف نهاري مصلياً في قلبي . سوف أصلي لأجلكِ في سكينة قلبي . وسوف أصلّي لأجلنا .

والله يباركِكِ يا ميّ ويحرسكِ .

جبـــران

---

(١) « ماري » هو اسم « مي » الأصلي، الا انها اختارت الثاني مختصرة اسم « ماري » الى « مي » وهو الاسم العربي الجميل الذي تغنى به الشعراء. وقد غلب عليها واشتهرت به واصبح اسمها الأدبي والشخصي.

يا ميّ يا صديقتي[1]

ما أجمل هذه الصورة . ما أجمل وما أحلى هذه « البنيّة » وما أوضح دلائل الذكاء في عينيها وإمارات الاختبار النفسي في معانيها . لا . لم أرَ في حياتي وجه صغيرة مثل هذا الوجه فلو تفرسته سنة ١٩٠٤ لقلت مقرراً « إن وراء هذه الجبهة قوة غريبة ستظهرها الأيام ، ووراء هذا الثغر أغنية سترتلها الليالي » .

ما أجمل هذه الصورة يا مي وما أسعدني بها . لماذا يا ترى لم أحصل عليها قبل اليوم ولماذا لم أحصل على غيرها من الصور ؟ هل كان عدم حصولي على ما أتمناه مظهراً من مظاهر القضاء والقدر أو العدل الخفي او ناموس النواميس ؟ إن في عينيّ جوعاً وعطشاً الى الصور أمثال هذه فأي متى تشبع عيناي وأي متى ترتوي ؟

أعود فأقول إني أحب هذه الصورة حباً عظيماً ـ وسوف أحصل على صورة أخرى أحدث عهداً إن شاء الله إن شاء الله .

لا تحمل هذه الرسالة من جبران خليل جبران الى مي تأريخاً ولكنها كتبت في شهر حزيران عام ١٩٢١ على ابعد تقدير لاستهلالها بوصول صورة مي الى جبران التي طلبها منها باسلوبه الرمزي في رسالته المؤرخة في ٢١ أيار ١٩٢١ ، والمنشورة في الصفحة ٨٩ ـ ٩٣ من هذا الكتاب . وهي منشورة على

ولقد قصّ علي « الصبي » الجدي الحكايات العجيبة عن فتاتي . أما النبت اللطيف فكان يشرح لي بلغته الدقيقة بعض الألفاظ البائخة والجمل الضبابية فشكراً للصبي الكريم والنبت الرقيق على ما سمعته وسأسمعه منهما.

الله الله يا دنيا ! . . لقد انحدرت بنا صروف الدهر حتى صرنا أهلاً لتحرير نُنْعتُ فيه « بكريم الشيم الأجلّ الأمجد » وينتقل مطلعه متدرجاً من « غبّ » الى « نعرض » - نعم - وإذا بقينا حائزين على كافة ما يرام من « شريف بقائنا » فإننا سنصير عما قريب خليقين بتحرير يجيء فيه « وما خايس[1] علينا سوى قلة مشاهدتكم فقط » .

أما الجريمة الدولية التي جعلتنا حريّين بهذا الالتفات الخاص فهي طلبنا الرسالة المكتوبة على ورق بلدي مربع التسطير[2] ! لا بأس فنحن وإن دُمغنا « بغبّ » و« بنعرض » ورُجمنا « بالصحة » و« بالانشراح » نبقى صابرين مفاخرين بميزتنا على أيوب . . ولكن لتعلم سيدتي انه لو كانت تلك الرسالة في قبضتنا وكانت سيدتي الراغبة في الحصول عليها لبعثنا بها إليها « حالاً وسريعا » بيد أننا سنذهب غداً الى الغابة ونجلس في ظلال أجمل أشجارها ونكتب بقلم رصاص على ورق مربع التسطير رسالة طويلة بسيطة مجردة خالية من كل ما في الاجتماع من الكلفة ، ولكي نختبر ما اختبرته سيدتي من اللذة النفسية باحتفاظها على رسالتها سوف نحتفظ على رسالتنا[3] . ولتكون لذتنا تامة وخبرتنا عامة سنكتب رسالتنا بقلم رصاص .

الصفحات ١٥٦ - ١٥٨ من كتاب : « مي زيادة وأعلام عصرها - وثائق جديدة ١٩١٢ - ١٩٤٠ » جمع وتقديم وتحقيق سلمى الحفار الكزبري - مؤسسة نوفل بيروت ١٩٨٢ .

(١) كذا في الأصل والمقصود « وما ينقص »

(٢) أن في إحدى رسائل جبران لمي المنشورة في هذا الكتاب والمؤرخة في ٢١ أيار ١٩٢١ إشارة واضحة الى تلك الرسالة التي يطالب بها .

(٣) كذا في الأصل

أما « منازل الخلق » يا ميّ فلا خوف عليها من الاضطرابات والثورات فهي في مأمن من كل ما يحدث لي او يحدث في محيطي . ان العلة في الكتلة الآلية وليست في الاناء المعنوي وقد يختلج جسدي في بعض الأحايين اختلاج أوراق الخريف اما روحي فتبقى ساكنة مستسلمة الى أحلامها الهادئة إن الله يبني تلك « المنازل » من عناصر لا يتأثر جوهرها من هياج عناصر أجسامنا بل تظل مغمورة بطمأنينة علوية .

ما أنا في هذه الأيام إلا بوّاب هذا « المنزل » فإن جرفني التيار بعد سنة . . .[1] .

---

(١) عثرت على هذه الرسالة بين أوراق الأديبة المرحومة جهان غزاوي عوني ، منقولة عن الأصل الذي أطلعتها عليه ميّ في عام ١٩٣٨ ، وقد ذيّلتها بحاشية مفادها ان هذه الرسالة غير كاملة .

المحققة : سلمى الحفار الكزبري

نيويورك ٩ أيار ١٩٢٢

صديقتي الفاضلة ،

تسألينني يا سيدتي ما إذا كنت وحيد الفكر والقلب والروح ، فبما يا ترى أجيبكِ ؟ أشعر أن وحدتي ليست بأشدّ ولا بأعمق من وحدة غيري من الناس . كلنا وحيد منفرد . كلنا سرّ خفي . كلنا محجوب بألف نقاب ونقاب ، وما الفرق بين مستوحد ومستوحد سوى أن الأول يتكلم عن وحدته والثاني يظل صامتاً . وقد يكون في الكلام بعض الراحة ، وقد يكون في الصمت بعض الفضيلة .

لا أدري يا سيدتي ما إذا كانت وحدتي بما فيها من الكآبة مظهراً « **لهوى بعض شخصياتي** » أو برهاناً على عدم وجود شخصيّة في هذا الكائن الذي أدعوه « **أنا** » ، لا ، لا أدري . ولكن إذا كانت الوحدة عنوان الضعف فأنا بدون شك أضعف الناس .

أما مقالة « **نفسي مثقلة بأثمارها** » فلم تكن « **أنّة شاعر في ساعة غمّ عابرة** » بل « **صدى لعاطفة عمومية قديمة مستتبّة شعر ويشعر بها الكثيرون** » ، وسيدتي تعلم أن ميلنا الى سكب ما في أرواحنا في كؤوس الآخرين لأشد بما لا يُقاس من الرغبة في الارتواء مما يسكبه الآخرون في كؤوسنا . تلك صفة لا تخلو من الغرور في بعض الأحايين ولكنها طبيعية .

ما أحسن قولكِ « **إن كربة الوحدة وتباريحها تشتدّ وسط الجماهير** » . هذه حقيقة أوليّة . فكم مرّة يجلس الواحد منا بين اترابه ومريديه فيحدثهم ويجادلهم ويشاركهم بالأقوال والأعمال ـ يفعل كل ذلك بإخلاص ومسرة ، ولكن فعله لا يتعدى حدود الذات المقتبسة من عالم المظهر أما ذاته الأخرى ، ذاته الخفيّة ، فتبقى ساكنة مستوحدة في عالم المصدر .

الناس ، وأنا منهم ، ميّالون الى الدخان والرماد ، أما النار فيخافونها لأنها تُبهر العين وتحرق الأصابع . الناس ، وأنا منهم ، منصرفون الى درس ثنايا قشور بعضهم بعضاً ، أما اللباب فيتركونه وشأنه لأنه لا يقع تحت حواسهم . وكيف يستطيع اللباب ان يظهر إلاّ بكسر القشرة ؟ وليس من الأمور الهيّنة ان يمزّق المرءُ قلبه ليرى الناس مكنونات قلبه . وهذه هي الوحدة يا سيدتي ، وهذه هي الكآبة .

قد أسأتُ التعبير ـ وبشيء من القصد ـ عندما قلت لكِ في أواخر الصيف الغابر « **منذ ستة أسابيع وأنا أحاول الكتابة اليكِ** » كان يجب أن أقول « **منذ ستة أسابيع وأنا استأجر بعض الناس للاهتمام برسائلي لأن أعصاب يميني لم تكن صالحة للكتابة** » ولم أحلم قط بأن لفظة « **أحاول** » ستتحول الى مبضع في يد صديقتي . كنت أتوهم أن الروح المجنّحة لا تسجن في قفص من الألفاظ . وكنت أتوهم ان الضباب لا يتحجّر . وكنت أتوهم وأتوهم وأجد الراحة والطمأنينة في أوهامي ، حتى إذا ما طلع الفجر واستيقظت وجدتني جالساً على رابية من رماد وفي يدي قصبة مرضوضة وعلى رأسي إكليل من الشوك . . لا بأس فأنا المخطىء ، أنا ، أنا المخطىء يا « ميّ » .

أرجو أن تحقق الأيام رغبتكِ في السفر إلى أوروبا . سوف تجدين ، خصوصاً في ايطاليا وفرنسا ، من مظاهر الفن والصناعةما يسركِ ويبهجكِ . هناك المتاحف والمعاهد ، وهناك الكنائس القديمة الغوطية ، وهناك آثار نهضة القرنين ـ الرابع عشر والخامس عشر ، وهناك أفضل ما تركته الأمم المغلوبة

والأمم المنسيّة . أوروبا يا سيدتي مغارة لص غاو خبير يعرف قيمة الأشياء النفيسة ويعرف كيف يحصل عليها .

كان بقصدي الرجوع الى الشرق في الخريف الآتي . ولكن بعد قليل من التفكير وجدت أن الغربة بين الغرباء أهون من الغربة بين أبناء وبنات أمي . وأنا لست ممن يميلون الى الهينّ ولكن القنوط فنون كالجنون .

تفضلي بقبول تحيتي مشفوعة بأحسن تمنياتي والله يحفظك .

المخلص

جبران خليل جبران

نيويورك ــــ ٥ تشرين الأول ١٩٢٣

لا يا ميّ ، ليس التوتر في اجتماعاتنا الضبابية بل في اجتماعاتنا الكلاميّة . ما لقيتكِ في ذلك الحقل البعيد الهادىء إلا وجدتكِ الصبيّة العذبة العطوفة التي تشعر بكل الأشياء وتعرف كل الأشياء وتنظر الى الحياة بنور الله وتغمر الحياة بنور روحها . لكن ما اجتمعنا بين سواد الحبر وبياض الورق إلا رأيتكِ ورأيتني أرغب الناس في الخصام والمبارزة ـ المبارزة العقلية المفعمة بالقياسات المحدودة والنتائج المحدودة .

الله يسامحكِ . لقد سلبتني راحة قلبي ، ولولا تصلّبي وعنادي لسلبتني إيماني . من الغريب أن يكون أحبّ الناس الينا أقدرهم على تشويش حياتنا .

يجب ألا نتعاتب ، يجب أن نتفاهم . ولا نستطيع التفاهم إلا إذا تحدثنا ببساطة الأطفال . أنتِ وأنا نميل الى الإنشاء بما يلازم الإنشاء من المهارة والتفنن والتنميق والترتيب . قد عرفنا ، أنتِ وأنا ، أن الصداقة والإنشاء لا يتفقان بسهولة . القلب يا ميّ شيءٌ بسيط ومظاهر القلب عناصر بسيطة ، أما الإنشاء فمن المركبات الاجتماعية . ما قولكِ في أن نتحول عن الإنشاء إلى الكلام البسيط ؟

« أنت تحيين فيَّ وأنا أحيا فيكِ ، أنتِ تعلمين ذلك وأنا أعلم ذلك » .

أليست هذه الكلمات القليلة أفضل بما لا يقاس من كل ما قلناه في

الماضي ؟ ماذا يا ترى كان يمنعنا عن التلفظ بهذه الكلمات في العام الغابر ؟ أهو الخجل أم الكبرياء أم الاصطلاحات الاجتماعية أم ماذا ؟ منذ البدء عرفنا هذه الحقيقة الأولية فلماذا لم نظهرها بصراحة المؤمنين المخلصين المتجردين ؟ لو فعلنا لكنا أنقذنا نفسينا من الشك والألم والندم والسخط **والمعاكسات** ، المعاكسات ، المعاكسات التي تحوّل عسل القلب إلى مرارة ، وخبز القلب الى تراب . الله يسامحكِ ويسامحني .

يجب أن نتفاهم ، ولكن كيف نستطيع ذلك بدون أن يقابل الواحد منا صراحة الآخر بالتصديق التام ؟ أقول لكِ يا ماري ، أقول لكِ أمام السماء والأرض وما بينهما ، أنني لست ممن يكتبون « **القصائد الغنائية** » ويبعثون بها الى الشرق وإلى الغرب كرسائل خصوصية ، ولست ممن يتكلمون صباحاً عن نفوسهم المثقلة بالأثمار وينسون مساءً نفوسهم وأثمارها وأثقالها ، ولست ممن يلمسون الأشياء المقدسة قبل أن يغسلوا أصابعهم بالنار ، ولست ممن يجدون في أيامهم ولياليهم الفسحات الفارغة فيشغلونها بالمداعبات الغزلية ، ولست ممن يستصغرون أسرار أرواحهم وخفايا قلوبهم فينشرونها أمام أيّة ريح تهبّ ، أنا كثير الأشغال مثل بعض الرجال الكثيري الأشغال ، أنا أتوق الى العظيم والنبيل والجميل النقي مثل بعض الرجال الذين يتوقون الى العظيم والنبيل والجميل والنقيّ ، وأنا غريب مستوحد مستوحش مثل بعض الرجال المستوحدين المستوحشين رغم سبعين ألف صديقة وصديق . وأنا مثل بعض الرجال ، لا أميل إلى البهلوانيات الجنسية المعروفة عند الناس بأسماء حسنة ونعوت أحسن ، وأنا يا ميّ مثل جاركِ وجاري ، أحبُّ الله والحياة والناس ، ولحد الآن لم تطلب مني الأيام أن ألعب دوراً لا يليق بجاركِ أو بجاري .

لما كتبت إليك في البداية كانت رسالتي دليلاً على ثقتي بك ، لما جاوبتني كان جوابكِ دليلاً على الشك . كتبتُ اليكِ مضطرّاً فأجبتني متحذّرة . حدثتكِ عن حقيقة غريبة فأجبتني بكل لطف قائلةً « **عافاك يا شاطر ، ما أحسن**

قصائدك الغنائية . » أنا أَعلم جيداً أنني لم أتّبع إذ ذاك السبل المألوفة . وأنا لم أتّبع ولن أتّبع السبل المألوفة . وأنا أعلم ان تحذرك كان من الأمور المنتظرة ، وهذا، هذا هو سبب ألمي، لأنني لم أنتظر المُنتظر. لو كتبتُ لغير ميّ لكان عليَّ ان أنتظر المنتظر . ولكن هل كان بإمكاني إظهار تلك الحقيقة لغير ميّ ؟

والغريب أنني لم أندم بعد ذلك . لا لم أندم بل بقيت متمسكاً بحقيقتي راغباً في إظهارها لكِ ، فكتبت إليكِ مرّات عديدة وكنت أحصل بعد كل مرة على الجواب اللطيف ، ولكن من غير ميّ التي أعرفها . كنت أحصل على الجواب اللطيف من كاتمة أسرار ميّ ، وهي صبية ذكية تعيش في القاهرة بمصر . ثم ناديت وناجيت ، وكنت أحصل على الجواب نعم كنت أحصل على الجواب ولكن ليس من تلك التي « أحيا فيها وتحيا فـيَّ » بل من امرأة متحذّرة متشائمة تأخذ وتعطي معي كأنها المدّعي العمومي وكأنني المدّعى عليه .

وهل أنا ناقم عليكِ ؟

كلاّ ، لكنني ناقم على كاتمة أسرارِكِ .

وهل حكمت عليكِ حكماً عادلاً أم غير عادل ؟

كلاّ ، لم أحكم أبداً . إن قلبي لا ولن يسمح بإيقافك أمام منصّة القضاء ، قلبي لا ولن يسمح لي بالجلوس عليها . ان ما بنا يا ميّ يقصينا عن جميع المحاكم . ولكن لي رأي في كاتمة أسرارِكِ وهو هذا :

كلما جلسنا لنتحدث تدخل علينا حضرتها وتجلس قبالتنا كمن يستعد لتدوين وقائع جلسة من جلسات مؤتمر سياسي . أسألكِ ، أسألكِ يا صديقتي ، هل نحن بحاجة الى كتمة الأسرار؟ هذا سؤال مهم . إذا كنتِ حقيقةً بحاجة الى كاتمة أسرارِكِ فعليَّ إذاً ان استدعي كاتم أسراري لأنني أنا أيضاً أريد تسيير أشغالي على الطراز الأول ! أتريدين كاتم أسراري أن يكون معنا ؟

انظري يا ميّ : ههنا طفلان جبلاويان يمشيان في نور الشمس ، وهناك أربعة أشخاص امرأة وكاتمة أسرارها ورجل وكاتم أسراره . ههنا طفلان يسيران يداً بيد، يسيران بإرادة الله إلى حيث يريد الله ، وهناك أربعة أشخاص في مكتب يتجادلون ويتحاجّون ويقومون ويقعدون وكل منهم يحاول إثبات ما يظنه حقاً له على حساب ما يظنه بُطلاً في الآخر . ههنا طفلان ، وهناك أربعة أشخاص ، فإلى أية جهة يميل قلبكِ ؟ قولي لي إلى أيّة جهة ؟

آه لو كنتِ تعلمين مقدار تعبي مما لا لزوم له . لو كنت تعلمين مقدار حاجتي الى البساطة . لو كنت تعلمين مقدار حنيني الى المجرّد ، المجرّد الأبيض ، المجرد في العاصفة ، المجرد على الصليب ، المجرد الذي يبكي ولا يستر دموعه ، المجرد الذي يضحك ولا يخجل من ضحكة ـ لو كنتِ تعلمين ، لو كنتِ تعلمين .

« وماذا أنا فاعل في هذا المساء » ؟

ليس الوقت مساءً . نحن في الساعة الثانية بعد منتصف الليل فالى أي مكان تريدين أن نذهب في هذه الساعة المتأخرة ؟ الأفضل أن نبقى هنا . هـ في هذه السكينة العذبة . هنا نستطيع ان نتشوق حتى يدنينا الشوق من قلب الله . وهنا نستطيع ان نحبَّ البشرية حتى تفتح لنا البشرية قلبها .

ها قد قبّل النعاس عينيك .

لا تنكري أن النعاس قد قبَّل عينيكِ . لقد رأيته يقبلهما . قد رأيته يقبلهما هكذا ، هكذا كما يقبلون ، فالقي رأسك هنا ، إلى هذه الجهة ونامي ، نامي يا صغيرتي ، نامي فأنت في وطنكِ .

أما أنا فسوف أسهر، سوف أسهر وحدي . عليّ أن أبقى خافراً حتى الصباح . قد وُلدت لأبقى خافراً حتى الصباح .

الله يحرسكِ . الله يبارك سهري . الله يحرسك دائماً .

جبران

بوسطن ٣ تشرين الثاني ١٩٢٣

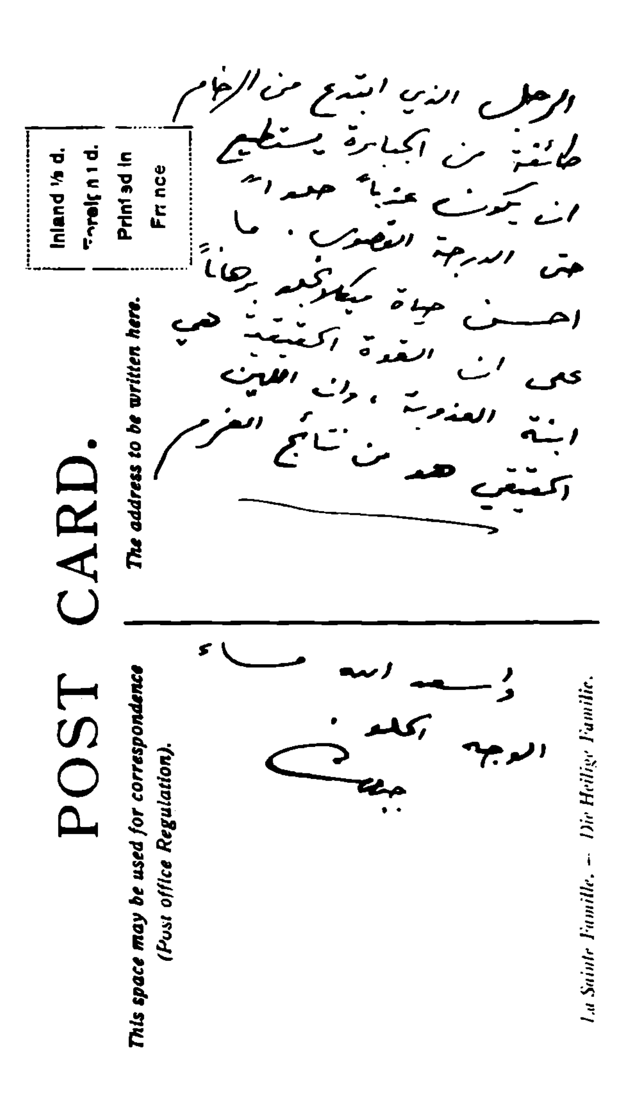
تلقت ميّ مغلفاً صدر بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٢٣ يتضمّن بطاقة بريدية تحمل رسالة قصيرة بدأها في أسفل الصورة وأتمّها على ظهرها، هذا نصها :

أنظري يا ماري ما أعظم ميكلانجلو. إن هذا الرجل الذي ابتدع من الرخام طائفة من الجبابرة يستطيع أن يكون عذباً حلواً حتى الدرجة القصوى . ما أحسن حياة ميكلانجلو برهاناً على ان القوة الحقيقية هي ابنة العذوبة ، وان اللين الحقيقي هو من نتائج العزم .

وأسعد الله مساء الوجه الحلو .

جبران





POST CARD.

Inland ½ d.
Foreign 1 d.
Printed in
France

The address to be written here.

This space may be used for correspondence
(Post office Regulation).

الرجل الذي ابتدع من الرخام
طائفة من الجبابرة يستطيع
أن يكون عذباً جداً
حتى الدرجة القصوى. ما
أحسن حياة ميكلانجلو برهاناً
على أن القوة الحقيقية هي
ابنة العذوبة، وأن اللين
الحقيقي هو من نتائج العزم

وأسعد الله مساء
الوجه الكلي.
جبران

La Sainte Famille. — Die Heilige Familie.

بوسطن ٨ تشرين الثاني ١٩٢٣

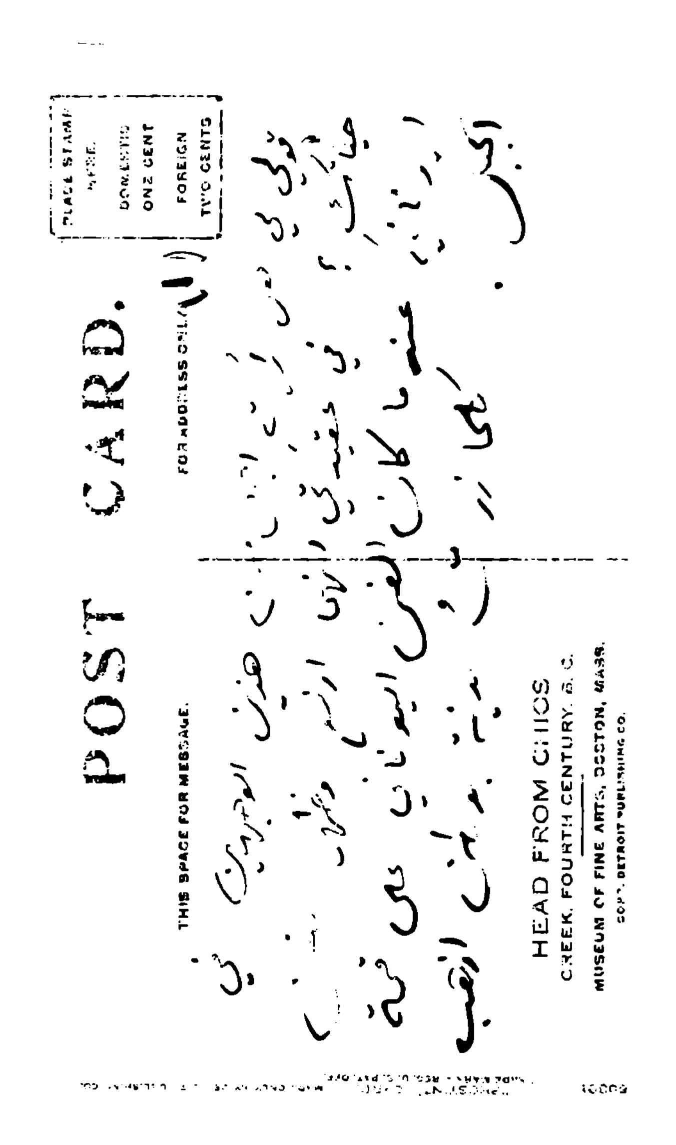
وفي ٨ تشرين الثاني ١٩٢٣ تلقت ميّ رسالة يحمل مغلفها هذا التاريخ وفيها صورتان رائعتان ، وعلى ظهرهما العبارات التالية :

« قولي لي هل رأيتِ أجمل من هذين الوجهين في حياتكِ ؟ في عقيدتي أنهما أرفع مظهر للفن اليوناني عندما كان الفن اليوناني على قمة الجبل . كلما زرتُ مدينة بوسطن أذهب الى متحفها وأسير توّاً الى « الغرفة اليونانية » وأجلس ساعةً امام الوجهين ، ثم أخرج من المتحف بدون أن ألتفت يميناً أو شمالاً ، لكي لا أزعج هذا الجمال القدسي بجمال آخر .

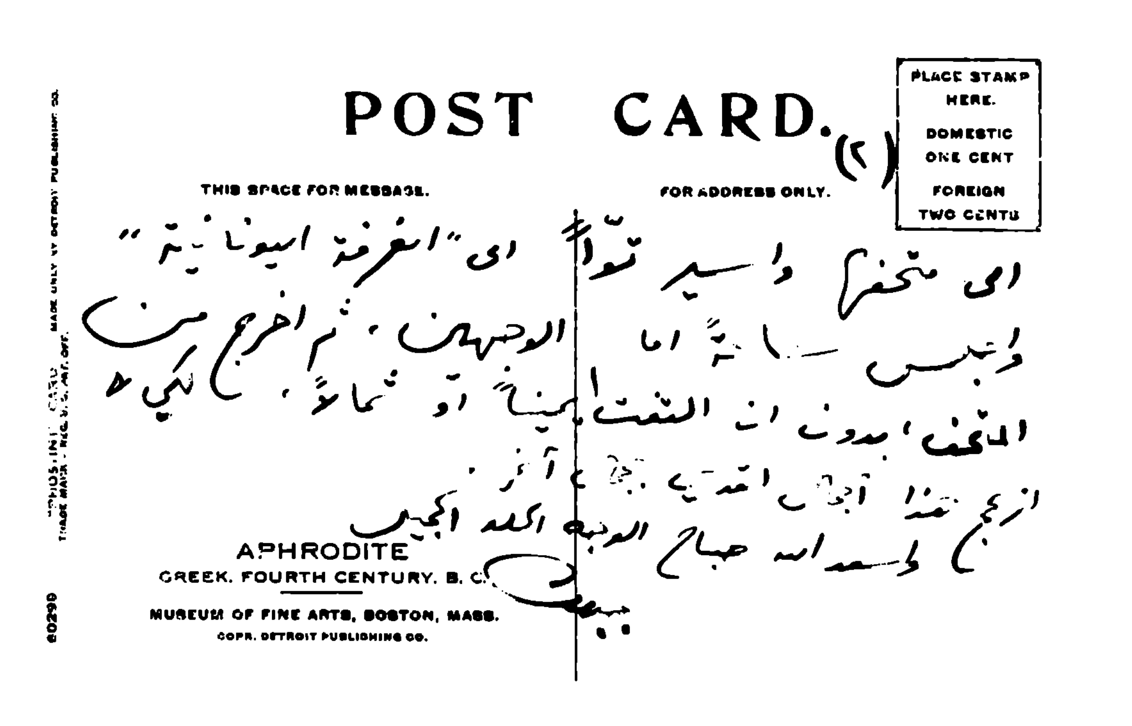
وأسعد الله صباح الوجه الحلو الجميل .

جبران




POST CARD.
PLACE STAMP HERE.
DOMESTIC ONE CENT
FOREIGN TWO CENTS
THIS SPACE FOR MESSAGE.
FOR ADDRESS ONLY.
HEAD FROM CHIOS
GREEK, FOURTH CENTURY, B. C.
MUSEUM OF FINE ARTS, BOSTON, MASS.
COPY. DETROIT PUBLISHING CO.





POST CARD. (٢)

PLACE STAMP HERE.
DOMESTIC ONE CENT
FOREIGN TWO CENTS

THIS SPACE FOR MESSAGE.

FOR ADDRESS ONLY.

اى متحف وأسير تواً الى "الغرفة اليونانية"
وتجلس ساعة امام الوجهين، ثم اخرج من
المتحف، بدون ان التفت يميناً او شمالاً، لكي لا
ازعج هذا الجمال العذب بجمال آخر.
أسعد الله صباح الوجه الكلي الجميل

جبران

APHRODITE
GREEK. FOURTH CENTURY. B. C.
MUSEUM OF FINE ARTS, BOSTON, MASS.
COPR. DETROIT PUBLISHING CO.

60299 APHROSTINT CARD TRADE MARK - REG. U.S. PAT. OFF. MADE ONLY BY DETROIT PUBLISHING CO.

نيويورك عند منتصف الليل
بين ١ و ٢ كانون الأول ١٩٢٣

ما أعذب رسالتكِ في قلبي . ما أحلاها في قلبي يا ميّ .

ذهبتُ الى البرّية منذ خمسة أيام ، ولقد صرفت الأيام الخمسة مودّعا الخريف الذي أحبه ، ورجعت الى هذا « الوادي » منذ ساعتين ، رجعت مثلّجاً ، مجلّداً ، ذلك لأنني قطعت مسافة أطول من تلك المسافة الكائنة بين الناصرة وبشرّي في سيارة مكشوفة .. ولكن .. ولكن رجعت فوجدت رسالتكِ ، وجدتها فوق رابية من الرسائل ، وأنت تعلمين ان جميع الرسائل تضمحل من أمام عينيَّ عندما أتناول رسالة من صغيرتي المحبوبة ، فجلست وقرأتها مستدفئاً بها . ثم أبدلت أثوابي . ثم قرأتها ثانيةً ، ثم ثالثةً ، ثم قرأتها ولم أقرأ شيئاً سواها . وأنا يا مريم لا أمزج الشراب القدسي بعصير آخر .

أنتِ معي في هذه الساعة . أنتِ معي يا ميّ ، أنت هنا ، هنا ، وأنا أحدثكِ ولكن بأكثر من هذه الكلمات ، أحدث قلبكِ الكبير بلغة أكبر من هذه اللغة ، وأنا أعلم أنكِ تسمعين ، أعلم أننا نتفاهم بجلاءٍ ووضوح ، وأعلم أننا اقرب من عرش الله في هذه الليلة منا في أيّ وقت من ماضينا .

أحمد الله وأشكره . أحمد الله وأشكره ، فقد رجع الغريب الى وطنه وعاد المسافر الى بيت أمه وأبيه .

في هذه الدقيقة مرّت بخاطري فكرةٌ جليلة ، جليلة جداً . فاسمعي يا

صغيرتي الحلوة : إذا تخاصمنا في المستقبل (هذا إذا كان لا بدّ من الخصام) يجب أن لا نفترق مثلما كنا نفعل في الماضي بعد كل معركة . يجب أن نبقى ، برغم الخصام ، تحت سقف بيت واحد حتى نملّ الخصام فنضحك ، او يملّنا الخصام فيذهب هازّاً رأسه .

ما قولكِ في هذا الرأي ؟

لنتخاصم ما شئنا وشاء الخصام ، فأنت من إهدن وأنا من بشرّي ، ويبدو لي ان المسألة إرثية ! ولكن مهما جرى في أيامنا الآتية علينا ان نبقى ناظرين الى وجهينا حتى تمرّ الغمامة . وإذا جاءت كاتمة أسرارك وجاء كاتم أسراري ، وهما دائماً سبب خصامنا ، يجب ان نخرجهما من بيتنا بكل لطف ، ولكن بأسرع وسيلة .

أنتِ أقرب الناس الى روحي ، وأنتِ أقرب الناس الى قلبي ، ونحن لم نتخاصم قط بروحينا او بقلبينا . لم نتخاصم بغير الفكر والفكر شيءٌ مُكتسب . شيءٌ نقتبسه من المحيط ، من المرئيات ، من مآتي الأيام . أما الروح والقلب فقد كانا فينا جوهرين علويين قبل ان نفتكر .

وظيفة الفكر الترتيب ، وهي وظيفة حسنة ولازمة لحياتنا الاجتماعية ولكن لا مكان لها في حياتنا الروحية القلبية . يستطيع الفكر « الجليل » ان يقول « إذا تخاصمنا في المستقبل يجب ألا نفترق » ، يستطيع الفكر ان يقول هذا رغم انه هو هو نفسه سبب كل خصام ، ولكنه لا يستطيع ان يقول كلمة واحدة عن المحبة لا يستطيع ان يقيس الروح بمقاييس كلامه ولا يستطيع وزن القلب بموازين منطقه .

أحبُّ صغيرتي ، غير أنني لا أدري بعقلي لماذا أحبها ، ولا أريد ان أدري بعقلي . يكفي أنني أحبها . يكفي أنني أحبها بروحي وقلبي ، يكفي انني أسند رأسي الى كتفها كئيباً غريباً مستوحداً فرحاً مدهوشاً مجذوباً ، يكفي أن

أسير الى جانبها نحو قمة الجبل وأن أقول لها بين الآونة والأخرى « أنتِ رفيقتي ، أنتِ رفيقتي » .

يقولون لي يا ميّ أنني من محبّي الناس ، ويلومني بعضهم لأنني أحب جميع الناس ، نعمٍ ، أحب جميع الناس ، أحبهم بدون انتخاب وبدون غربلة ، أحبهم كتلةً واحدة ، أحبهم لأنهم من روح الله ولكن لكل قلب قبلة خاصة ، لكل قلب وجهة ذاتية يتحول إليها ساعات انفراده ، لكل قلب صومعة يختلي فيها ليجد راحته وتعزيته ، لكل قلب قلب يشتاق الى الاتصال به ليتمتع بما في الحياة من البركة والسلامة او لينسى ما في الحياة من الألم .

شعرتُ منذ أعوام بأنني وجدت وجهة قلبي ، وكان شعوري حقيقةً بسيطة واضحةً جميلةً ، لذلك تمرّدت على القديس توما عندما جاء مشككاً مستفحصاً . وسوف أتمرّد على القديس توما وبنصر القديس توما حتى يتركنا في خلوتنا السماوية مستسلمين الى إيماننا السماوي .

ها قد بلغنا ساعةً متأخرة من الليل ولم نقل بعد سوى القليل القليل مما نريد ان نقوله . الأفضل ان نتحدث ساكتين حتى الصباح . وعند الصباح ستقف صغيرتي المحبوبة بجانبي أمام أعمالنا الكثيرة. وبعد ذلك ، بعد انقضاء النهار ومشاكله ، سنعود ونجلس أمام هذا الموقد ونتحدث .

والآن قرّبي جبِهتكِ ، كذا ، ـ والله يباركِكِ ، والله يحرسكِ .

جبران

مساء الأحد

نيويورك ٢ كانون الاول الساعة العاشرة

لقد كان يومنا هذا مفعماً بالأعمال . منذ الساعة التاسعة صباحاً حتى هذه الساعة ونحن نودّع قوماً لنسلّم على قوم آخرين . غير أنني كنت أنظر نحو رفيقتي بين الدقيقة والدقيقة وأقول لها : أحمد الله وأشكره ، أحمد الله وأشكره فقد تلاقينا ثانيةً في غابتنا وفي جيب كلّ منا رغيف من الخبز بدلاً من كتاب او لوح تصوير . أحمد الله وأشكره فقد عدنا لنرعى قطيعنا في الوادي الهادىء بعد أن كنا أستاذين في مدرسة ! أحمد الله وأشكره لأن مريم الحلوة تسمعني صامتاً مثلما أسمعها صامتةً ، وتفهمني مشغوفاً مثلما أفهمها عطوفة .

لقد حمدت الله وشكرت النهار وطوله لأن ميّ كانت طول النهار تتكلم بلساني وتأخذ بيدي وتعطي بيدي . وكنت طول النهار أنظر بعينيها فأرى اللطف في وجوه الناس ، وأصغي بأذنيها فأسمع العذوبة في أصواتهم .

وأنتِ تسألين عن صحتي ، وعندما تسألين عن صحتي تتحوّل بنيتي الى أمّ كلها حنان . صحتي جيدة جداً . فقد ذهبتْ تلك العلّة وتركتني قوياً متحمساً رغم البياض الذي تركته في شعر صدغيَّ ! والغريب أنني داويت نفسي بنفسي فكنت عملياً إجرائياً بعد ان تقرّر لديّ ان الأطباء خياليون هائمون في أودية الظنون والتخمين . لقد كانوا يهتمون بدرس **النتائج** ويحاولون إزالتها بالعقاقير أما الأسباب فلم يحفلوا بها . ولما كان « صاحب البيت أدرى بالذي فيه » ذهبتُ الى البحر والغاب وصرفت بينهما ستة أشهر

متوالية فزالت الأسباب وزالت النتائج .

ما قولكِ في وضع كتاب في « الطب الحديث » ؟ هل تشاركيني بتأليفه ؟ . . .

أمامنا الآن مسألة مهمّة علينا ان نبحث فيها : تذكرين طبعاً أنكِ أظهرتِ لي منذ أسابيع « سرّاً » هائلاً . وتذكرين أنك لم تظهري « السرّ » إلا بعد أن أقبل « شروطكِ » . والغريب انني قبلتها قبل أن أعرفها . فما هي تلك الشروط ؟ تفضلي يا ستي مريم وقولي لي ما هي شروطك فأنا مستعد لتنفيذها . لقد تردّدت كثيراً في إماطة النقاب عن « السر » فأصبحتِ بدون شك مشتاقةً الى تمزيق النقاب عن الشروط . قولي ماذا تريدين ؟ وما هي الضمانات او التعويضات التي ترغبين فيها ؟ إنما الشروط شروط ، وعلى المغلوب قبولها وتنفيذها ـ يكفي العالم مشكلة الروهر[1] .

ولكن ـ ولكن لا أخفي عنك أنني بعد تحقيق تلك الشروط سأنظر في أمر هذه النقرة ، او شبه النقرة ، التي تضحك من ذقني ! أتظنين أنني أصبر على شيء منخفض في ذقني يضحك مما برز منها ؟ كلّا !

سوف أستر هذه النقرة الشريرة التي لا تحترم محيطها « الموقّر بجموده ونقمته » ، سوف أدفنها في لحية كثيفة وطويلة ، سوف أكفنها بما ابيضّ من شعري ثم أضعها في تابوت مما بقي من سواده . نعم سوف أثأر لنفسي من هذه النقرة الوقحة التي تجهل أنها ملتصقة بمن إذا غضب غضبت الكائنات ، واذا ابتسم ابتسمت معه !

سنعود غداً الى حديثنا ، أما الآن فلنصعد الى السطح ونقف أمام نجوم

---

(١) الروهر Ruhr نهر في المانيا يجتاز منطقة صناعية غنية بمناجم الفحم والمعادن معروفة باسمه وقد احتلتها فرنسا ما بين عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٥ نتيجة لعدم تنفيذ بنود معاهدة فرساي .

الليل هنيهةً.. . قولي لي يا صغيرتي المحبوبة ،هل الليلِ أعمق وأروع من قلب الانسان ؟ وهل مواكب النجوم أهيب وأجمل مما يتمشّى في قلب الانسان ؟ وهل في الليل او بين النجوم شيء أقدس من هذه الشعلة البيضاء المرتعشة في يد الله ؟

جبران

٣ كانون عند منتصف الليل

بماذا أجيب على كلماتك بشأن كتاب « النبي » ؟ ماذا أقول لكِ ؟ ليس هذا الكتاب سوى القليل من الكثير الذي رأيته وأراه في كل يوم في قلوب الناس الصامتة وفي أرواحهم المشتاقة الى البيان . لم يقم في الأرض من إستطاع ان يأتي بشيءٍ من عنده كفرد واحد منفصل عن الناس كافّةً . وليس بيننا اليوم من يقدر على أكثر من تدوين ما يقوله الناس له على غير معرفة منهم .

إنما « النبي » يا ميّ أول حرف من كلمة . . توهّمتُ في الماضي ان هذه الكلمة لي وفيّ ومني ، لذلك لم أستطع تهجئة أول حرف من حروفها ، وكان عدم استطاعتي سبب مرضي ، بل وكان سبب ألم وحرَقة في روحي . وبعد ذلك شاء الله وفتح عينيّ فرأيت النور ، ثم شاء الله وفتح أذنيّ فسمعت الناس يلفظون هذا الحرف الأول ، شاء الله وفتح شفتيّ فردّدت لفظ الحرف : ردّدته مبتهجاً فرحاً لأنني عرفت للمرة الأولى ان الناس هم هم كل شيء وأنني بذاتي المنفصلة لست شيئاً . وأنتِ أعرف الناس بما كان في ذلك من الحرّية والراحة والطمأنينة ، أنتِ أعرف الناس بشعور من وجد نفسه فجأةً خارج حبس ذاتيته المحدودة .

وأنتِ يا ميّ ، أنتِ صغيرتي الكبيرة ، تساعدينني الآن على الاصغاء الى الحرف الثاني ، وسوف تساعدينني على لفظه ، وستكونين معي دائماً .

قرّبي جبهتك يا مريم ، قربيها ففي قلبي زهرة بيضاء أريد أن أضعها على جبهتكِ . ما أعذب المحبة عندما تقف مرتعشة مخجولة امام نفسها .

والله يباركك . الله يحرس صغيرتي المحبوبة ، والله يملأ قلبها بأناشيد ملائكته .

جبران

نيويورك ٣١ كانون الاول ١٩٢٣

تلقت ميّ مغلفاً صدر بتاريخ ٣١ كانون الأول ١٩٢٣ يتضمن بطاقة بريدية تحمل رسالة قصيرة بدأها في أسفل الصورة وأتمّها على ظهرها هذا نصّها :

كان هذا الوادي في الصيف الغابر يذكرني بأودية لبنان الشمالي .

لا ، لا أعرف عيشاً أهنأ من عيش الأودية . وأحبُ الأودية يا ماري في الشتاء، ونحن أمام موقد، ورائحة عود السرو المحروق تملأ البيت، والسماء تنثر الثلوج خارجاً ، والريح تتلاعب بها ، وقناديل الجليد مدلّاة وراء زجاج النوافذ ، وصوت النهر البعيد وصوت العاصفة البيضاء يتآلفان في مسامعنا . . ولكن اذا لم تكن صغيرتي المحبوبة قريبة مني فلا كان الوادي ، ولا الثلج ، ولا رائحة عود السرو ، ولا بلّور قناديل الجليد ولا أنشودة النهر ، ولا هيبة العاصفة . . بُعداً « **لها كلّها** » اذا كانت صغيرتي المباركة بعيدة عنها وعني .

وأسعد الله مساء الوجه الحلو المحبوب .

جبران

حاشية ـ كنت في الماضي أحصل على قصاصات الورق من « مكتب القصاصات ». وقد قطعت اشتراكي بهذا المكتب في العام الغابر. كنت قد مللت الجرائد واقوالها، وفي الملل شيء من النعاس الروحي. فسامحيني، سوف احاول الحصول على بعض القصاصات.



Postage:
United States and
Island Possession,
Cuba, Canada and
Mexico
One Cent
For all other
Countries
Two Cents

POST CARD

لا، لا اعرف عيشاً اهنأ من عيش
اوروبية . وحبذا اوروبة بالمارس
في الشتاء ، ونحن امام موقد ورائحة
عود السرو المحروق تملأ البيت ، وسماء
تنثر الثلوج خارجاً ، والريح تتلاعب بها . وقناديل
الجليد [illegible] مدلاة وراء زجاج النوافذ ، وصوت
النهر البعيد وصوت العاصفة [illegible]
في مسامعنا .. ولكن ازال لم تمكن
صغيرتي المحبوبة قريبة مني فلو كان
الوادي ، ولا الثلج ، ولا رائحة [illegible]
السرو ، ولا بلور قناديل الجليد ،
ولا انشودة النهر ولا نعيبة العاصفة
... بعداً !) لكن اذا كانت بعيدة
المباركة بعيدة [illegible] الحبيب
واسعد الله مساء الوجه [illegible]
جبران

حاشية - كنت في [illegible] وقد قطعت اشتراكي [illegible]
الدرس في مكتب [illegible] . كنت قد سمعت [illegible]
بهذا المكتب في ايام [illegible]

THIS SIDE IS FOR THE ADDRESS ONLY.

5594 Published by The New England News Company, Boston, Mass., Leipzig, Dresden.

بوسطن ١٧ كانون الثاني ١٩٢٤

وتلقت ميّ مغلفاً صدر بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩٢٤ يتضمن ثلاث بطاقات بريدية تمثل رسوماً بريشة « دي شافان »[١] خطّ جبران على ظهورها رسالة هذا نصّها :

كنت أقول وأنا في فجر حياتي أن « ده شيفان » أكبر مصوّر فرنسي بعد « ده لا كِرْوا »[٢] و« كاريِرْ »[٣] ، أما اليوم وقد بلغتُ عصر الحياة صرت أقول أن ده شيفان أكبر مصوري القرن التاسع عشر على الاطلاق لأنه أبسطهم قلباً ، وأبسطهم فكراً ، وأبسطهم تعبيراً ، ولأنه أطهرهم نيّة ، بل صرت أقول أن ده شيفان بين الفنيين مثل سبينوزا[٤] بين الفلاسفة .

وكنت في فجر حياتي أجيء هذه المكتبة العمومية (بمدينة بوسطن) وأقف مسحوراً أمام هذه الصور ـ واليوم أنا في بوسطن وقد زرت المكتبة ووقفت بجانب مريمتي المحبوبة أمام الصور نفسها ، ورأيت فيها جمالاً لم أرَه في

---

(١) بوفيس (بيير) دي شافان Puvis (Pierre) De Chavannes (١٨٢٤ ـ ١٨٩٨) رسام فرنسي اشتهرت لوحاته ببساطة الوانها وتناسق مواضيعها .

(٢) أوجين دولاكروا Eugène Delacrois (١٧٩٨ ـ ١٨٦٣) رسام فرنسي كان مجددا وجريئا ويعتبر زعيم المدرسة الرومنطيقية .

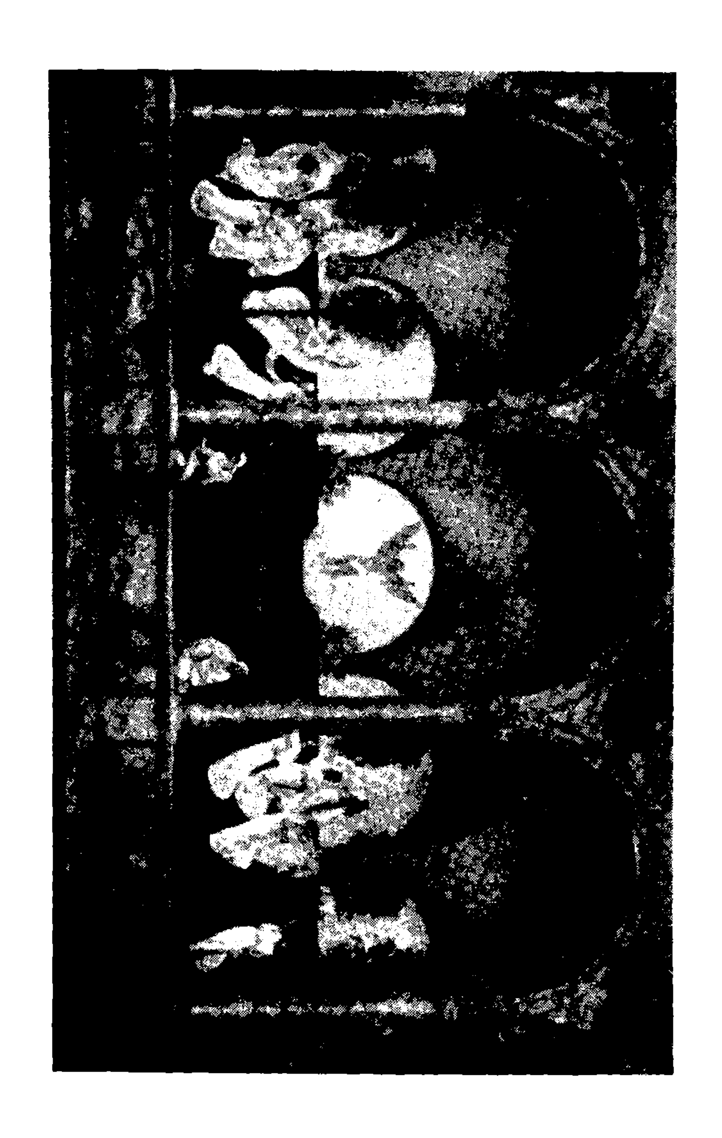
(٣) أوجين كاريير Eugène Carrière (١٨٤٩ ـ ١٩٠٦) رسام ومصور فرنسي مشهور .

(٤) سبينوزا Spinoza (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) فيلسوف هولندي مشهور بنظرياته الدينية العقلانية .

السنين الغابرة ـ ولو لم تكن مريمتي معي لما رأيت شيئاً ، فالعين بدون النور ثلمة في الوجه ، لا أكثر ولا أقلّ .

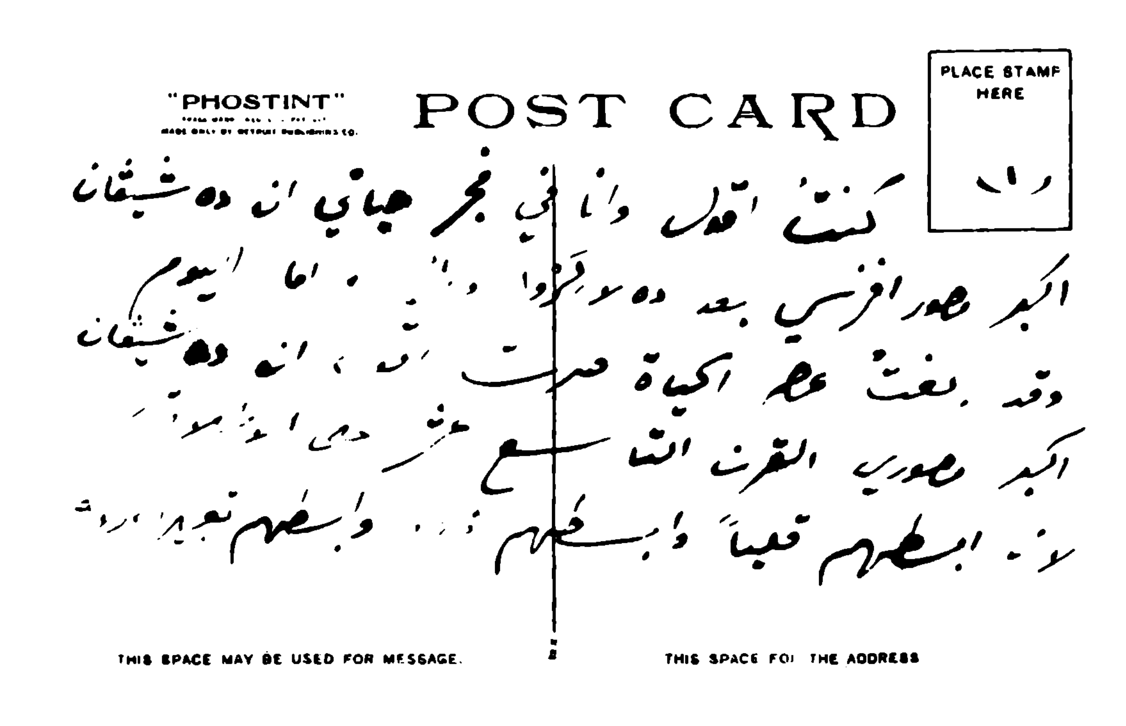
وهلاّ قربت جبهتك الحلوة قليلا ؟ كذا ـ كذا . ليسكب الله نوره على هذه الجبهة الحلوة ـ آمين .

جبران

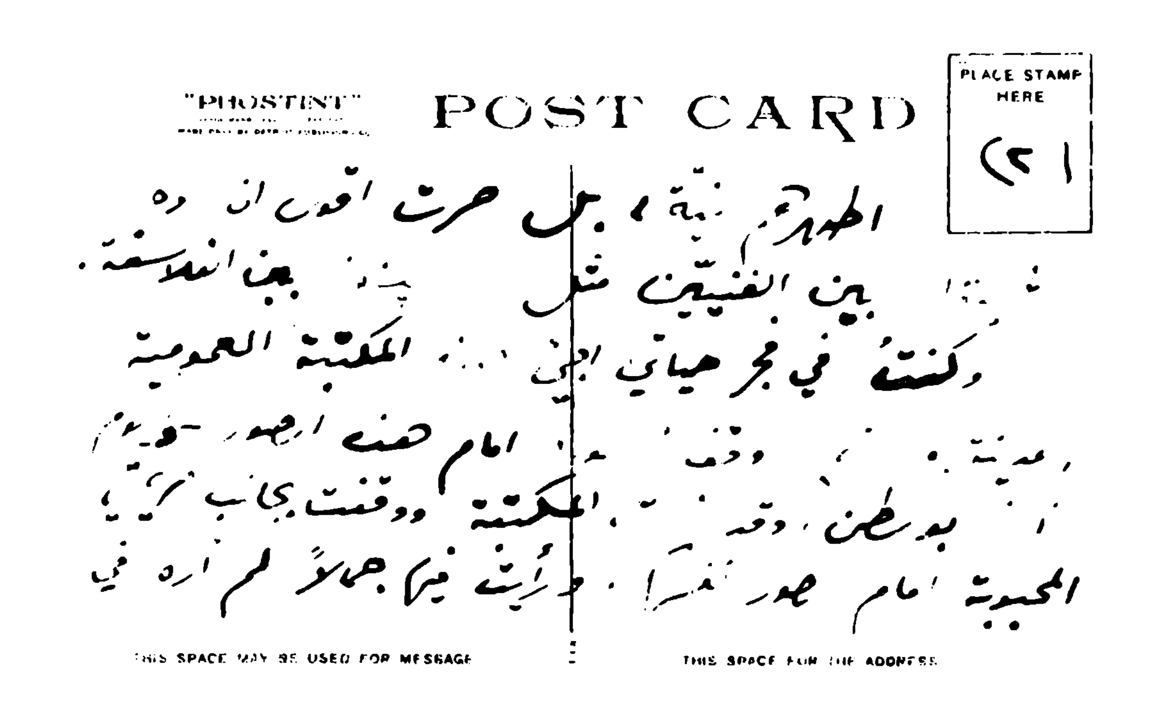


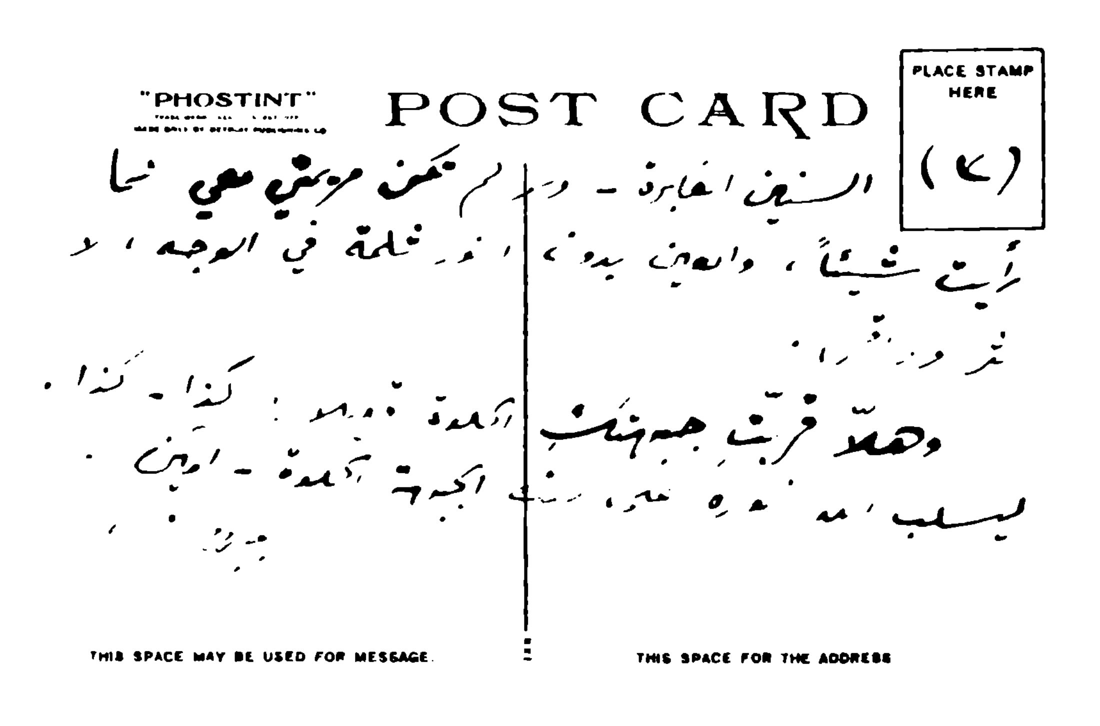






"PHOSTINT"
POST CARD
PLACE STAMP HERE
كنت اقول وانا في فجر حياتي [illegible]
اكبر مصور افرنسي بعد [illegible]
وقد بلغت عصر الحياة صرت [illegible]
اكبر مصوري القرن التاسع عشر [illegible]
[illegible] ابسطهم قلباً وابسطهم [illegible]
THIS SPACE MAY BE USED FOR MESSAGE.
THIS SPACE FOR THE ADDRESS


"PHOSTINT"
POST CARD
PLACE STAMP HERE
(٢١)
THIS SPACE MAY BE USED FOR MESSAGE
THIS SPACE FOR THE ADDRESS



"PHOSTINT"

POST CARD

PLACE STAMP HERE

(٤)

السنين الغابرة - ولم تكن مومتي معي شيئا

رأيت شيئاً، والعين بدون نور ظلمة في الوجه او

شر وزر ا

وهكذا قربت جبهتك الملعونة : كذا - كذا .

ليسلب الله نوره عنه الجبهة الملعونة - امين .

THIS SPACE MAY BE USED FOR MESSAGE.

THIS SPACE FOR THE ADDRESS

نيويورك ٢٦ شباط ١٩٢٤[1]

نحن اليوم رهن عاصفة ثلجيّة جليلة مهيبة ، وأنتِ تعلمين يا ماري أنني أحبّ جميع العواصف خصوصاً العواصف الثلجية . أحبّ الثلج ، أحب بياضه وأحب هبوطه وأحب سكوته العميق . وأحب الثلج في الأودية البعيدة المجهولة حيث يتساقط مرفرفاً ثم يتلألأ بنور الشمس ثم يذوب ويسير منشداً أغنيته المنخفضة .

أحب الثلج وأحب النار ، وهما من مصدر واحد ، ولكن لم يكن حبي لهما قط سوى شكل من الاستعداد لحبّ أقوى وأعلى وأوسع .

ما ألطف قول مَن قال :

يا ميّ عيدك يوم   وأنت عيد الزمان

وما أعظم الفرق بين هذا البيت العربي و« بيتٍ » لشاعر أماركي من قصيدة بعث بها إليّ في الآونة الأخيرة ، قال :

[2]« Your Honour and reward   That you shall be Crucified »

---

(١) وردت هذه الرسالة في مغلف تاريخ صدوره من نيويورك هو ٢٦ شباط ١٩٢٤ .

(٢) « في الصلب شرفك وثوابك »

لا بأس ـ على أنني أخشى بلوغ النهاية قبل الحصول على هذا الشرف وهذا الثواب .

لنعد هنيهة إلى « **عيدك** » أريد أن أعرف في أيّ يوم من أيام السنة قد ولدتْ صغيرتي المحبوبة . أريد أن أعرف لأنني أميل الى الأعياد والى التعييد . وسيكون لعيد ماري الأهمية الكبرى عندي . ستقولين لي « **كل يوم يوم مولدي يا جبران** » وسأجيبك قائلاً « **نعم ، وأنا أعيّد لك كل يوم ، ولكن لا بدّ من عيد خصوصي مرة كل سنة** » .

سررت بإبلاغكِ إياي أن ذقني ليست لي . سررت جداً جداً ، وأظن أن تسليم ذقني أول تلك « الشروط » الدوليّة . لقد كانت هذه الذقن مسرحاً للاهتمام غير اللازم وللتعب غير اللازم . والآن وقد صارت ذقني في حوزة سواي عليَّ أن أرفع عنها يدي ـ ومنجلي ! فليتحمّل من يملكها مسؤولياتها . بارك الله فيها لمن يملكها . ولي من ذكائك المدهش ما يوقفني عن الاسهاب في هذا الموضوع الزراعي .

كذا ـ أما بخصوص **الخلاف** الذي كان بين إهدن وبشرّي فقد زال بكلّيته ، ولقد قرأت في بعض الصحف أن « جمعية الشبيبة البشرّاوية » دعت « جمعية الشبيبة الإهدنية » إلى وليمة في مار سركيس بشرّي ، وبعد ذلك بأيام دعت الشبيبة الإهدنية الشبيبة البشراوية الى وليمة في مار سركيس إهدن . أنا أعتقد ان الخصام قد ابتدأ بالسركيسين القديسين ، غفر لهما الله ، وظل الخصام على قدم وساق حتى قام من البلدتين فتيان لا يعرفون شيئاً عن السراكيس . ولكن الوفاق بين إهدن وبشرّي لا يعني أننا (أنتِ وأنا) لن نحتاج في المستقبل الى صندوق الذهب « الحلو المليح » لا ، لا يعني هذا أبداً ، فأنت وأنا سنبقى متكلينْ على صندوق الذهب حتى يتّكل كلٌ منا على رفيقه .

أنظري يا محبوبتي العذبة كيف قادنا المزاح الى قدس أقداس الحياة .
عندما بلغتُ هذه الكلمة « رفيقة » ارتعش قلبي في صدري فقمت ومشيت ذهاباً وإياباً في هذه الغرفة كمن يبحث عن رفيقه . ما أغرب ما تفعله بنا كلمة واحدة في بعض الأحايين ـ وما أشبه تلك الكلمة الواحدة برنين جرس



SIC TRANSIT GLORIA MUNDI

ملحوظة : العبارة اللاتينية معناها : « هكذا يمضي مجد العالم » .

الكنيسة عند الغروب . إنها تحول الذات الخفيّة فينا من الكلام الى السكوت ، ومن العمل الى الصلاة .

تقولين لي أنك تخافين الحب . لماذا تخافينه يا صغيرتي ؟ أتخافين نور الشمس ؟ أتخافين مدَّ البحر ؟ أتخافين طلوع الفجر ؟ أتخافين مجيء الربيع ؟ لما يا ترى تخافين الحب؟.

أنا أعلم أن القليل في الحب لا يرضيك ، كما أعلم ان القليل في الحب لا يرضيني . أنت وأنا لا ولن نرضى بالقليل . نحن نريد الكثير . نحن نريد كل شيء . نحن نريد الكمال . أقول يا ماري ان في **الإرادة** الحصول ، فاذا كانت ارادتنا ظلاً من أظلال الله فسوف نحصل بدون شك على نور من أنوار الله .

لا تخافي الحب يا ماري ، لا تخافي الحب يا رفيقة قلبي ، علينا ان نستسلم إليه رغم ما فيه من الألم والحنين والوحشة ورغم ما فيه من الالتباس والحيرة .

إسمعي يا ماري : أنا اليوم في سجن من الرغائب . ولقد ولدتْ هذه الرغائب عندما ولدتُ . وأنا اليوم مقيّد بقيود فكرة قديمة ، قديمة كفصول السنة ، فهل تستطيعين الوقوف معي في سجني حتى نخرج الى نور النهار ، وهل تقفين الى جانبي حتى تنكسر هذه القيود فنسير حرَّين طليقين نحو قمة جبلنا ؟

والآن قربي جبهتكِ . قربي جبهتك الحلوة ـ كذا ، كذا . والله يباركك والله يحرسكِ يا رفيقة قلبي الحبيبة .

جبران

نيويورك ٢ تشرين الثاني ١٩٢٤

يا ماري ـ أنتِ تعرفين سبب سكوتكِ أما أنا فأجهله . وليس من العدالة أن يكون جهل المرء مصدراً لتشويش أيامه ولياليه .

الأعمال والأقوال بالنيات ، ولقد كانت نيّتي ولم تزل في راحة الله . أخبريني يا صغيرتي المحبوبة عما حدث لك أثناء العام الغابر . أخبريني واكسبي أجري .

والله يحرسك ويملأ قلبك من أنواره .

جبران

نيويورك ـــــ ٩ كانون الأول ١٩٢٤

ما أعذب صغيرتي المحبوبة تذكرني في صلاتها كل يوم. ما أعذبها وما أكبر قلبها وما أجمل روحها.

ولكن ما أغرب سكوت صغيرتي المحبوبة ، ما أغرب سكوتها . ذلك السكوت الطويل كالأبدية العميق كأحلام الآلهة ـ ذلك السكوت الذي لا يُترجم إلى أيّة لغة بشرية . ألا تذكرين أنه لما جاء دورك في الكتابة لم تكتبي ؟ أو لا تذكرين أننا تعاهدنا على معانقة الصلح والسلام قبل أن يعانق الليل الأرض ؟

وأنتِ تسألين عن حالي ، وعن « **خاطري** » ، وعن الأمور التي تشغلني ، أما حالي فهو مثل حالكِ مثل حالك تماماً يا ماري . أما خاطري فلم يزل في الضباب حيث اجتمعنا ـ أنتِ وأنا ـ منذ الف سنة . أما الأمور التي تشغلني في هذه الأيام فهي من الأمور المضطربة المشوشة ، تلك الأمور التي لا بُدّ لمن كان مثلي من اجتيازها ، رغب فيها ، أو لم يرغب .

الحياة يا مريم أغنية جميلة ، فبعضنا يجيء نبرةً في تلك الأغنية وبعضنا يجيء قراراً . ويبدو لي يا مريم أنني لست بالنبرة ولست بالقرار . يبدو لي أنني لم أزل في الضباب ، في ذلك الضباب الذي جمعنا منذ ألف سنة .

على أنني رغم كل شيء أشتغل مصوّراً أكثر الأيام وفي بعض الأيام

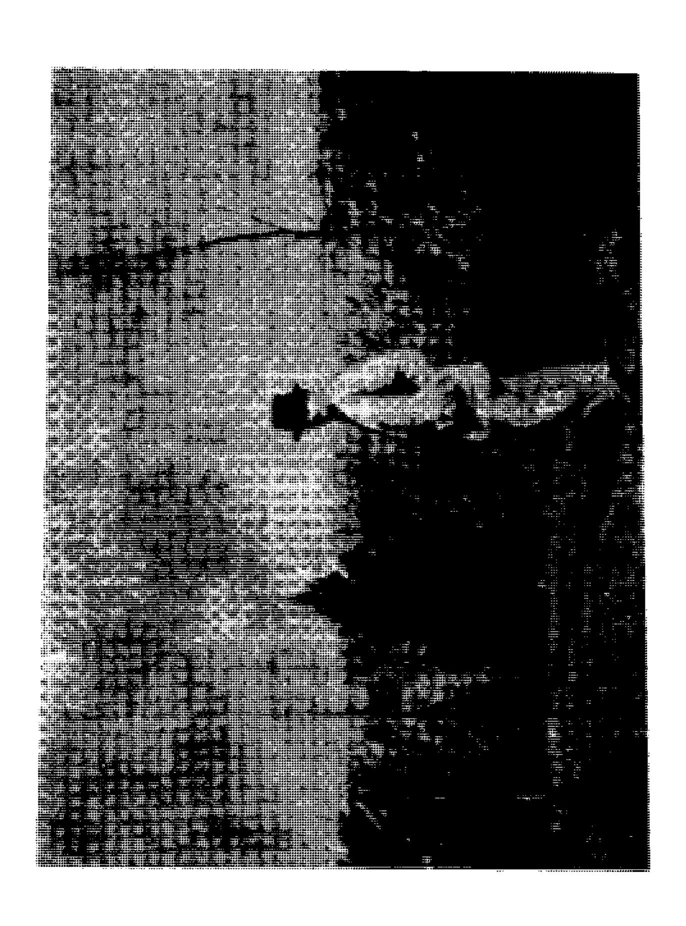
أهرب الى مكان بعيد في البرّية وفي جيبي دفتر صغير ـ وسوف أبعث اليك بشيء من هذا الدفتر يوماً ما .

هذا كل ما أعرفه الآن عن « أنا » فلنعد إن شئتِ إلى موضوعنا المهم ، لنعد الى حبيبتنا الحلوة : كيف حالك وكيف حال عينيكِ ؟ وهل أنت سعيدة في القاهرة مثلما أنا سعيد في نيويورك ؟ وهل تمشين ذهاباً وإياباً في غرفتك بعد منتصف الليل ؟ وهل تقفين بجانب نافذتك بين الآونة والأخرى وتنظرين الى النجوم ؟ وهل تلتجئين بعد ذلك إلى فراشك ، وهل تجففين ابتسامات ذائبة في عينيك بطرف لحافكِ ـ هل أنتِ سعيدة في القاهرة مثلما أنا سعيد في نيويورك ؟

أفكر فيك يا ماري كل يوم وكل ليلة ، أفكر فيك دائماً وفي كل فكر شيءٌ من اللذة وشيءٌ من الألم . والغريب أنني ما فكرت فيك يا مريم إلا وقلتُ لك في سرّي « تعالي واسكبي جميع همومك هنا ، هنا على صدري » وفي بعض الأحيان أناديك بأسماء لا يعرف معناها غير الآباء المحبين والأمهات الحنونات .

وها أني أضع قبلة في راحة يمينكِ ، وقبلة ثانية في راحة شمالكِ ، طالباً من الله أن يحرسك ويباركك ويملأ قلبك بأنواره ، وأن يبقيكِ أحب الناس إلى

جبران



ملحوظة: وقد ضمن جبران رسالته المؤرخة في ٢ تشرين الثاني ١٩٢٤ صورته المنشورة أعلاه.

نيويورك ١٢ كانون الثاني ١٩٢٥

يا ماري ـ كنت في السادس من هذا الشهر أفكّر فيكِ كل دقيقة بل كل لحظة ، وكنت أترجم كل ما يقوله لي القوم الى لغة ماري وجبران ـ وتلك لغة لا يفهمها من سكان هذا العالم سوى ماري وجبران . . وأنت تعلمين طبعاً أن كل يوم من أيام السنة هو يوم مولد كل واحد منا .

إن الأماركيين أرغب شعوب الأرض في التعييد وفي إرسال الهدايا والحصول عليها . ولِسِرٍّ خفي عني يعطف الأماركيون علي خلال هذه المواسم ، وفي السادس من هذا الشهر أوقعتني شدّة عطفهم مخجولاً أمام نفسي مغموراً بعرفان الجميل . ولكن يعلم الله أن الكلمة الحلوة التي جاءتني منكِ كانت أحبّ لديَّ وأثمن عندي من كل ما يستطيع الناس جميعهم ان يفعلوا أمامي . الله يعلم ذلك ، وقلبك يعلم .

وبعد التعييد جلسنا ، أنت وأنا ، بعيدين إلاّ عما بنا وتحدثنا طويلاً ، وقلنا ما لا يقوله سوى الحنين ، وقلنا ما لا يقوله سوى الأمل . ثم حدقنا بنجم بعيد وسكتنا . ثم عدنا إلى الكلام فتحدثنا حتى الفجر . وكانت يدكِ المحبوبة فوق هذا المكان الدقّاق حتى الفجر .

---

(١) وردت هذه الرسالة في مغلف تاريخ صدوره من نيويورك هو ١٢ كانون الثاني ١٩٢٥ .

والله يرعاكِ ويحرسك يا مريم . والله يسكب أنواره عليكِ . والله يحفظكِ لمحبّك .

جبران



ملحوظة : وفي نهاية هذه الرسالة رسم جبران اليد الظاهرة في هذه الصفحة مع الشعلة التي باتت شعارا لحبه لميّ كما هو واضح في المخطوطة الأصلية المصورة بكاملها في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

نيويورك ٦ شباط ١٩٢٥

وتلقت ميّ مغلفاً بتاريخ ٦ شباط ١٩٢٥ يتضمن بطاقة بريدية تمثل القديسة « آن » بريشة « ليوناردو دافنشي » خطّ جبران على ظهرها رسالة هذا نصها :

يا ماري ما رأيت أثراً من آثار « ليونردو دافنشي » إلا وشعرت بقوّة سحره تتمشّى في باطني ، بل وشعرت بجزء من روحه يتسرّب الى روحي . كنتُ صبيّاً عندما رأيت للمرّة الأولى بعض رسوم هذا الرجل العجيب . تلك ساعة سأذكرها ما حييت فقد كانت من تلك الأيام بمقام الأبرة المغنطيسية من سفينة تائهة في ضباب البحر .

وجدت هذه البطاقة اليوم بين أوراقي فرأيت أن أبعث بها اليكِ لتخبرك عن بعض تلك العوامل التي كانت تسيّر شبابي في أودية الكآبة والوحدة والشوق إلى ما لا أعرفه . والله يحرسكِ .

جبران



يا ماري. ما رأيت أثراً من آثار
ليوناردو دافنشي إلا وشعرت
بقوة سحرية تتمشى في باطن ذاتي
وشعرت بجزء من روحه يتسرب
إلى روحي. كنت صبياً عندما
رأيت بالمرة الأولى بعض رسوم هذا
الرجل العجيب. تلك ساعة سأذكرها

ما حييت فقد كانت من حياتي
في تلك الأيام بمقام الإبرة المغنطيسية من
سفينة تائهة في ضباب البحر.
وجدت [illegible] البارحة الرسم
بين أوراقي فرأيت أن أبعث بها
إليك لتخبرك عن بعض تلك العواطف
التي كانت تسيّر شبابي في أودية الكآبة
والوحدة والشوق إلى ما لا أعرفه. الله يحرسك
جبران

نيويورك ٢٣ آذار ١٩٢٥

يا ماري .

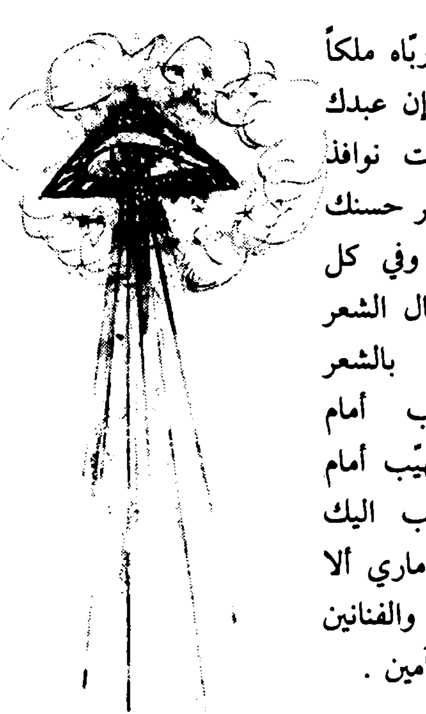
قد سببتْ لك تلك المحفظة الصغيرة القلق والانزعاج ، فاغفري لي . ولقد توهّمتُ أنني أرسلتها على أحسن السبل وأسهلها فجاءت النتيجة بالعكس ، فسامحيني يا صديقتي الحلوة واكسبي أجري .

إذاً قد قصصتِ شعركِ ؟ قد قصصت تلك الذوائب الحالكة ذات التموجات الجميلة ؟ ماذا يا ترى أقول لك ؟ ماذا أقول وقد سبق المقصّ الملام ؟ لا بأس ، لا بأس . عليّ أن أصدق ما قاله لك ذلك المزيّن الروماني . . رحم الله آباء جميع الرومانيين .

ولم تكتفِ صديقتي المحبوبة بأنها أخبرتني عن تلك الخسارة الفادحة بل شاءت أن تزيد « على الطين بلّة » فأخذت تحدّث « **فنانا شاعراً شغف بشعر الحضارة والشقرة ، فهو لا يروقه إلاّ الشعر الذهبي ، ولا يترنّم إلاّ بجمال الشعر الذهبي ، ولا يحتمل في الوجود إلا الرؤوس ذات الشعر الذهبي** » .

ربّي وإلهي ، اغفر لماري كل كلمة من كلماتها وسامحها واغمر هفواتها بأنوارك القدسية . أرها بالحلم أو باليقظة كثوليكية عبدك جبران في كل ما

ملحوظة : وردت هذه الرسالة في مغلف تاريخ صدوره من نيويورك هو ٢٣ آذار ١٩٢٥ .





يتعلق بالجمال . إبعث ربّاه ملكاً من ملائكتك ليقول لها إن عبدك هذا يسكن صومعة ذات نوافذ عديدة ، وإنه يرى مظاهر حسنك وجمالك في كل مكان وفي كل شيء . وإنه يترنم بجمال الشعر الحالك مثلما يترنم بالشعر الذهبي . وإنه يتهيب أمام العيون السوداء مثلما يتهيّب أمام العيون الزرقاء . وأطلب اليك ربي وإلهي أن توعز الى ماري ألا تهين وتحتقر الشعراء والفنانين بشخص عبدك جبران . آمين .

وبعد هذه الصلاة أتحسبين أنني استطيع الكلام عن الذقون المطبوعة ؟ كلا ! غير أنني سوف أبحث في هذه المدينة عن مزيّن روماني وأسأله ما إذ كان بإمكانه تحويلِ الذقون المطبوعة الى ذقون سهلة مستديرة - على البيكار ! هذا ولما كنت ضليعاً بفن الجراحة فأنا لا أخشى عملية جراحية !

لنعد الآن الى حال عينيك .

كيف حال عينيكِ يا ماري ؟ انتِ تعلمين ، أنتِ تعلمين بقلبك أن حال عينيك يهمني الى درجة قصوى . وكيف تسألين هذا السؤال وأنتِ تشاهدين بعينيك ما وراء الحجاب . أنت تعلمين أن القلب البشري لا يخضع الى نواميس القياسات والمسافات وأن أعمق وأقوى عاطفة في القلب البشري تلك التي نستسلم اليها ونجد في الاستسلام لذة وراحة وطمأنينة مع أننا ، مهما

حاولنا لا نستطيع تفسيرها او تحليلها . يكفي انها عاطفة عميقة قوية قدسية . فلم السؤال ولم الشك ؟ ومن منا يا ماري يستطيع أن يترجم لغة العالم الخفي الى لغة العالم الظاهر ؟ مَن منا يستطيع أن يقول « **في روحي شعلة بيضاء أما أسبابها فكذا وكذا ، وأما معناها فكذا وكذا ، وأما نتائجها فستكون كذا وكذا** » ؟ كفى المرء أن يقول لنفسه « **في روحي شعلة بيضاء** » .

قد سألت عن عينيكِ يا ماري لأنني كثيرُ الاهتمام بعينيك ، لأنني أحب نورهما ، وأحب النظرات البعيدة فيهما ، وأحب خيالات الأحلام المتموجة حولهما .

ولكن اهتمامي بعينيك لا يدل على أنني قليل الاهتمام بجبهتك وأصابعكِ .

الله يباركِك يا ماري المحبوبة ، ويبارك عينيكِ وجبهتكِ وأصابعكِ والله يحفظكِ دائماً .

جبران

بوسطن ٢٨ آذار ١٩٢٥

تلقت ميّ مغلفاً صدر بتاريخ ١٩٢٥/٣/٢٨ يتضمن بطاقة بريدية مصوّرة تمثّل لوحة لمانتيغنا[1] خطّ جبران عليها رسالة قصيرة هذا نصها :

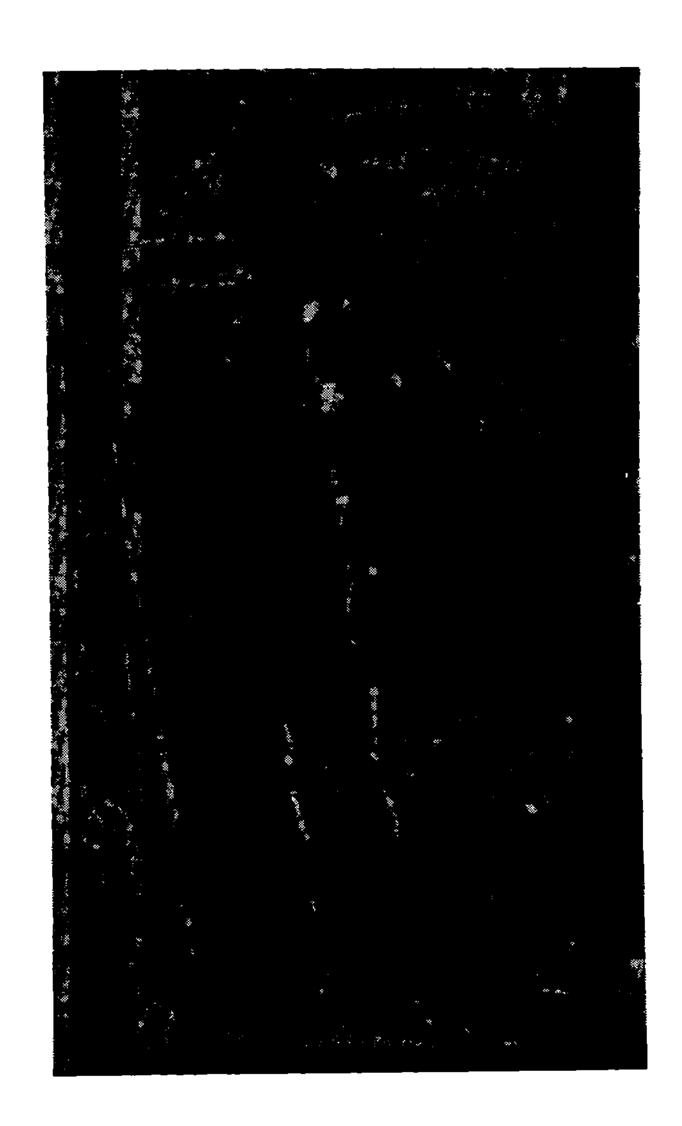
يا ماري ـ أنا شديد الاعجاب بمانتيغنا Mantegna وفي شرعي أن كل صورة من صوره قصيدة غنائية جميلة . ولكن عليك ان تزوري فلورنسة والبندقية وباريس لتشاهدي أعمال هذا الرجل الغريبة الشاذة بكل ما في الشذوذ من الالهام والوحي .

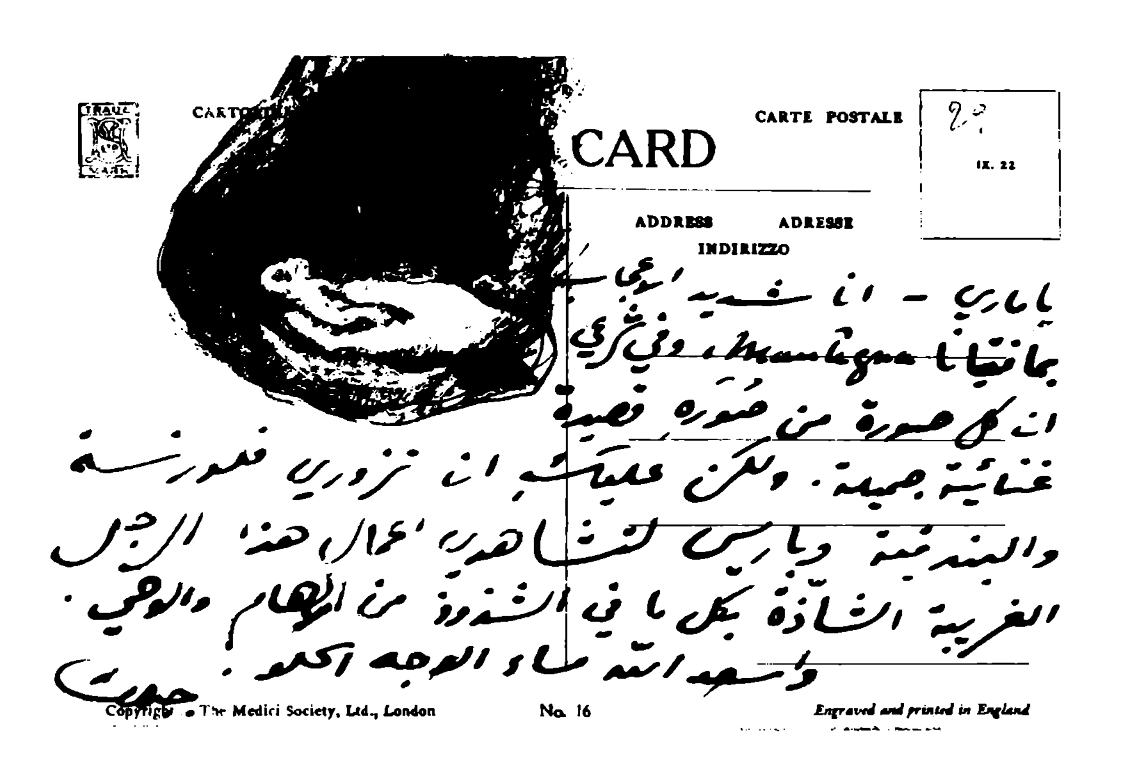
وأسعد الله مساء الوجه الحلو .

جبران

---

(١) أندريه مانتيغنا André Mantegna (١٤٣١ ـ ١٥٠٦) رسام ايطالي يعد من رواد عصر النهضة في أوروبا .





CARTOLINA — CARD — CARTE POSTALE

IX. 22

ADDRESS ADRESSE INDIRIZZO

يا ماري — انا شديد الإعجاب
بمانتينا Mantegna وفي رأيي
ان كل صورة من صوره قصيدة
غنائية جميلة. ولكن عليك ان تزوري فلورنسة
والبندقية وباريس لتشاهدي اعمال هذا الرجل
الغريبة الشاذة بكل ما في الشذوذ من الالهام والوحي.
وأسعد الله مساء الوجه الكحلي.
جبران

Copyright • The Medici Society, Ltd., London — No. 16 — Engraved and printed in England

نيويورك ٣٠ آذار ١٩٢٥

يا ماري

نعم . قد كنت صامتاً أثناء أربعة أسابيع ، أما السبب فهو الحمّى الاسبانية ـ لا أقل ولا أكثر .

أنا استصعب ، استصعب جداً ، الشكوى من علّة تلمُّ بي . فاذا مرضت رغبت في أمر واحد وهو الاختفاء عن عيون الناس ـ حتى عن عيون الذين أحبهم ويحبونني . وفي شرعي أن أحسن دواء للداء هو الانفراد التام .

أما صحتي الآن فهي حسنة ، بل أكثر من حسنة ، ولا أكتمك أنها قد صارت بهموطيّة (هكذا كان جبّار بشراوي يصف صحته عندما يسأله الناس عنها) .

« السائح »[1] الممتاز قد صدر متأخراً كالعادة . وقد خاطبت صاحب[2] « السائح » هذا الصباح بواسطة التلفون فقال لي انه قد بعث إليكِ ، ولم يزل يبعث إليكِ ، أعداد جريدته ممتازةً كانت أم غير ممتازة .

أما قولكِ يا مريم الحلوة ان صاحب « السائح » ناقم عليكِ لأنكِ لم

(١) و (٢) «السائح» جريدة مهجرية انشأها في نيويورك الشاعر عبد المسيح حداد عام ١٩١٢ وكان من اوائل المتحمسين للرابطة القلمية ومن انشط اعضائها، وقد استمرت في الصدور حتى عام ١٩٥٧ .

تبعثي اليه بمقال لعدده الممتاز فمن المبالغات الهائلة . أتظنين أن رجلاً في نيويورك ينقم عليكِ طالما وأنا في نيويورك ؟ قد قلت ألف مرة ومرة « **نحن لسنا بمعامل أدبية . نحن لسنا آلات تلقمونها الحبر والورق من جهة لتستخرجون المقالات والقصائد من جهة ثانية . نحن نكتب عندما نريد أن نكتب ، لا عندما تريدون أنتم ، فاعملوا المعروف معنا واتركونا وشأننا ، فنحن في عالم وأنتم في عالم آخر ، فلا منكم الينا ولا منا اليكم** » . ـ ما قولكِ في هذه اللهجة السربستيّة ؟ ـ ولكن فعلاً ـ بدون مزاح ـ ألا ترين ان أكثر أصحاب المجلات والجرائد يتوهمون أن فكرة الكاتب مثل الفونوغراف ذلك لأنهم ولدوا بفكرة فونوغرافيّة ؟

نحن هنا في أوا‍ ل الربيع ، ففي الهواء سحر ويقظة . وفي الروح فجر وشباب . أما الذهاب الى البرية فشبيه بزيارة كهّان وكاهنات عشتروت وتموز مغارة أفقا[1] .

وبعد أيام معدودة سيقوم يسوع من بين الأموات ليعطي الحياة لمن في القبور ، فتزهر أشجار اللوز والتفاح ، وتعود الأنغام الى السواقي والأنهار .

ستكونين معي كل يوم من أيام نيسان . وستكونين معي بعد ان ينقضي نيسان ـ كل يوم وكل ليلة .

والله يحرسكِ ويحفظكِ يا مريم المحبوبة .

جبران

---

(١) قرية في شمال لبنان توجد فيها آثار هيكل أدونيس (أو تموز) وعشتروت، ومغارة يتدفق فيها نهر « ابراهيم ». اما أدونيس فتى بيبلوس الجميل وآله الحب عند الفينيقيين فقد مسخته عشتروت زهرة واطلق القدماء اسمه على نهر « ابراهيم ».

نيويورك ــــ أيــار ١٩٢٧[1]

ما قولك في رجـل
الى جانب فراشه «رسالة»
عالٍ «صباح الخير»، أهلاً
بلجاجة العطشان ـ فماذا
قصيدة لشوقي بك!

لا بأس ـ سوف أبحث
ممتعة لناسج بردها حليم
كافياً وافياً وأبعث بها
لو جاءت قصيـدة
لاستظرفتُ النكتة وقلتُ
وما أعرفها بأحوال البريد
في أول أيار، شهر الورود،
أعضّ شفتي (هكذا يفعل
حانقاً متوعداً مفعماً فضاء

يستيقظ من غفلته صباحاً فيجد
من صديقة يحبّها فيقول بصوت
وسهلاً ثم يفتح «الرسالة»
يجد؟ لا أكثر ولا أقل من

فأحصل على قصيدة عامرة طويلة
أفندي دمّوس[2] فأشرحها شرحاً
اليك! «وأخذ الثار مُش معْيار»
شوقي بك في أول نيسان
في سرّي: «ما أحسنها صبيّة،
الدولي»، ولكن القصيدة جاءت
فماذا يا ترى أفعل سوى أن
بعض الرجال في حالة الغضب)
منزلي بالضجيج.

(١) وردت هذه الرسالة في مغلف تاريخ صدوره من نيويورك غير واضح.

(٢) حليم دموس: شاعر لبناني عاش في النصف الأول من القرن العشرين اشتهر بشعر المناسبات (١٨٨٨ ـ ١٩٥٧).

أجل ، سوف أدرس فلسفة « سن بسن وعين بعين » فأبعث اليك بكل ما تتكرم علينا به قرائح أمراء الشعر العربي .

أسألك الآن - كيف أستطيع أن أصرف ما بقي من هذا النهار كما يجب ان أصرفه قبل أن أغفر لك وأسامحك ؟ ان قصيدة أمير شعرائكم قد ألقتْ حفنةً من التراب في فمي ، وعليّ أن أغسل **الطعمة** بعشرين فنجان من القهوة وبعشرين سيجارة ، بل وعلي أن أقرأ عشرين قصيدة لكيتس[1] وشالي[2] وبليك[3] ، وقصيدة واحدة لمجنون ليلى ! !

وبالرغم من كل شيء ، افتحي كفّك .. كذا ، كذا كما يفعلون ..

جبران

---

(١) كيتس John Keats (١٧٩٥ - ١٨٢١) من أشهر الشعراء الانجليز الرومانسيين كتب فيه جبران قصيدة رائعة بعنوان « بحروف من نار » .

(٢) شالي Shelly (١٧٩٢ - ١٨٢٢) من معاصري كيتس ومن أشهر الشعراء الانجليز الرومانسيين اعجب به جبران اعجاباً عظيماً وذكره مراراً في رسائله إلى ماري هسكل .

(٣) بليك William Blake (١٧٠٧ - ١٨٢٧) احد اقوى المؤثرات الأدبية في خلق ذوق جبران الأدبي والفني ، واوجه الشبه بينه وبين جبران عديدة حتى ان جبران أخذ عنوان كتابه « دمعة وابتسامة » من بليك وحذا حذوه في بعض كتاباته .

نيويورك ـــــ ١٠ كانون الأول ١٩٢٩[1]

يا ماري ، يا صديقتي العزيزة .

عرفت اليوم ان والدكِ قد ذهب الى ما وراء الأفق الذهبي وأنه قد بلغ المحجّة التي يقصدها الناس كلهم ، فماذا يا ترى أقول لكِ ؟ أنتِ يا ماري أبعد فكراً وسمعاً من تلك الألفاظ التي يقولها الناس معزّين مواسين . ولكن في قلبي الرغبة والشوق الى الوقوف أمامك ، وفي قلبي الحنين الى ضمّ يدكِ بيديّ صامتاً شاعراً بكل ما يغمر روحكِ الحلوة على قدر ما يستطيع القريب الغريب ان يشعر بما تشعرين .

والله يباركِكِ يا ماري والله يحرسك كل يوم وكل ليلة .

والله يحفظكِ لصديقكِ .

جبران

---

(١) وردت هذه الرسالة في مغلف يحمل تاريخ الورود الى القاهرة (١٠ كانون الأول ١٩٢٩) .

نيويورك ١٧ كانون الأول ١٩٣٠.

Form No. 6a.

WESTERN UNION CABLEGRAM

THE WESTERN UNION TELEGRAPH COMPANY. ANGLO-AMERICAN TELEGRAPH Co. Ld.

RECEIVED AT 22, GREAT WINCHESTER STREET, LONDON, E.C. 2. (Tel. No. London Wall 0800.)

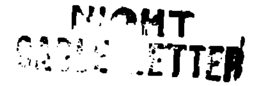
TAY2PZ 1355 DEC 17 AM 3 0

NEWYORK 39

CLT POST
MARIE ZIADAH
1 ELOUI PACHA ST
CAIRO....LONDON.

WAS AWAY THEN RECEIVED GRACIOUS AND SWEET LETTER CANNOT WRITE WITH SICK HAND THIS MESSAGE IS OF AFFECTION AND GOOD WISHES FOR HAPPY CHRISTMAS AND SINGING NEW YEAR

GIBRAN



No inquiry respecting this Message can be attended to without the production of this paper.

وهذه برقية صادرة من نيويورك بتاريخ ١٧ كانون الأول ١٩٣٠ تتضمن العبارات التالية :

كنت غائباً ثم تسلمت رسالتك الكريمة العذبة . لا أستطيع الكتابة بيدٍ مريضة . هذه رسالة محبة وتمنيات طيبة بمناسبة عيد ميلاد مجيد وسنة جديدة مفعمة بالأناشيد .

نيويورك ٢٦ آذار ١٩٣١



ملحوظة: كان هذا الرسم المهدى من جبران الى مي آخر ما أرسله اليها بتاريخ ٢٦ آذار ١٩٣١، وكأنما يؤكد لها به أن شعلتهما الزرقاء لن تنطفىء أبداً.

فهرس الرسائل

مؤلفات سلمى الحفار الكزبري

١) يوميات هالة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٥٠
٢) حرمان ـ قصص قصيرة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٢
٣) زوايا ـ قصص قصيرة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٥
٤) الوردة الوحيدة ـ شعر بالفرنسية ـ الأرجنتين ـ ١٩٥٨
٥) نساء متفوقات ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٦١
٦) عينان من اشبيلية ـ رواية ـ دار الكاتب العربي ـ بيروت ـ ١٩٦٥
٧) الغريبة ـ قصة قصيرة ـ مطبعة ألف باء ـ دمشق ـ ١٩٦٦
٨) نفحات الأمس ـ شعر بالفرنسية ـ مطبوعات باريس الأدبية ـ باريس - ١٩٦٦
٩) عنبر ورماد ـ سيرة ذاتية ـ دار بيروت ـ ١٩٧٠
١٠) في ظلال الأندلس ـ محاضرات ـ مطبعة ألف باء ـ دمشق ـ ١٩٧١
١١) البرتقال المرّ ـ رواية ـ دار النهار للنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٥
١٢) الشعلة الزرقاء ـ رسائل جبران خليل جبران الى ميّ زيادة ـ الطبعة الأولى : وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٧٩ .
١٣) جورج صاند : حب ونبوغ ـ مؤسسة نوفل ـ بيروت ـ ١٩٧٩
١٤) ميّ زيادة وأعلام عصرها ـ مؤسسة نوفل ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .

الرسائل المخطوطة

حضرة الأديبة الفاضلة

قد تذكرت بأشد كتابتي في تلك الشهور الخرساء التي مرت بدون خطاب ولا جواب، ولكنه لم يخطر لي ببالي كونك "شريرة". أما الآن، وقد صرحت لي بوجود الشر في روحك فلا يجمل بي سوى تصديقك فأنا أصدق وأثق بكل كلمة تقولينها لي! أنت بالطبع تفتخرين بقولك: "أنا شريرة". ويحق لك الافتخار لأن الشر قوة تضارع الخير بعزمها وتأثيرها. ولكن اسمحي لي أن أقول لك صراحة بأنك مهما تماديت بالشر فلا تبلغين نصف ما بلغته. فأنا شرير كالأشباح الساكنة في كهوف الجحيم بل أنا شرير كالروح السوداء التي تحرس أبواب الجحيم! وأنت بالطبع ستصدقين كلامي هذا!

غير أنني الآن لم أفهم الأسباب الحقيقية التي دعتك إلى استخدام الشر ضدي فهلا تكرمت بإفهامي؟ قد أجبت على كل رسالة تكرمت بها علي واستوضحت متعمقاً بمعاني كل لفظة تعطفت بهمسها في أذني فهل هناك أمر آخر كان يجب علي أن أفعله؟ ألم تبدعي لي من الأشياء ذنباً لتبيني لي

مقدرتك على الاقتصاص ؟ لقد فلحت واحسنت البيان . اما
انا فقد آمنت بالهتك الجديد الكلي المطلق الجامع بين اسفاف
"كالي" ربة الهند وشهامة "ديانا" معبودة الاغريق .

والآن وقد فهم كل منا ما في روح الآخر من الشر والميل الى
الاقتصاص فلنعد الى متابعة الحديث الذي ابتدأناه منذ عامين .
كيف انت وكيف حالك ؟ هل انت بصحة وعافية (كما يقول سكان لبنان) ؟
هل خلعت ذراعاً ثانية في الصيف الماضي ام منعتك ذلك من
ركوب الخيل فعدت الى البلد صحيحة الذراعين ؟ اما انا فصحتي اشبه شيء
بحديث السكران . وقد صرفت الصيف والخريف متنقلاً بين اعالي الجبال
وشواطئ البحر ثم عدت الى نيويورك احمل اوجه نحيل الجسم لمتابعة
الاعمال والمصارعة الاحلام - تلك الاحلام الغريبة التي تصعد بي
الى قمة الجبل ثم تهبط بي الى اعماق الاودية

وقد سررت باستنشاقك مجلة الفنون فهي افضل ما ظهر من
نوعها في العالم العربي اما صاحبها فهو فتى عذب النفس دقيق
الفكر وله كتابات لطيفة وقصائد مبتكرة ينشرها تحت اسم
"اليتيم" ومما يستدعي الاعجاب بهذا الشاب هو انه لم يدرك
شيئاً مما كتبه الافرنج الا وعرفه حق المعرفة . اما صديقنا امين
الريحاني فقد ابتدأ بنشر رواية جديدة طويلة في مجلة الفنون وقد
قرأ لي اكثر فصولها فوجدتها جميلة للغاية . ولقد اخبرت
صاحب الفنون بانك سوف تبعثين اليه بمقالة ففرح وبات يترقب .
بكل اسف اقول باني لا احسن الضرب على آلة
من آلات الطرب ولكنني احب الموسيقى محبتي الحياة ولي ولع

خاص يبين قواعدها ومبانيها ويعرّف بتاريخ نشأتها وارتقائها، فأنا أبتغي أيضاً أن أكتب رسالة طويلة في الأدوار العربية والفارسية وكيفية ظهورها وتدرجها وتناسخها. وأنا أميل للموسيقى الغربية بمقدار ميلي للأنغام الشرقية فلا يمر أسبوع إلا وأذهب مرةً أو مرتين إلى الأوبرا غير أني أفضل من البيانات الموسيقية الإفرنجية تلك القطع المعروفة بالسمفوني والسوناتا والكنتاتا على الأوبرا والسبب في ذلك خلو الأوبرا من البساطة الفنية التي تناسب أخلاقي وتتمايل مع أميالي. وإني يا آنسة أن أغبط يدكِ على عودكِ وعودكِ على يدكِ وأرجوكِ أن تتذكري أني مشغوفٌ بالسماع كلما ضربتِ نغم النهاوند على الأوتار فهو نغم أحبه ولي رأيٌ فيه يشابه رأي كارليل في النبي محمد.

وهل شعرتِ بذاتكِ أمام هيبة أبي الهول؟ عندما كنتُ في مصر كنت أذهب مرتين في الأسبوع وأصرف الساعات الطوال جالساً على الرمال الذهبية محدقاً بالأهرام وأبي الهول وكنت في ذلك العهد صبياً في الثامنة عشرة ذا نفس ترتعش أمام المظاهر الفنية ارتعاش الأعشاب أمام العاصفة، أما أبو الهول فكان يبتسم لي ويملأ قلبي بحزن عذب وندبات مستحبة.

أنا معجب مثلكِ بالدكتور شميل فهو واحد من القليلين الذين أنبتهم لبنان ليتقدموا بالنهضة الحديثة في الشرق الأدنى وعندي أن الشرقيين يحتاجون إلى أمثال الدكتور شميل حاجة ماسة كردّ فعل للتأثير الذي أوجده الصوفيون والمتعبدون في القطرين مصر وسوريا.

هل قرأتِ الكتاب الفرنساوي الذي وضعه خيرالله أفندي خيرالله؟ أنا لم أره بعد وقد أخبرني صديق له أنه في المطبعة، فهل هنالك ... فإن كان لديكِ نسختان تكرمي بإرسال نسخة منها ... عني

إني أرجوكِ على الله. ها قد انتصف الليل فليسعد الله مساءكِ. وبقيتكِ

جبران خليل جبران

٢ كانون ثاني ١٩١٤

حضرة الأديبة الفاضلة الآنسة ماري زياده المحترمة.

سلام على روحك الطيبة الجميلة. وبعد فقد استلمت اليوم
أعداد "المقتطف" التي تفضلت بارسالها إليَّ فقرأت مقالاتك
الواحدة اثر الأخرى وأنا بين السرور العميق والإعجاب الشديد.
ولقد وجدت في مقالاتك سرباً من تلك الميول والمنازع
التي طالما حامت حول فكرتي وتتبعت أحلامي. ولكن هنالك
مبادئ ونظريات أخرى وددت لو كان بإمكاننا البحث
فيها شفاهاً. فلو كنت الساعة في القاهرة لاستأذنتك
لتسمحي لي بزيارتك فنتحدث ملياً في "الأرواح المتكسرة" وفي
"العقل والقلب" وفي بعض مظاهر "هنري برغسن". غير
أن القاهرة في مشارق الأرض ونيويورك في مغاربها وليس
من سبيل إلى الحديث الذي أوده وأتمناه.

إن مقالاتك حضرة تبدي سمو مواهبك وغزارة اطلاعك
وسلامة ذوقك في الانتقاء والانتخاب والترتيب، وعلاوة
على ذلك فهي تبين بصورة جلية اختباراتك النفسية
الخاصة - وعندي أن الاختبار أو الاقتناع النفسي يتفوق
كل علم وكل عمل - وهذا ما يجعل مباحثك من أجمل
ما جاء من نوعها في اللغة العربية.

ولكن لي سؤال أستأذنك بطرحه لديك. وهو هذا:
ألا يجيء يوم يا ترى تنصرف فيه مواهبك السامية

من البحث في مآتي الايام الى اظهار اسرار نفسك واختباراتها
الخاصة ومخبآتها النبيلة؟ أفليس الابتداع ابقى من
البحث في المبتدعين؟ ألا ترين ان نظم قصيدة او نثرها
افضل من رسالة في الشعر والشعراء؟ انني كواحد من
المعجبين بك افضل ان اقرأ لك قصيدة في ابتسامة
ابي الهول مثلاً من ان اقرأ لك رسالة في تاريخ الفنون
المصرية وكيفية تدرجها من عهد الى عهد ومن دولة الى دولة.
لان بنظمك قصيدة في ابتسامة ابي الهول تهبينني شيئاً
نفسياً ذاتياً اما بكتابتك رسالة في تاريخ الفنون المصرية
فانك تدلينني على شيء عمومي عقلي. وكلامي هذا لا
يعني كونك تستطيعين اظهار اختباراتك النفسية الذاتية
في كتابة تاريخ الفنون المصرية بيد انني اشعر بان الفن -
والفن اظهار ما يطوف ويتمايل ويتجوهر في داخل الروح -
هو احرى واخلق بمواهبك النادرة من البحث - والبحث
اظهار ما يطوف ويتمايل ويتجوهر في الاجتماع.

ليس ما تقدم سوى شكل من الاستعطاف باسم الفن
فانا استعطفك ومثلي اريد ان استميلك الى تتبع
الكهوف السرية حيث سافو واليزابث براوننغ واليف
شراينر وغيرهن من اخواتك اللواتي بنين سلماً من
الذهب والعاج بين الارض والسماء

ارجوك ان تثقي باعجابي وان تتفضلي بقبول احترامي
الفائق والله يحفظك ويحرسك

جبران خليل جبران

51 W. 10th St.
[illegible]

51 West Tenth Street

نيويورك ٢٦ شباط ١٩١٩

عزيزتي الآنسة مي

لقد اعادت رسالتك الى نفسي « ذكرى الف ربيع والف خريف » واوقفتني ثانية امام تلك الاشباح التي كنا نبتدعها ونسيّرها موكباً اثر موكب - تلك الاشباح التي ما ثار البركان في اوربا حتى انزوت محتجبة بالسكوت - وما اعمق ذلك السكوت وما اطوله .

هل تعلمين يا صديقتي بانني كنت اجد في حديثنا المتقطع التعزية والانس والطمأنينة ؟ وهل تعلمين بانني كنت اقول لذاتي : هنالك في مشارق الارض صبية ليست كالصبايا ، قد دخلت الهيكل قبل ولادتها ووقفت في قدس الاقداس فعرفت السر العلوي الذي تخفره جبابرة الصباح ثم اتخذت بلادي بلاداً لها وقومي قوماً لها . هل تعلمين بانني كنت اهمس هذه الانشودة في اذن خيالي كلما وردت عليّ رسالة منك ؟ لو علمت لما انقطعت عن الكتابة اليّ - وربما علمت فانقطعت وهذا لا يخلو من اصالة الرأي والحكمة .

اما مقالة ابي الهول فلستُ اعلم بانني لم اطلبها الا بعد الالحاح من صاحب مجلة الفنون - سامحه الله . فان من طبعي استهجان اقتراح المواضيع على الادباء : خصوصاً تلك الفئة القليلة التي لا تدون الا ما توحيه الحياة اليها - وانت من تلك الفئة القليلة - وفوق ذلك فانا اعلم ان الفن يَطلب ولا يُطلب منه ، وان في نفس اقتراح المواضيع شيئاً مانعاً عن اجادة فيها ، فلو كتبت اليّ في ذلك الزمن قائلة « لا ميل لي الآن الى كتابة مقالة في ابي الهول » لقلت متذمراً « لتعش « مي » ، طوبى لمن ذات نزاع فني لا غش فيه » ... الحقيقة اني سأسبقك الى كتابة مقالة في ابتسامة ابي الهول ! وبعد ذلك سأنظم قصيدة في ابتسامة « مي » . ولو كان لدي صورتك مبتسمة لفعلت اليوم ، ولكن عليّ ان ازور مصر لأرى « مي » وابتسامتها . وماذا عسى يستطيع الكاتب ان يقول في ابتسامة المرأة ؟ ألم يقل ليوناردو دا فنشي آخر كلمة في الموضوع عندما انتهى من

صدرة ، لو جعلنا" ؟ ولكن أليس في ابتسامة الصبية اللبنانية سرٌّ لا يستطيع ادراكه واعلانه غير اللبناني ؟ ام هي المرأة لبنانية كانت ام ايطالية تبتسم لتخفي اسرار الابدية وراء ذلك النقاب الرقيق الذي تحركه الشفاه ؟

"والمجنون" - وماذا ياترى اقول لك عن المجنون ؟ انتِ تقدرين ان فيه ما يدل على "القسوة" بل وعلى "الكهوف المظلمة" وانا لكونه لم اسمع مثل هذا الانتقاد مع انني قرأتُ اكثر ما نشرته جرائد ومجلات اميركا وانكلترا في هذا الكتاب الصغير. والغريب ان اكثر الادباء الغربيين قد استحسنوا القطعتين "Crucified" و "The Sleep-walkers" فاستشهدوا بهما او ذكروهما بصورة خاصة. اما انتِ ياصديقتي فقد وجدت فيهما القسوة - وماذا ينفع الانسان اذا ربح استحسان العالم وخسر استحسان "مي" ؟ وقد يكون ارتياح هؤلاء الغربيين الى المجنون واخيلته ناتجاً عن مللهم اخيلة نفوسهم ومن ميلهم الطبيعي الى الغريب والغير مألوف خصوصاً اذا كان شرقي المظاهر. اما تلك الامثال والقصائد المنثورة التي نُشرت في "الفنون" فقد ترجمها عن الاصل الانكليزي أديب محبته لي اوسع قليلاً من معرفته بدقائق البيان الانكليزي.

ولقد رسمتُ بالحبر الاحمر دائرة حول لفظة "الاشمئزاز" التي جاءت في كلامكِ عن "المجنون"، فعلتُ ذلك لعلمي بانكِ اذا وضعتِ كلمات "The Sleep-walkers" بين شفاه الأم والبنت بدلاً من وضعها على لسانيّ ام وابنتها لابدلتِ لفظة "الاشمئزاز" بلفظة اخرى - أليس كذلك ؟

وماذا اقول عن كهوف روحي ؟ تلك الكهوف التي تخيفكِ - اني التجئ اليها عندما اتعب من سبل الناس الواسعة وحقولهم المزهرة وغاباتهم المتعرشة اني ادخل كهوف روحي عندما لا اجد مكاناً آخر اسند اليه رأسي، ولو كان لبعض من احبهم الشجاعة لدخول تلك الكهوف لما وجدوا فيها سوى رجل راكع على ركبتيه وهو يصلي.

اما استحسانكِ الرسوم الثلاثة في "المجنون" فقد سرني ودلني على وجود عين ثالثة

بين عينيك، وقد طالما عرفت بأن وراء أذنيك آذاناً خفية تسمع تلك الأصوات الدقيقة الشبيهة بالسكوت - تلك الأصوات التي لا تحدثها الشفاه والألسنة بل ما وراء الألسنة والشفاه من الوحدة العذبة، والألم المفرح والشوق الى ذلك العالم البعيد الغير معروف.

وأنت تسألين ما اذا كنت أريد ان يفهمني احد بعد قولي: "For those who understand us enslave something منا". لا، لا أريد ان يفهمني بشري اذا كان فهمه اياي ضرباً من العبودية المعنوية. وما أكثر الذين يتوهمون انهم يفهموننا لأنهم وجدوا في بعض مظاهرنا شيئاً شبيهاً بما اختبروه مرة في حياتهم. وليتهم يكتفون بادعائهم ادراك أسرارنا - تلك الأسرار التي نحن ذواتنا لا ندركها - ولكنهم يسموننا بعلامات وأرقام ثم يضعوننا على رف من رفوف افكارهم واعتقاداتهم مثلما يفعل الصيدلي بقناني الأدوية والمساحيق: أوليس ذلك الأديب الذي يقول انك تقلدينني في بعض كتاباتك من هؤلاء البشر الذين يدعون فهمنا ومعرفة خفايانا! وهل تستطيعين اقناعه بأن الاستقلال هو محجة الأرواح، وأن أشجار السنديان والصفصاف لا تنمو في ظلال بعضها بعضاً؟

ها قد جعلت هذا الحد من رسالتي ولم أقل كلمة واحدة مما قصدت ان أقوله عندما ابتدأت. ومن منا يا ترى يقدر ان يحول الضباب اللطيف الى تماثيل وأنصاب؟ ولكن الصبية اللبنانية التي تسمع ما وراء الأصوات سترى في الضباب الصور والأشباح.

والسلام على روحك الجميلة ووجدانك النبيل وقلبك الكبير والله يحرسك

المخلص

جبران خليل جبران

51 West Tenth Street

٦ ايار ١٠ ١٨١٨

عزيزي انوسميّة

انا باعث اليك باول نسخة جلّدتْ بيدي من كتاب "المواكب" الذي صدر امس ، وهو كما ستجده ، حلمٌ لم يزل نصفه ضبابا والنصف الآخر يكاد ان يكون جسما محسوسا ، فان استحسنت فيه شيئاً تحوّل هذا ، حقيقة حسنة وان لم تستحسن شيئا عاد الى الضباب بجملته

والف تحية وسلام الى روحك الطيبة والله يحفظك ويرعاك

اخوك

جبران

51 West Tenth Street

عزيزتي الآنسة مي :

رجعت اليوم من سفرة مستطيلة الى البرية فوجدت رسائلك الثلاث والمقال الجميل الذي تفضلت بنشره في جريدة المحروسة . ولقد علمت من حادثي ان هذه الرسائل بل هذه الثروة الجليلة قد وصلت معاً منذ اربعة ايام . فالظاهر ان البريد المصري قد توقف عن اصدار الرسائل من القطر شهراً لجمع الرسائل الواردة اليه .

ولقد انصرفت عن كل ما وجهته بانظاري في هذا المكتب مؤلف تواريخ مصغياً الى حديثك الذي يتمايل بين العذوبة والتعنيف - اقول التعنيف لأنني وجدت في رسالتك الثانية بعض الملاحظات التي لو سمحت لنفسي الفرحة ان تتألم لتألمت منها . ولكن كيف اسمح لنفسي النظر الى شبه سحابة في سماء صافية مرصعة بالنجوم ؟ وكيف احول عيني عن شجرة مزهرة الى ظل احد اغصانها ؟ وكيف لا اقبل وخزة صغيرة من يد عطرة مفعمة بالجواهر ؟ ان حديثنا الذي انقذناه من سكوت خمسة اعوام لا ولن يتحول الى عتاب او مناظرة ، فانا اقبل بكل ما تقولينه لاعتقادي بانه يجمل بنا وسبعة آلاف ميل تفصلنا ان لا نضيف فتراً واحداً الى هذه المسافة الشاسعة بل ان نحاول تقصيرها بما وضعه الله فينا من الميل الى الجميل والشوق الى المنيع والعطش الى الخالد . يكفينا يا صديقتي ما في هذه الايام وهذه الليالي من الاوجاع والتشويش والمتاعب والمصاعب ، وعندي ان فكرة تستطيع الوقوف امام الجرد المطلق لا تزعجها كلمة جاءت في كتاب او ملاحظة أتت في رسالة . اذاً فلنضع خصوماتنا - واكثرها لفظية - في صندوق من ذهب ولنرمي بها الى بحر من الابتسامات .

ما اجمل رسائلك يا مي ، وما اشهاها ، فهي كنهر من الرحيق يتدفق من الاعالي ويسير مترنماً في وادي احلامي ، بل هي كقيثارة اورفيوس تقرب البعيد وتبعد القريب وتحول باهتزازاتها السحرية الحجارة الى شعلات متقدة والاغصان اليابسة الى اجنحة مضطربة . ان يوماً يجيئني منك برسالة واحدة لهو من الايام بمقام القمة من الجبل ، فما عسى ان اقول في يوم يجيئني بثلاث رسائل ؟ ذلك يوم أتنحى فيه عن سبيل

الزمن لا يعرفه متجولاً في ارم ذات العماد .

وبما اجيب على سؤالاتك ؟ وكيف استطيع متابعة الحديث وفي النفس ما لا يسير مع القلم ؟ ولكن لا بد من متابعة الحديث ، فما بقي صامتاً ليس بالمفيد مفهوم لديك .

تقولين في رسالتك الاولى " لو كنتُ انا في نيويورك لكنت زرت مكتبك الفني في هذه الايام " أفلم تزوري مكتبي قط ؟ أليس وراء اثواب الذكرى الظاهرة جسمٌ خفيٌّ للذكرى ؟ انا مكتبي هيكلي وصومعتي ومتحفي وجنتي وجحيمي . هو غاب تنادي فيه الحياةُ الحياةَ ، وهو صحراء خالية اقف في وسطها فلا ارى سوى بحر من رمال وبحر من اثير . ان مكتبي يا صديقتي هو منزل بدون جدران وبدون سقف .

ولكن في مكتبي هذا اشياء لثيمة احبها واحافظ عليها . انا مولع بالاثار الفنية القديمة وفي زوايا هذا المكتب مجموعة صغيرة من طرائف الاجيال وبقايا نفائسها كتماثيل والواح مصرية ويونانية ورومانية وزجاج فينيقي وخزف فارسي وكتب قديمة العهد ورسوم ايطالية وافرنسية وآلات موسيقية تتكلم وهي صامتة . ولا بد من الحصول يوماً ما على تمثال كلداني من الجزع الاسود . اني اميل بكليتي الى كل شيء كلداني ، فاساطير هذا الشعب وشعره وصلواته وهندسته بل اصغر أثر ابقاه الدهر من فنونه وصنائعه ينبّه في داخلي تذكارات غامضة غريبة بعيدة . ويعود بي الى الماضي الغابر ويجعلني ان ارى الحاضر من نافذة المستقبل . احب الاثار القديمة لاني اشعر بها حنيناً الى اثمار الفكرة البشرية السائرة بالف قدم من الظلام نحو النور - تلك الفكرة الخالدة التي تغوص بالفن الى اعماق البحار وتصعد به الى المجرة .

اما قولك " ما اسعدك انت القانع بفنك " فقد جعلني ان افتكر طويلاً . لا يا ميّ ، لستُ بقانع ولا انا بسعيد . في نفسي شيءٌ لا يعرف القناعة ولكنه ليس كالطمع ، ولا يدري ما السعادة غير انه لا يشابه التعاسة . في اعماقي خفقان دائم وألم مستمر ولكنني لا اريد ابدال هذا ولا تغيير ذاك - ومن كان هذا شأنه فهو لا يعرف السعادة ولا يدري ما هي القناعة ولكنه لا يشكو لان في الشكوى ضرباً من الراحة وشكلاً من التفوق .

وهل انت سعيدة وقانعة بمواهبك العظيمة ؟ اخبريني يا ميّ . هل انت قانعة سعيدة؟

51 West Tenth Street

أكاد أسمعكِ هاتفةً «لستُ بقانعة ولا أنا بسعيدة». إن القناعة هي الاكتفاء، والاكتفاء محدود
وأنتِ غير محدودة. أما السعادة فهي أن يملأ المرء كأسه من خمرة الحياة. ولكن من كان كأسه سبعة
آلاف فرسخ بالطول وسبعة آلاف فرسخ بالعرض فهو لن يعرف السعادة حتى تنسكب الحياة بكاملها
في كأسه. أفليس كأسكِ يا ميّ «سبعة آلاف فرسخ في فرسخ»؟

وماذا أقول عن «جوعي المعنوي»؟ لقد كانت حياتي منذ عام أو عامين لا تخلو من الهدوء
والسعادة. أما اليوم فقد تبدل الهدوء بالضجيج والسعادة بالنزاع. إن البشر يلتهمون أيامي ولياليّ
ويغرقون أحلامي بمنازعهم ومراميهم. فكم مرة هربت من هذه المدينة الهائلة إلى مكان قصي لأتخلص
من الناس — ومن أشباح نفسي أيضاً. إنما الشعب الأمريكي جبار لا يكل ولا يمل ولا يتعب
ولا ينام ولا يحلم. فإذا أبغض هذا الشعب رجلاً قتله بالإهمال، وإذا أحبه قتله بالانعطاف!
فمن شاء أن يحيا في نيويورك عليه أن يكون سيفاً مسنوناً ولكن في غمد من العسل —
السيف لردع الراغبين في قتل الوقت والعسل لإرضاء الجائعين!

وسوف يجيء يوم أهرب فيه إلى الشرق. إن شوقي إلى وطني يكاد يذيبني. ولولا هذا القفص،
هذا القفص الذي حبكته بيدي — لركبت متن أول سفينة سائرة شرقاً. ولكن
أي رجل يستطيع أن يترك بناءً صرف عمره بنحت حجارته وصفّها؟ حتى وإن كان ذلك البناء
سجناً له فهو لا يقدر أو لا يريد أن يتخلص منه في يوم واحد.

سامحيني أيتها الصديقة العزيزة فقد أزعجتكِ بالكلام عن نفسي وبشكواي من أمور
أدعى إلى الكتمان منها إلى التذمر.

إن استحسانكِ «المواكب» قد جعلها عزيزة لديّ. أما قولكِ بأنكِ ستنظمين
أبياتاً مثلها فجعلني أحني أمامها رأسي، غير أني أشعر بأن حافظتكِ ضنينة بقصائد أسمى
وأبدع وأنبل من كل ما جاء في «المواكب» بل ومن كل ما كتبته وأكتبه. وأما قولكِ
في رسوم الكتاب «أنتم أيها الفنانون تبنون هذه البدائع بقدرة أثيرية احتفظتم بها
عن معظم الأعزاء، فنأتي نحن الجمهور وليس لدينا ما نتحفهم به سوى العجز والارتعاد.
فأنتم جبابرتنا أتقياء ظالمون، ولكنا بهم أشقياء خائرون» فكلام لا أقبله بل
إني أستجيبكِ بالتمرد عليه (وما أكثر تمردي) — أنتِ يا «ميّ» «منا وفينا». بل وأنتِ
بين بنات الفن وأبنائه كالوردة بين أوراقها. إن ما جاء في مقالتكِ التي نُشرت
في المحروسة عن رسوم «المجنون» هو رأي وليس هو شعور، فنيّ محض وفكرة خاصة دقيقة

وبعيدة نظاره ترى ما لا يراه غير القليل من الناس. ولست بمبالغ إذا قلت بأنك أول صبية شرقية مشت في غابة "الخلوات النسع" بقدم ثابتة ورأس مرفوع ووجه منفرجة كأنك في بيت أبيك. أنت فأخبريني يا مي، أخبريني كيف عرفت كل ما تعرفين، وفي أية عالم جمعت خزائن نفسك، وفي أي عصر عاشت روحك قبل مجيئها إلى لبنان؟ إن في النبوغ سراً أعمق من سر الحياة.

والآن تريدين أن تسمعي ما يقوله الغربيون عني، فألف شكر لك على هذه الغيرة وهذا الاهتمام القدسي. لقد قالوا أشياء كثيرة وكانوا مبالغين في أقوالهم متطرفين في ظنونهم متوهمين وجود الجمال في ذلك الذنب. ويعلم الله يا صديقتي بأنني ما قرأت شيئاً حسناً عني إلا وأحسست في قلبي. إن الاستحسان نوعاً من المسؤولية يضعها الناس على عواتقنا فتجعلنا أن نشعر بضعفنا. ولكن لا بد من المسير حتى ولو قوّض الحمل الثقيل ظهورنا، ولا بد من استنباط القوة من الضعف. أنا باعثة إليك في ظروف أخرى بعضاً من أقوال الجرائد والمجلات وتعليقات شتى. إن الغربيين قد ملوا أشباح أرواحهم وضجروا من ذواتهم فأصبحوا يتمسكون بالغريب الغير مألوف خصوصاً إذا كان شرقياً. هكذا كان الشعب الأثيني بعد انقضاء عصره الذهبي. لقد بعثت منذ شهر أو أكثر بمجموعة من أقوال الصحف في المجنون إلى أميل أفندي زيدان - ولعله بالطبع من أصدقائك.

أحمد الله وأشكره على انقضاء الأزمة عندكم. ولقد كنت أقرأ أخبار تلك المظاهرات فأتخيلك هائبة فأهاب مضطربة فأضطرب. ولكني كنت أردد في الأيام قول شكسبير:

Do not fear our person: There's such divinity doth hedge a king, That treason can but peep to what it would, acts little of his will.

وأنت يا مي من الملوك، وفي نفسك ملك يحميه الله من كل مكروه.

وتسألين ماذا كان لكم من صديق في ربوعنا.
أي والحياة وما في الحياة حلاوة جارحة ومرارة مقدسة، إن لكم في ربوعنا صديقاً إرادته تدافع عنكم ونفسه ترغب في الخير لكم وإبعاد السوء عنكم وتحميكم من كل أذى. وقد يكون الصديق الغائب أدنى وأقرب من الصديق الحاضر. أفليس الجبل أكثر هيبة وأشد وضوحاً وظهوراً لسائر في السهل منه لساكنيه!

ها قد غمر المساء هذا المكتب بوشاحه فلم أعد أرى ما تخطه يدي.

وألف تحية لك وألف سلام عليك والله يحفظك ويحرسك دائماً.

صديقك المخلص

جبران خليل جبران

١١ حزيران ١٩١٩

THE MADMAN. By Kahlil Gibran. Knopf; $1.25.

It is not strange that Rodin should have hoped much of this Arabian poet. For in those parables and poems which Gibran has given us in English he curiously seems to express what Rodin did with marble and clay. Both sculptor and poet show an imagination which goes to the mountains and the elements for strength, a desire to give human things a universal quality, a mellow irony and a love of truth which is not afraid of platitudes. Rodin compared Gibran to William Blake. But the parables collected in The Madman are more reminiscent of Zarathustra's maskings and unmaskings, of the long rising rhythms of Tagore. The English language never seems a fit medium for work of this nature. It is too angular, too resisting to hold the meanings which Oriental literature crowds as thickly and dazzingly as jewels on an encrusted sword-hilt. It would be interesting at least to see what a French translator would make of these poems:

For what is there can quench a madman's thirst but his own blood? I was dumb—and I asked wounds of you for mouths. I was imprisoned in your days and nights—and I sought a door into larger days and nights.

And now I go—as others already crucified have gone. And think not we are weary of crucifixion. For we must be crucified by larger and yet larger men, between greater earths and greater heavens.

عزيزتي الآنسة مي :

منذ كتبت إليك حتى الآن وأنت في خاطري . ولقد صرفت الساعات الطوال مفكراً بك ، مخاطباً إياك ، مستجوباً خفاياك ، مستقصياً أسرارك . والعجيب أني شعرت مرات عدة بوجود ذاتك الأثيرية في هذا المكتب ترقب حركاتي وتكلمني وتحاورني وتبدين رأيك في آرائي وأعمالي .

أنت بالطبع تستغربين هذا الكلام ، وأنا أستغرب حاجتي واضطراري إلى كتابته إليك وحبذا لو كان بإمكاني معرفة ذلك السر الخفي الكائن وراء هذا الاضطرار وهذه الحاجة الماسة .

قد تقولين لي مرة « كيف تكون بيننا معرفة ساذجة وبين الأفكار تبادلاً قد لا يتبادله الأهل والأصدقاء ومن هو الذي يستطيع تفهيم بيننا من بين أبناء الوطن الواحد ؟ »

إن في هذه الفقرة الجميلة حقيقة أولية كنت فيما مضى أقول بالقياس عليها . أما الآن فإني أقول بالاختبار النفسي . ففي الآونة الأخيرة قد تحققت لي وجود رابطة معنوية دقيقة قوية غريبة تختلف بطبيعتها ومزاياها وتأثيراتها عن كل رابطة أخرى فهي أشد وأصلب وأبقى بما لا يقاس من الروابط الدموية والجنسية حتى والأخلاقية . وليس بين خيوط هذه الرابطة خيط واحد من غزل الأيام والليالي التي تمر بين المهد واللحد . وليس بين خيوطها خيط قد نسجته مقاصد الماضي أو مطالب الحاضر أو أماني المستقبل فقد تكون موجودة بين اثنين لم يجمعهما الماضي ولا يجمعهما الحاضر — وقد لا يجمعهما المستقبل .

وفي هذه الرابطة يا مي ، في هذه العاطفة النفسية ، في هذا التفاهم الخفي ، أحلام غريبة وعجيبة من ما يتمايل في القلب البشري — أحلام فوق أحلام ، أحلام تحت أحلام .

وفي هذا التفاهم يا مي أغنية عميقة هادئة نسمعها في سكينة الليل فتنتقل بنا إلى ما وراء الليل ، إلى ما وراء النهار ، إلى ما وراء الزمن ، إلى ما

وراء الأبدية.

وفي نفسي عاطفة يا ميّ، عاطفة أليمة لا تزول وهي عزيزة لدينا ولو استطعنا محوها لما أبدلناها بكل ما نعرفه ونتخيّله من الملذّات والأمجاد

لقد حاولت في ما تقدّم أن أبوح لك بما لا ولن يبلغك إياه إلا ما يشابهه في نفسك. فإن كنت قد أبنت رمزًا معروفًا لديك فأنت من أولئك الذين قد حبستهم الحياة وأوقفتهم أمام العرش الأبيض. وإن كنت لست تجدين أمرًا خاصًا بي وحدي فلك أن تطعمي النار هذه الرسالة.

أستعطفك يا صديقتي أن تكتبي إليّ، وأستعطفك أن تكتبي إليّ بالروح المطلقة المجرّدة المجنّحة التي تعلو فوق سبل البشر. أنت وأنا نعلم الشيء الكثير عن البشر وعن تلك الميول التي تقرّبهم إلى بعضهم بعضًا وتلك العوامل التي تبعد بعضهم عن بعض. فهلّا تنحّينا ولو ساعة واحدة عن تلك السبل المطروقة ووقفنا محدّقين ولو مرة واحدة بما وراء الليل، بما وراء النهار، بما وراء الزمن، بما وراء الأبدية؟

والله يحفظك يا ميّ، ويحرسك دائمًا

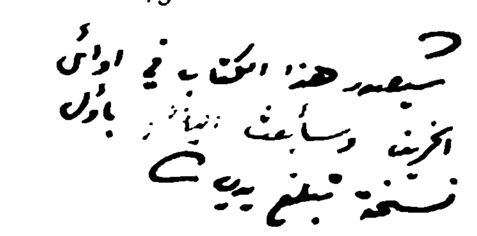
صديقك المخلص

جبران خليل جبران

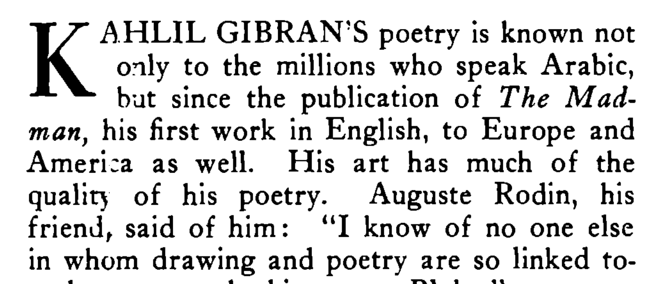
٢٥ تموز ١٩١٩

TWENTY
DRAWINGS
By
KAHLIL GIBRAN
Author of "The Madman"
With an Introductory Essay by
ALICE RAPHAEL

Quarto, half cloth, French board sides, $3.00 *net.*



KAHLIL GIBRAN'S poetry is known not only to the millions who speak Arabic, but since the publication of *The Madman*, his first work in English, to Europe and America as well. His art has much of the quality of his poetry. Auguste Rodin, his friend, said of him: "I know of no one else in whom drawing and poetry are so linked together as to make him a new Blake."



These pictures represent the human form in attitudes expressing the eternal verities. There is the "Erdgeist"—the spirit of creation; the Transfiguration, expressing the suffering of mankind; there are delightful, delicate pictures of the Centaurs—who but Gibran could portray a *delicate* Centaur?—in their legendary battles, expressing the struggle of man against his brute nature. Of the twenty drawings one is in full color, the rest in wash with very faint pencil lining. The introductory appreciation is informing and complete.

The whole is a representative collection of the best work of one of the most remarkable figures of the day—a man who has brought the mysticism of the Near East to America and has chosen to throw in his lot with the artists of the occident in an endeavor to fuse new bonds of interest between the old world and the new.

51 West Tenth Street

عزيزتي الآنسة مي..

أنتِ حاقدة عليّ، ناقمة عليّ، ولكنكِ لطيفة، ومعكِ الحق، وما عليّ سوى الامتثال فهلا
نسيتِ إثماً اقترفته وأنا بعيد عن عالم المقاييس والموازين؟ هلا وضعتِ في صندوق الذهب
ما لا يستحق الحفظ في الصندوق الخشبي؟
إن ما يعرفه الحاضر يجهله الغائب وليس من العدالة أن نحسب جهل الغائب جريمة فالجرائم
لا تحدث إلا في غرفة الإدراك والمعرفة، وأنا لا أريد أن أسكب سطوراً قليلة من
الرصاص المذوّب أو الماء الغالي على أصابع العارفين المدركين لعلمي أن الجريمة نفسها عقاب
المجرمين وأن مصائب أكثر الناس في ما أسنده إليهم من الأعمال.

لقد استأنستُ بذلك العنصر الشفاف الذي تتلاشى أمامه المسافة والحدود والحواجز، والنفس
المستوحشة لا تستأنس إلا بذلك العنصر ولا تتعرف سواه ولا تستنجد بغيره. وأنتِ - أنتِ
التي تعيشين كثيراً في عالم المعنى تعلمين أن العنصر الشفاف فينا يتنحى عن جميع أعمالنا ويبتعد
حتى عن أجمل ميولنا البيانية وأنبل رغائبنا الفنية، فهو وإن جاور الشاعرية فينا لا
ينظم لأنه نشيداً غنائياً ولا يضع خفاياه في خطوط وألوان. كل بشري يستطيع التكلف
بمنازعه واللعب بمطامعه والمتاجرة بأفكاره ولكن ليس بين البشر من يستطيع التكلف بوحشته
أو اللعب بألمه أو المتاجرة بجوعه وعطشه. ليس بين الناس من يقدر أن يحدث حلاوة [illegible]. وهل بإمكاننا جعل ضعيفنا
من صدقة [illegible] أو ننقص [illegible] ؟ هل بإمكان الذات المقتبسة وهي من
الصعيد فينا أن تؤثر على القوي والعظيم فينا؟ [illegible] أن تتمكن الشعلة الزرقاء
الأرض أن تكدّر وتعقّد الذات الوضعية وهي من [illegible]؟ وهل تظنين حقيقةً، وأنتِ ابنة
تتغير ولا تتغير وتتحول ولا تتحول وتتأثر ولا تتأثر.
أن "التهكم الرقيق" ينبت في حقل يفلحه الألم وتزرعه الوحشة وتحصده
النفس فقراً، أن "الفلسفة الناعمة" تسير بجانب الميل إلى الحقيقة والرغبة
الكبير والعطش؟ هل تظنين أن "الثقة" [illegible] الشك والارتياب. الشك يلازم
في المجرد المطلق! لا يا صديقتي، أنتِ أرفع من الشك والارتياب، أما أنتِ فقوية
الضعفاء السلبيين والارتياب يلحق من ليس لهم الثقة بنفوسهم، أما أنتِ مؤمنة بكل ما صنعه الأيام في
إيجابية ولكِ الثقة التامة بنفسكِ، فهلا كنتِ

راحتيك ؟ هلّا حولت عينيك عن المظاهر الجميلة الى الحقيقة الجميلة ؟

قد عرفت شهور الصيف في منزل منفرد منتصب كالحلم بين البحر والغاب فكنت كلما اضعت نفسي في الغاب اذهب الى البحر فاجدها وكلما فقدتها بين الاسواط (?) [illegible] ظلال الاشجار فالتقي بها . ان غابات هذه البلاد تختلف عن غابات الارض كافة ، فهي فخمة كثيفة متوحشة تعود بالذكرى الى الازمنة الغابرة ، الى البدء اذ كان الكلمة عند الله وكانت الكلمة الله ! اما بحرنا فجوهر وذلك الصوت المجنح الذي تسمعونه على شواطئ مصر نسمعه نحن على هذه الشواطئ ، وذلك القرار الرهادي (?) الذي يملأ صدوركم بسكينة [illegible] يملأ صدورنا بهول الحياة وهيبتها . لقد اصغيت الى نغمة البحر في مشارق الارض ومغاربها فكانت ولم تزل هي هي الاغنية الازلية الابدية التي تصعد وتهبط [illegible] فتلبسها تارة الحزن وطورا الطمأنينة . قد اصغيت الى تلك النغمة حتى وعلى رمال الاسكندرية - نعم على رمال الاسكندرية - وكان ذلك في صيف ١٩٠٧ فسمعت اذ ذاك حديث الدهور من بحر المدينة القديمة شمالا [illegible] من بحر المدينة الحديثة ، وذلك الحديث الذي سمعته للمرة الاولى وانا في الثامنة فاحفظته باهري (?) والبست في ثيابي فاخذت احاديث بسواقي (?) الكنيسة عند المرحومة امي وجدتها ، ذلك الحديث الذي اسمعه اليوم [illegible] ذاتها ولكن على الوهم الثلاثية (?) فيجيبني بغير الكلام وتعزيني امرأة كلما حاولت اظهارها للآخرين عدت الالفاظ في فمي الى سكوت عميق . انا اليوم وقد صرت في الثمانين ، مثلما كنت وانا في الثامنة ، اجلس على شط البحر وانظر الى ابعد نقطة من الافق الازرق واسأل الف سؤال وسؤال . [illegible] هل لنا ان نجيب [illegible] ترى هل تنفتح الابواب الحجرية ولو دقيقة واحدة لنرى ما وراءها في ربوعكم ؟" أليس باستطاعتكم ان تقذفوا لنا كلمة واحدة عن تلك الانظمة من الاسرار والخفايا ؟ قبل ان يجمع الموت نقابه الابيض على وجوهنا ؟ السوية النافذة حولنا في الحياة ! "

اني .
وانت تسألين ما اذا كنت [illegible] استطيب الفائدة في الفلسفة بعد اجهاد " . استطيبها الى درجة قصوى ولكن بعد ان اترجم لنظمها الى لغتي استطيب الفائدة ، اما بالطبع افضل الفاكهة !!! اما الاجهاد فسلم نفسه عليه لنبلغ العلية . ولكن الحياة لم تعلم حاجتي الرفيعة والطيبات فماذا الصعود الى عليتي [illegible] وان افضل الحقيقة الخفية عن الحقيقة الظاهرة ، وافضل الكأس الصامتة افضل ؟ . غير انني وجدت ان الكتابة واقتناعا عن الكأس التي تحتاج الى التفسير والتعليل .

السكوت العلوي يتبعه دائماً كلمة علوية.
اني استطيب الفائدة يا مي واستطيب كل شيء في الحياة الا الحيرة،
فاذا جاءت الفائدة وعلى منكبيها شيء من الحيرة اغمضت عينيّ ووقفت في
سري. هذا مطلب آخر عليّ ان احمله مع المئة مطلب التي احملها. وليست
الحيرة بذاتها من الامور المكروهة ولكنني قد رافقتها حتى مللتها. قد اكلتها
خبزاً وشربتها ماءً وتوسدتها فراشاً ولبستها رداءً حتى صرت اتبرم من لفظ اسمها
واهرب من ظل ظلها.

الظن ان مقالتك في "المواكب" هي الاولى من نوعها في اللغة العربية. هي
اول بحث في ما يرمي اليه الكاتب بوضعه كتاب. هكذا لم يكن بامكان ادباء
مصر وسوريا ان يفعلوا فهناك استجوبوا ارباب الكتب دون اجسادها واستفسار
ميول الشعراء انفسهم قبل استقصاء نظام الشعر والقافية. يجب عليّ ان ارد
احاول اظهار امتناني الشخصي عن تلك المقالة الفنية ولكني اعلم بانك كتبت
وانت مترفعة عن كل شيء شخصي. واذا ما حاولت اظهار امتناني القلبي
بصورة عمومية اوجب عليّ ذلك كتابة مقالة في تلك المقالة وهذا امر يحسبه
الشرقيون في الوقت الحاضر من الامور التي تتجاوز الذوق السليم! ولكن سيجيء
يوم اقول فيه كلمتي في "مي" ومواهبها، وستكون كلمتي صادقة! و[illegible] عمومية
[illegible]! وستكون صادقة لانها ستكون جميلة.

ان الكتاب الذي سيصدر في هذا الخريف هو كتاب يسمى [illegible] من مجموع
[illegible] ولعله اخرجه الناشر في المطابع لتظهر منذ ثمانية اسابيع.
التمرد والعصيان". ((وربما وضعته باسم آخر))
وفي السنة القادمة سيصدر كتابان الاول "المستوحد" والثاني كتاب يسمى [illegible] باسم "[illegible]"
وهو مؤلف من قصائد وامثال، وقد انتهيت من عهده واتممته بعد حين آخر. واما
كتاب "[illegible]" [illegible] ولكنني لم اكتب فصلاً من فصوله
النبي. فكتاب فكرت به منذ الف سنة ولكنني لم اكتب فصلاً من فصوله
حتى اواخر السنة الغابرة. وماذا عسى اقول لك عن هذا النبي؟ هو
ولادتي الثانية ومعموديتي الاولى. هو الفكرة الوحيدة التي تجعلني حرياً بالوقوف
امام وجه الشمس. ولقد وضعني هذا النبي قبل ان احاول وضعه، والفني

قبل ان افكر بتأليفه، وسيبقى صامتاً وراء سبعة الوف فرسخ قبل ان يتمكن من تبيين ميوله ومنازعه.

ارجوك ان تسألي رفيقي ومعاوني العنصر الشفاف عن هذا النبي وهو يقص عليك حكايته. اسألي العنصر الشفاف، اسأليه في سكينة الليل عندما تنعتق النفس من قيودها وتتخلص من اثوابها، وهو يبوح لك باسرار هذا النبي وبخفايا من تقدمه من الانبياء اجمعين.

انا اعتقد يا صديقتي ان في العنصر الشفاف من الحزم ما لو وضعنا ذرة منه تحت جبل لانتقل من مكانه الى مكان آخر. واعتقد، بل اؤمن، اننا نستطيع ان نمد من ذلك العنصر سلكاً بين بلاد وبلاد فنعلم بواسطته كل ما نريد ان نعلمه ونحصل على كل ما نشتاق اليه ونستعطيه.

ولدي امور كثيرة اريد ان اقولها عن العنصر الشفاف وغيره من العناصر، ولكن عليّ ان ابقى صامتاً. وسوف ابقى صامتاً حتى يضمحل الضباب وتنفتح ابواب الابدية ويقول لي ملاك الرب: تكلم فقد ذهب زمن الصمت، وسر فقد طال وقوفك في ظلال الحيرة".

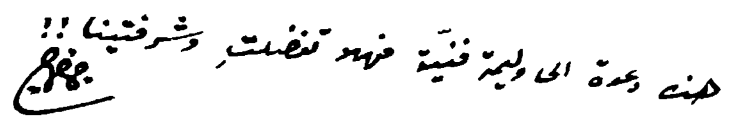
اين انت يا مي، تنفتح ابواب الابدية؟ هل تعلمين؟ هل تعلمين اين تنفتح ابواب الابدية وابواب الضباب؟

والله يحفظك يا مي ويحرسك دائماً

المخلص

جبران خليل جبران

نيويورك ٢٦ تشرين ثاني ١٩١٩



MESSRS. M. KNOEDLER & CO.

ANNOUNCE A SMALL EXHIBITION OF

FOREIGN AND AMERICAN PAINTINGS

AT THEIR GALLERIES

556-558 FIFTH AVENUE

NEAR FORTY-SIXTH ST.

NOVEMBER 27TH TO DECEMBER 16TH

Artists represented

Besnard, Bonnard, Bellows, Brush, Carriere, Cezanne, Cottet, Cadell, Calder, Daumier, Dagnan, Domingo, Gibran, Glackens, Henri, Kelly, Kronberg, La Touche, Miller, Orpen, Pissaro, Perelman, Sargent, Stevens, Sterner, Steer, Thompson, Vasquez and Weir

THE MACDOWELL CLUB OF NEW YORK CITY

108 WEST 55TH STREET

A Club of Allied Arts

BULLETIN, NOVEMBER AND DECEMBER, 1919

The Purposes of The MacDowell Club

1. To discuss and demonstrate the principles of the arts of music, literature, the drama, painting, sculpture, and architecture, and to aid in the extension of knowledge of works especially fitted to exemplify the finer purposes of these arts, including works deserving wider recognition and to promote a sympathetic understanding of the correlation of these arts, and to contribute to the broadening of their influence, thus carrying forward the life purpose of Edward MacDowell.

2. To maintain a home for the Club in furtherance of its purposes.

Tuesday Evening, December Second

at half past eight o'clock

The Committee on Literature announces

Readings

OF

Kahlil Gibran's

Parables

AND OF

Witter Bynner's

Canticles

BY THE AUTHORS

Free to members and their guests

Would that you were here to lend wings to my voice and turn my mutterings into songs. Gibran shall read knowing that among the "strangers" is an invisible "friend" G. listening and smiling sweetly and tenderly.

31 West Tenth Street

عزيزتي الآنسة "مي".

تريدين أن تعلمي "بالضبط" معنى زيارتي وما وراء طلبي المغفرة منك من الأسرار النفسية؟
وإليك بالضبط البسيط ما كان وما يكون وراء تلك الندامة وتلك المعاني وتلك الأسرار
وتلك النفسيات.

لم أندم على كتابة تلك الرسالة المعروفة لديك "بالتشبيه الغنائي". ولن أندم.
لم أندم على أصغر حرف فيها ولا ندمت على أكبر نقطة فيها - ولن أندم.
لم أكن في فصول ذلك لم أر داعياً للاعتذار.
وكيف يا ترى أندم على أمر موجود الآن في نفسي مثلما كان موجوداً إذ ذاك؟
وأنا لست ممن يندمون على وضع ما في نفوسهم بين شفاههم.
ولست ممن ينفون في يقظتهم ما يثبتونه في أحلامهم، لأن أحلامي هي يقظتي ويقظتي هي
أحلامي، لأن حياتي لا تنقسم إلى خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الوراء.

أما الذنب الذي اقترفته - أو توهمت بأنني اقترفته وأنا بعيد عن عالم الموازين والمكاييل - فهو هذا:
بعد أن قرأت كلامك عن ذلك الشاب اللبناني الذي زارك قبل مغادرتك القاهرة إلى رمال
الإسكندرية - أعني ذلك الرجل الذي "جعلك تسكبين سهواً" بعض قطرات من الماء
الغالي على يده" معاقبة له على "أمر غير محدود" - بعد أن قرأت كلامك هذا انتبهت
لشيء كان من الواجب علي أن أفطن له قبل أن أضع تلك الرسالة في صندوق البريد، فظننت
أو تخيلت أو توهمت، أن تلك الرسالة قد سببت لك بعض الانزعاج من جهة الوجهة -
ومن منا لا يتأفف ويتبرم إذا علم أن الأشياء المختصة به دون سواه قد مرت بين
أصابع رجال عيونهم من ليس لهم أكف بمعرفتنا؟
هذا هو الذنب الوحيد الذي طلبت إليك
هنالك الأمر الذي انتبهت له فندمت، وهذا هو الشيء الوحيد الذي
وضعه في صندوق النسيان. وقد حدث قلم المراقبة والأسباب التي أوجبته والنتائج
التي أوجدها "بعالم الموازين والمكاييل" - وعندما بهذا الأمر أبعد عن العالم الذي كان
يشغل فكري حينئذ بعد الجحيم عن غابة الكف.

ولقد عرفت في العام الغابر عن قلم المراقبة ما يضحك [illegible] بين القبور! فقد كان
بعض الشبان المتطفلين في تلك الوزارة يتسلون بفتح الرسائل الواردة إليّ من الشرق
ويتحدثون بالحواشي والسلامات والتحيات والملاحظات السياسية والأدبية والروحية.

وبعضهم كان يطلب مني المال ليؤلف في اسمي شعراً. وأغرب من هذا جميعهم مراقب في دمشق وجد فسحة بيضاء واسعة في رسالة موجهة اليّ ففتحها وملأها بقصيدة طويلة يمدحني بها! ولو اخبرتك حكاية تلك القصيدة بتمامها لغضبتِ عليّ.

اما تلك الرسالة "المعنونة بالنشيد الغنائي" فهي مني وبي وفيّ، وهي انا مثلما كنت ومثلما سأكون، وهي الآن مثلما كانت بالأمس ومثلما ستكون في الغد، فهلّا آمنتِ وصدقتِ يا توما؟ أتريدين وضع اصبعك في الجرح يا ميّ؟

واسمحي لي ان اقول ثانيةً اني اكره التهكم الرقيق والغير رقيق بين الاصدقاء، واكره النكتة الفلسفية والغير فلسفية بين المتقاربين بالروح، واكره التكلف والتصنع في كل أمر حتى وفي الصعود الى السماء. واما سبب كرهي هذه الاشياء فهو ما اراه حولي في كل دقيقة من مظاهر هذه المدنية الآلية ونتائج هذا الاجتماع السائر على دواليب سوى بدون اجنحة.

أظن ان السبب الذي يجعلك ان تعزي اليّ "التهكم الرقيق" هو في بعض ما جاء في "المجنون". واذا صح ظني اكون اول ضحايا ذلك الكتاب. حوت "المجنون" ليس انا بكليتي، والافكار والمنازع التي اردت بيانها بلسان شخصية ابتدعتها ليست كل ما لديّ من الافكار والمنازع، واللهجة التي وجدتها مناسبة لميول ذلك المجنون ليست اللهجة التي اتخذها عندما اجلس لمحادثة صديق احبه واحترمه. ولكن اذا كان لا بد من الوصول الى حقيقتي بواسطة ما كتبته فما عسى يمنعك عن اتخاذ فتى الغاب في كتابة "المواكب" لرمزي ونغمة الغابة بدلاً من "المجنون"؟ ان روحي يا ميّ اقرب بما لا يقاس الى "فتى الغاب" ونغمة الغابة منها الى "المجنون" وصراخه. وسوف يتحقق لديك بان "المجنون" لم يكن سوى حلقة من سلسلة طويلة مصنوعة من معادن مختلفة. لا انكر ان "المجنون" كان حلقة خشنة مصنوعة من حديد، ولكن هذا لا يدل على ان السلسلة بكليتها ستكون من الحديد الخشن. فلكل روح فصول يا ميّ. وشتاء الروح ليس كربيعها، ولا صيفها كخريفها.

قد سررت جداً بانتسابك الى عائلة سورية، سررت الى درجة قصوى. وسبب هذا السرور الهائل هو هذا ← انا ابن ابنة كاهن ماروني ← !! نعم فقد كان جدي والد امي كاهناً نقياً بالاسرار الالهية! (بيد انه كان مولعاً بالموسيقى الكنائسية والغير كنائسية ولهذا قد غفرت له كهنوتيته) وقد كانت امي احب ابنائه اليه

وأشبههم به. والغريب أنها عزمت واستعدت وهي في ربيع العمر للدخول إلى دير القديس
سمعان للراهبات في شمال لبنان. أما أنا فقد ورثت عن أمي تسعين بالمائة من
أخلاقي وميولي (لا أقصد بذلك أنني أماثلها من حيث الحلاوة والوداعة وكبر القلب)
ومع أنني أشعر بشيء من البغضاء نحو الرهبان فأنا أحب الراهبات وأبكي لهن في قلبي.
وقد يكون حبي لهن ناتجاً عن تلك الرغبة السرية التي كانت تشغل خيال أمي
في صباها. وإني أذكر قولها لي مرة، وقد كنت في العشرين: "لو دخلت الدير لكان ذلك
أفضل لي وللناس". فقلت لها: "لو دخلت الدير لما جئت أنا". فأجابت: "أنت مقدر
يا ابني". فقلت: "نعم ولكن قد اخترتك أماً لي قبل أن أجيء بزمن بعيد". فقالت: "لو لم
تجئ لبقيت ملاكاً في السماء". فقلت: "ألم أزل ملاكاً؟!" فتبسمت وقالت: "أين جناحاك؟!"
فوضعت يدها على كتفي قائلة: "هنا". فقالت: "متكسرة".
بعد هذا الحديث بتسعة أشهر ذهبت أمي إلى ما وراء الأفق الأزرق. أما كلمتها "متكسرة"
فظلت تتمايل في نفسي. ومن هذه الكلمة قد غزلت ونسجت حكاية "الأجنحة المتكسرة".
لا يا مي لم أكن قط من جدود جدود أمي. لقد كانت ولم تزل أماً لي بالروح. وإني أشعر
اليوم بقربها مني وتأثيرها علي ومساعدتها لي أكثر مما كنت أشعر به قبل أن تذهب - أكثر
بما لا يقاس. ولكن هذا الشعور لا ينفي الروابط الأخرى الكائنة بيني وبين أمهاتي وأخواتي
بالروح. وليس هناك من فرق بين شعوري نحو أمي وشعوري نحو أمهاتي سوى الفرق الموجود
بين الذكرى الواضحة والذكرى الضئيلة.

هذا شيء قليل عن أمي. وإذا جمعتنا الأيام أخبرك الشيء الكثير عنها. وإني لا أشك
بأنك ستحبينها. ستحبينها لأنها تحبك. والأرواح الساجية هناك تحب الأرواح الجميلة
السائرة هنا، وأنت يا مي روح جميلة. إذن لا تستغربي قولي: "إنها تحبك".

أما الوجه الذي نشر في "الفنون" فهو وجهها في حالة الألم النفسي. والوجه المنشور
في أول صفحة من [illegible] هو وجهها أيضاً، ولقد رسمته بعد "نحو النهاية" بيومين
يمثلها في آخر دقيقة من حياتها هنا وأول دقيقة من حياتها هناك.

وأما من جهة عائلة والدي فإني أستطيع أن أتبجح وأباهي بثلاثة أو أربعة من الكهان شماسا
أقر لك بميزة واحدة وهي وجود القسس
تباهيت وتبجحت بكهنة وقسس بيت زيادة!!!! ولكن قد ظهر عندنا خوري وسقفس، أي خوري
عندكم. إن شجرتنا لم تثمر من هذا النوع! ولقد كان هذا الخوري وسقفس، أو هذا
ونصف خوري، فهل ظهر عندكم من هذا الجنس؟ ولقد كان هذا الخوراسقف ... الكنيسة الجامعة الرسولية مثلما
المونسنيور الجبالي، يصلي ويبتهل لله ليرجعني إلى حضن الكنيسة

ارجع الابن الشاطر الى ابيه! وحضن الكنيسة كما تعلمين يشابه صدر ابينا ابراهيم — الاول لراحة الخطاة والثاني لراحة الاموات. والمسيحي المسكين هو يتخلص من هذا حتى يهبط في ذاك. وانا والحمد للسماء لم اكن من الخطاة ولن اصير من الاموات! بيد انني اشفق على ابراهيم احيانًا وعلى صدر ابراهيم خصوصًا...

هذا ولا يغرب عن بالك ان نصف سكان شمال لبنان من الكهنة والقساوسة والنصف الثاني من ابناء واحفاد الكهنة! فهل في بلدكم — واظنها غزير — مثل ذلك؟ اما في بلدنا — بشري — فمن الصعوبات احصاء عدد الكهان والرهبان!

اجل، لنتحدث عن كتاب "دمعة وابتسامة" فانا لست بخائف!

ظهر هذا الكتاب قبل نشوب الحرب بمدة قصيرة. وقد بعثت اليك بنسخة منه يوم صدوره.

نعم قد بعثت اليك بنسخة من كتاب "دمعة وابتسامة" يوم صدوره من مطبعة الفنون. ولكنني لم اسمع منك كلمة واحدة عن وصولها فتأثرت ولم ازل متأثرًا"!!

اما مقالات "دمعة وابتسامة" فهي اول شيء نشر لي في الجرائد. هي من حصرم كرمي وقد كتبتها قبل "عرائس المروج" بزمن طويل ثم نشرت متتابعة في جريدة المهاجر منذ ١٦ سنة. ولقد شاء نسيب عريضة فجمعها واضاف اليها مقالتين كتبتا في باريس منذ ١٢ سنة. سامحه الله!

لقد كتبت ونظمت قبل "دمعة وابتسامة"، اعني بين الطفولية والشباب، المجلدات الضخام! ولكنني لم اقترف جريمة نشرها، ولن افعل. وانا باعث اليك بنسخة ثانية من "دمعة وابتسامة" مع الأمل بانك ستنظرين الى روحها لا الى جسدها.

انا من الميالين الى شارل جيران ولكنني اشعر ان المدرسة التي ينتمي اليها او الشجرة التي هو غصن من اغصانها لم تكن في الغاية العلوية. ان الشعر الفرنسي في النصف الاخير من القرن التاسع عشر وفي اوائل القرن العشرين كان خاتمة لشيء وُجد بدلًا من ان يكون بداية لشيء غير موجود — اعني غير موجود في عالم الحواس. ففي عقيدتي ان رودان النحات وكريار المصور ودبيوسي الموسيقي قد ساروا على سبل جديدة فكانوا حقيقة من العظام، ولكن جيران ورفاقه كانوا وما برحوا يسيرون حتى الساعة على السبل التي رسمتها لهم الحالة المعنوية في اوربا قبل زمن الحرب. ومع انهم يشعرون بجمال الحياة وما في الحياة من الالم والغبطة والمظاهر والاسرار، فهم يمثلون مساء عهد بدلًا من صباح عهد آخر. وعندي ان كتاب وشعراء العالم العربي في ايامنا هذه يمثلون، ولكن بصورة مصغرة جدًا، نفس الفكرة ونفس الحالة ونفس العهد.

وعلى ذكر العالم العربي فاني اسألك: لماذا يا ترى لا يتعاطى كتاب وشعراء مصر المسير على السبل الجديدة؟ انتِ وحدكِ قادرة على ذلك فماذا يمنعكِ؟ انتِ يا ميّ من بنات

الصباح الجديد فلماذا لا تنبهي الراقدين ؟ ان الصبية الموهوبة كانت وستكون بمقام الف رجل موهوب . واني لا اشك بانكِ اذا ناديتِ تلك النفوس الضائعة الحائرة المستعبدة لقوة الاستمرار انتفضت فيها الحياة والعزم والميل الى الصعود نحو الجبل . افعلي هذا وثقي بان من يسكب الزيت في السراج يملأ بيته نوراً - أفليس العالم بيتكِ وبيتي ؟

انتِ تتأسفين لانكِ لم تستطيعي الحضور الى " الوليمة الفنيّة " وانا استغرب أسفكِ هذا ، استغربه جداً . ألعلكِ تذكرين ذهابنا سوية الى المعرض ؟ هل نسيتِ انتقالنا من صورة الى صورة ؟ هل نسيتِ كيف سرنا ببطء في تلك القاعة الواسعة نبحث وننتقد ونستقصي ما وراء الخطوط والالوان من الرموز والمعاني والمقاصد ! هل نسيتِ كل ذلك ؟ الظاهر ان " العنصر الشفاف " فينا يتمتع بكثير من الاعمال والملذات على غير معرفة منا ، فهو يسبح مرفرفاً الى الجهة الثانية من الوادي ونحن في غرفة صغيرة نقرأ جرائد المساء ، ويزور الاصدقاء البعيدين ونحن نجالس ونحادث الاصدقاء القريبين ، ويسير في حقول وغابات بعيدة سحرية لم ترها عين بشرية ونحن نسكب الشاي في فنجان سيدة تحدثنا عن الاحتفالات بعرس ابنتها .
ما اغرب العنصر الشفاف فينا يا ميّ وما اكثر اعماله المجهولة لدينا . ولكن عرفناه او لم نعرفه فهو امننا ومحبتنا ، وهو مصيرنا وكمالنا ، وهو نحن في الحالة الربانية .
هذا وانا اعتقد بانكِ اذا اجهدتِ حافظتكِ قليلاً تتذكرين زيارتنا الى المعرض فهل فعلتِ ؟

لقد طالت رسالتي - ومن يجد لذة في شيء اطاله .
قد ابتدأت بهذا الحديث قبل نصف الليل وها قد مرت بين نصف الليل والفجر ولكنني لم اقل كلمة واحدة مما اردت ان اقوله عندما ابتدأت . ان الحقيقة الوضعية فينا ، ذلك الجوهر المجرد ، ذلك الكلام الملتفّ باليقظة ، لا يتخذ غير السكوت مظهراً وبياناً .
نعم كان بقصدي ان اسألكِ الف سؤال وسؤال ، وها قد صاح الديك ولم اسألكِ شيئاً . كان بقصدي ان اسألكِ مثلاً ما اذا كانت لفظة " سيدي " موجودة حقيقية

في قاموس الصداقة؟ لقد فتشت عن هذه اللفظة في النسخة الموجودة لدي من هذا القاموس ولم اجدها فاحترت بالأمر. غير انني اشعر ان نسختي هي النسخة المصححة — ولكن قد اكون غير مصيب!

هذا سؤال صغير. اما السؤالات الكبيرة فسأتركها الى فرصة اخرى — الى ليلة اخرى. فليلتي هذه قد شاخت وهرمت، وانا لا اريد ان اكتب اليك في ظلمة الليالي المسنة.

واني ارجو ان يملأ العام الجديد راحتيك بالنجوم والله يحفظك يا مي ويحرسك

صديقك المخلص

جبران خليل جبران

٢٦ كانون الثاني
١٩٢٠

بعد ان ختمت هذه الرسالة فتحت نافذتي فوجدت المدينة متشحة برداء ابيض والثلج يتساقط بهدوء وعزم وغزارة، فتهيبت بهذا المشهد الجليل بطهره ونقاوته. وعدت بالفكر الى شمال لبنان، الى ايام حداثتي عندما كنت اصنع التماثيل من الثلج ثم تطلع الشمس فتذيبها!

اني احب عواصف الثلج محبتي لكل انواع العواصف. وسأخرج — سأخرج في هذه الدقيقة وامشي تحت هذه العاصفة البيضاء. ولكنني لن امشي وحدي.

٢ تشرين الثاني ٢٠

31 West Tenth Street

يا صديقتي يا مي،

لم يكن صمتي في الآونة الأخيرة سوى سكوت الحيرة والالتباس. ولقد جلست مرات بين يدي حيرتي والتباسي في هذا «الوادي» لأحدثك وأعاتبك ولكنني لم أجد ما أقوله لك. لم أجد ما أقوله يا مي لأنني كنت أشعر بأنك لم تتركي لي سبيلاً للكلام، ولأنني أحسست بأنك تريدين قطع تلك الأسلاك الخفية التي تغزلها يد الغيب وتمدها بين فكرة وفكرة ... ولا ...

جلست مرات في هذه الغرفة ونظرت طويلاً إلى وجهك ولكنني لم ألفظ بكلمة. أما أنت فكنت تحدقين بي وتهزين رأسك وتبتسمين ابتسامة من يجد لذة في تعذيب وتحيير جليسه.

وماذا أقول لك الآن ورسالتك العذبة أمامي؟ إن لطف رسالتك العلوية قد حولت حيرتي إلى الخجل. أنا خجول من سكوتي وخجول من ألمي وخجول من الكبرياء التي جعلتني أن أضع أصابعي على شفتي وأصمت. كنت بالأمس أحسبك «المذنبة» أما اليوم وقد رأيت جناحيك وعطفك يتعانقان حولي فقد صرت أحسب نفسي المذنب.

ولكن اسمعي يا صديقتي فأحدثك عن أسباب سكوتي وألمي:

حياتي حياتان. حياة أصرفها بالعمل والبحث ومخالطة الناس ومصارعة الناس واستقصاء السر الخفي في أعماق الناس. وحياة أخرى أصرفها في مكان قصي هادئ مهيب مسحور لا يحده مكان ولا زمان. ففي العام الغابر كنت أن بلغت ذلك المكان البعيد التفت فإذا روحاً ثانية جالسة بجانبي وهي تتناول ما هو أرق من الأفكار وتشاركني بما هو أعمق من العواطف.

فعزوت هذا الأمر في البداية إلى أوليات بسيطة اعتيادية، ولكن لم يمر شهران أو ثلاثة حتى تيقنت أن هناك سراً أبعد من الأوليات وأدق من الاعتياديات. والغريب أنني كنت أعود من هذه السفرات النفسية شاعراً بيد شبيهة بالضباب تلامس وجهي، وفي بعض الأحايين كنت أسمع صوتاً رقيقاً ناعماً كلهاث الطفل متدرجاً في أذني.

يقول بعض الناس إنني من «الخياليين». وأنا لا أعرف ماذا يعنون بهذه الكلمة. ولكنني أعرف أنني لست بخيالي إلى درجة الكذب مع نفسي. ولو حاولت الكذب مع نفسي فنفسي لا تصدقني.

النفس يا مي لا ترى في الحياة إلا ما هو فيها ولا تؤمن إلا باختباراتها الخصوصية. وإذا ما اختبرت أمراً صار فصلاً في تجربتها. وأنا قد اختبرت أمراً في العام الغابر. قد اختبرته ولم أتخيله. اختبرته مرات عديدة. اختبرته بنفسي وعقلي وحواسي. اختبرته وكان بقصدي أن أكتمه فيبقى سراً خصوصياً. ولكنني لم أكتمه. بل أظهرته لصديقة لي. أظهرته لها لأنني شعرت إذ ذاك بحاجة ماسة إلى الإظهار. وهل تعلمين ماذا قالت لي صديقتي؟ قالت لي على الفور «هذا أشبه بغنائي» !

لو قيل دائرة تحمل طفلها على منكبيها. هذا تمثال من الخشب

وأنت تحيينه بعبادة "" فبماذا يا ترى تجيب تلك الآلهة ؟ وبماذا تشعر
وربة الشهور وهذه الكلمة - نشيد غنائي " تحفر في قلبي . ؟
ولم تكتفِ صديقتي ! لم تكتفِ بل ظلت واقفة لي في المرصاد ، فلم أقل كلمة إلا ووزنتها
بالتعنيف ، ولم أحدق بشيء إلا وأخفته وراء القناع ، ولم أمد يداً إلا وثقبتها
بمسمار .
بعد ذلك قنطت . وليس بين عناصر النفس عنصر أمرّ من القنوط . ليس في الحياة شيء
أصعب من أن يقول المرء لنفسه " قد غُلبت " .
والقنوط يا ميّ جزر لكل مد في القلب . والقنوط يا ميّ عاطفة خرساء . لذلك ترينني
أجلس أمامك يا شهور دقيقة وأنظر طويلاً إلى وجهك دون أن أبحث بكلمة شفة . لذلك
لم أكتب بدوري . لذلك كنت أقول في سري " [illegible] لي [illegible] ! "
ولكن في قلب كل شتاء ربيع يختلج ، ووراء نقاب كل ليل صباح يبتسم . وها قد تحول
قنوطي إلى شكل من الأمل .
ما أقدس تلك الساعة التي رسمتُ فيها صورة " نحو الأبدية " . وما أعذب وأطيب المرأة
التي تضع شفتيها على عنق امرأة أخرى وتناجيها . وما أبهى ذلك النور الذي يتكلم
في أعماقنا . ما أبهى ذلك النور يا ميّ .
وماذا أقول عن رجل أوقفه الله بين امرأتين ، امرأة تحوك من أحلامه اليقظة وامرأة
تحوك من يقظته الأحلام ؟ ماذا أقول عن قلب وضعه الله بين سراجين ؟ ماذا
أقول عن هذا الرجل ؟ هل هو شقي ؟ لا أدري ، ولكنني أعلم أن الوحدانية لا
تجاور كآبته . هل هو سعيد ؟ لا أدري ولكنني أعلم أن الوحدانية لا تقترب من سعادته .
هل هو غريب عن هذا العالم ؟ لا أدري ولكنني أسألك ما إذا كنتِ تريدين أن يبقى
غريباً عنكِ ؟ هل هو غريب وليس في الوجود من يعرف كلمة من لغة نفسه ؟ لا أدري ولكنني
أسألكِ ما إذا كنتِ لا تريدين محادثته بلغة أنتِ أعرف الناس بها ؟
أولستِ أنتِ أيضاً غريبة عن هذا العالم ؟ ألستِ بالحقيقة غريبة عن محيطكِ وعن كل
ما في محيطكِ من الأغراض والمشاغل والملاهي والمرامي ؟ أخبريني ، أخبريني يا ميّ هل في
هذا العالم كثيرون يفهمون لغة نفسك ؟ كم مرة يا ترى لقيت من يسمعك
وأنتِ ساكتة ويفهمك وأنت ساكنة ويطوف معك في قدس أقداس الحياة وأنت
جالسة قبالته في منزل بين المنازل ؟
أنتِ وأنا من الذين حباهم الله بالأصدقاء والمحبين والمريدين الكثيرين . ولكن قولي لي
هل يوجد بين هؤلاء القريبين المخلصين من يستطيع الواحد منا أن يقول له " [illegible] فاحمل
صليبي عني يوماً واحداً " ؟ هل بينهم من يعلم أن وراء أغانينا أغنية لا تسجنها الأصوات
ولا ترتعش بها الأوتار ؟ هل بينهم من يعرف الفرح في كآبتنا والكآبة في فرحنا ؟
تقولين لي - " أنتَ فنيّ وأنت شاعر ويجب عليك أن تكون سعيداً مقتنعاً لأنك
فنيّ وشاعر " . ولكن يا ميّ أنا لست بفنيّ ولا بشاعر . قد صرفت أيامي

ولياليّ مصدراً وكاتباً". ولكن "انا لست في ايامي ولياليّ. انا ضباب يا ميّ. انا ضباب يغمر الاشياء ولكنه لا يتحد واياها. انا ضباب لم ينعقد قطراً. انا ضباب وفي الضباب وحدتي، وفيه وحشتي وانفرادي، وفيه جوعي وعطشي. ومصيبتي ان هذا الضباب، وهو حقيقتي، يشوق الى لقاء ضباب آخر في الفضاء. يشوق الى استماع قائل يقول "لستَ وحدك، نحن اثنان. انا اعرف من انت".

اخبريني، اخبريني يا صديقتي، أيوجد في هذا العالم من يقدر ويريد ان يقول لي "انا ضباب آخر ايها الضباب، فتعال نخيّم على الجبال وفي الاودية. تعال نسير بين الاشجار وفوقها. تعال نغمر الصخور المتعالية. تعال نشترك معاً الى قلب المخلوقات وخفاياها. تعال نطوف في تلك الاماكن البعيدة المنيعة الغير معروفة". قولي يا ماري أيوجد في بعض من يقدر ويريد ان يقول لي ولو كلمة واحدة من هذه الكلمات؟

"وانت تريدين ان ابتسم" و"اصفح".
لقد ابتسمت كثيراً منذ هذا الصباح. وها انا ابتسم في اعماقي، وابتسم بكليتي، وابتسم طويلاً، وابتسم كأنني لم اخلق الا للابتسام. اما "الصفح" فكلمة هائلة تقف امامي وتجعلني خجولاً مستحيياً امام الروح النبيلة التي تتواضع الى هذا الحد وتجعلني ان احني رأسي طالباً منها الصفح. انا وحدي المذنب. قد اذنبت في سكوتي وفي قنوطي. لذلك استعطفك ان تغتفري ما فرط مني وان تسامحيني.

كان الاجدر بنا تصدير هذا الحديث بالكلام عن كتاب "باحثة البادية" ولكن لخصوصيات ذاتية عميقة، وفي الخصوصيات قوة تجتذبنا اليها من اقصى الامور واجلها.
ما قرأت قط كتاباً عربياً او غير عربي مثل كتاب "باحثة البادية". لم ار في حياتي صورتين مرسومتين بمثل هذه الخطوط وهذه الالوان. لم ار في حياتي صورتين في اطار واحد، صورة امرأة اديبة مصلحة وصورة امرأة ابعد من اديبة واعظم من مصلحة. لم ار في حياتي وجهين في مرآة واحدة - وجه امرأة يخفي نصفه ظل الارض، ووجه امرأة يغمره نور الشمس. نعم، وجه امرأة يخفي نصفه ظل الارض" لأني شعرت منذ اعوام ولم ازل اشعر بان باحثة البادية لم تتملص من محيطها المادي ولم تتجرد تماماً من المؤثرات التقليدية والاجتماعية حتى حل الموت قيودها. اما الوجه الثاني، الوجه اللبناني المغمور بكليته بنور الشمس، فهو في عقيدتي وجه اول امرأة شرقية تعالت حتى بلغت ذلك الهيكل الاثيري حيث تنزع الارواح اجسادها المصنوعة من غبار التقاليد والعادات والزوائد وقوة الاستمرار. هو وجه اول امرأة شرقية ادركت

وحدة الوجود بما في الوجود من الخفي والظاهر ومن المعروف وغير المعروف. وهذا، بعد أن يطوي الزمن ما يحتسبه الكتاب ويظلمه الشعراء في قصدة الشبان، يظل كتابه باحثه البارية مرفوعاً أمام الباحثين والمفكرين والمستنطقين. أنت يا ميّ صوت صارخ في البرية. أنت صوت إلهي، والأصوات الإلهية تبقى متموجة في الفضاء الأثيري حتى نهاية الزمن.

والآن علي أن أجيب على سؤال من سؤالاتك العزيزة. علي أن لا أنسى شيئاً. أولها «كيف أنا؟» — لم أفكر في الآونة الأخيرة بكيفية أنا، بيد أنني أرجح أنني في حالة حسنة رغم ما في حياتي اليومية من الرفاعات المتباينة والأساليب المختلفة بالصدرة والكمر. «وماذا أكتب؟» — أكتب سطراً أو سطرين بين المساء والصباح. تعب بيت كل مساء وجاء يوشني في الوقت الأكثر احمراراً فلون نهاري مهركاً برسوم زيتية لهيئة عليّ إتمامها قبل نهاية هذا الشتاء. ولو عرفته أيها العصر والمعاصرة أتراني... فقد عرفت هذا الشتاء بين باريس ونيويورك. «وهل أشتغل كثيراً؟» — أشتغل دائماً. أشتغل حتى وفي نومي، أشتغل وأنا جامد صامت. ولكن شغلي الحقيقي ليس بالكتابة أو التصوير. في أعماقي يا ميّ حركة أخرى لا علاقة لها بالكلام ولا بالخطوط والألوان. فالشغل الذي ولدت له لا يتناول الريشة والقلم. «وما لون البذلة التي ارتديتها اليوم؟» — من عادتي أن ارتدي بذلتين في وقت واحد: بذلة من نسيج أنا تحاك حياكة الخياطين، وبذلة من لحم ودم وعظام! أما اليوم فإني أرتدي ثوباً أحمر طويل الأذيال واسع الأكمام عليه أثر الحبر والألوان. وهو بالإجمال لا يختلف عن ملابس الدراويش إلا بنظافته! أما الثوب الثاني المصنوع من لحم ودم وعظام فهو مطروح في الغرفة المجاورة، وذلك لأن أفضل محادثتك وهو بعيد عني. «وكم سيكارة دخنت منذ الصباح؟» — ما أعذبه لهذا السؤال وما أصعب الجواب عليه! هذا يا ميّ سيكارة وحلت منذ الصباح الثامنة عشرين سيكارة! والتدخين عندي لذة يدوم ترعرعه بتدهوره. فقد عرفت منذ صباح الثالث من عشرين سيكارة. نعم، دخنت اليوم الكثير من عادة فاعرة، فقد يمر بي أسبوع كامل بدون سيكارة واحدة. نعم، دخنت اليوم عشرين سيكارة، والحق عليك! فلو كنت وحدي في هذا الوادي لما دخنت أبداً!! «وكيف بيتي وغرفتي؟» — أما بيتي فهو بلا سقف ولا جدران، وإنني هنا يا ميّ أريد أن يكون لي بيت الكون وحدي. أما السفينة التي في العوالم فقد كانت بلا شراع — حقيقة فيه الأمواج وبدون شواطئ. السفينة سجين؟ وأما بحار الرمل وبحار الأثير فهي الهوام. ليت الهواء أخذت في هذه البحار تسير ولكن ببطء. من يقدر ويريد أن يضيف شراعاً جديداً إلى شراع سفينتي. ليت شعري من يقدر ويريد؟ أما كتابة «نخبة الله» فأبرح في العمل السري وأقصى يوم لم تزل خطوطها في الهواء وهي وجه القفر. وأما المستوحى فقد ظهر منذ ثلاثة أسابيع باسمه السابق «وقد بعثت إليك بنسخة منه. وفي البريد فقد بعثت إليك بنسخة من «العواصف» ونسخة ثالثة من صالح كرزي المسترجعة التي يصدرها في الصيف ناشر كتبي. «ولم أرسل الباكورة التي يصدرها في الصيف وهي مصورة. وأما «الرسوم» والخزف والزجاج والكتب القديمة والأوات كنت في البرية البعيدة، وهناك سبب آخر!! وأما «الرسوم» والخزف والزجاج والكتب القديمة والأوات الموسيقية والتماثيل المصرية واليونانية والقوطية فهي كما تعهدينها، مظاهر للروح الحزينة الموجهة، كلمات مشتتة من كتاب الله. وإذا جلست أمامها مفكراً بالشوق الذي أوجدها، لم أحدق بها حتى غابت عن نظري وحل مكانها أشباح الأزمنة التي نقلتها من عالم الغيب إلى عالم المرئيات. لم أحصل بعد على التمثال الكلداني من العجز الأسود، ولكن في الربيع الغابر كتب إليّ صديق إنكليزي موجود في العراق مع الحملة البريطانية وقال: «إذا وجدت شيئاً يهمك فقد...» وقد جمعت هذا الكم فقد اجبت على جميع سؤالاتك ولم أنس شيئاً. وقد جمعت هذا الكم

من هذه الصفحة قبل أن أقول كلمة مما أردت قوله عندما ابتدأت في رأس الصفحة الأولى. ألم ينعقد ضبابي قطراً يا ميّ. وتلك السكينة، تلك السكينة المجنحة المضطربة لم تتحول إلى ألفاظ. ولكن هل ساءت بيكاسو من هذا الضباب؟ وهل أغمضت عينيك وسمعت السكينة تتكلم؟ وهل مررت ثانية بهذا الوادي حيث الدهشة تسير كالقطعان وترفرف كأسراب الطيور وتتراكض كالسواقي وتتعالى كأشجار السنديان؟ هل مررت ثانية يا ميّ؟ والله يحفظك ويحرسك.

بوسطن - ١١ كانون الثاني ١٩٢١

بابي

ها قد بلغنا قمة عالية فظهرت امامنا سهول وغابات وأودية. فلنجلس ساعة ونتحدث قليلاً. نحن لا نستطيع البقاء هنا طويلاً لأني أرى عن بعد قمة أعلى من هذه وعلينا ان نصل اليها قبل الغروب. ولكننا لن نترك هذا المكان الا وانت فرحة، ولن نخطو خطوة الا وانت مطمئنة.

قد قطعنا عقبة صعبة المسالك، قطعناها بشيء من التلبك. واني اعترف لك بأني كنت ملحاً لجوجاً غير ان الالحاح كان نتيجة مقدرة لشيء اقوى مما ندعوه الارادة. واعترف لك بأني لم اكن حكيماً في بعض الأمور. ولكن أليس في الحياة ما لا تبلغه اصابع الحكمة؟ أليس فينا ما تتحير الحكمة امامه؟ ولو كانت اختباراتي يا ميّ تماثل بوجه من الوجوه ما اختبرته في ماضيك لما اعلنتها وكونها جاءت جديدة غريبة وعلى حين غفلة. ولو كنت اذ ذاك في القاهرة لظهرت لك شفاهاً وبصورة بسيطة مجردة خالية مما في الشخصيات من الرأي الذاتية لما حدث بيننا سوء تفاهم. ولكن لم اكن اذ ذاك في القاهرة، ولم يكن لدي من وسيلة الا المراسلة — والمراسلة في هذه "المواضيع" تلبس الأمور ثوباً من المربكات وتسدل على وجه الحقيقة نقاباً كثيفاً من الكلفة. فمن مرة نريد ان نبدي فكرة بسيطة فنضعها في ما تيسر لنا من الألفاظ، تلك الألفاظ التي تعودت اقلامنا سكبها مع الوقت. فينتج عن كل ذلك "قصيدة منثورة" او "مقالة خيالية". اما السبب فهو اننا نشعر ونفكر بلغة اصدق واصح من اللغة التي نكتب بها. نحن بالطبع نحب القصائد المنثورة والمنظومة ونحب المقالات الخيالية وغير الخيالية، بيد ان العاطفة الحية الحرة شيء والبيان في المراسلات شيء آخر. منذ كنت صبياً في المدرسة وانا ابتعد بقدر استطاعتي عن التعابير القديمة المتداولة ... ولم ازل اشعر بأني

تخفي الفكر والعاطفة اكثر مما تظهرهما ، ولكن يبدو لي الآن انني لم اتخلص
مما اتبرم منه – يبدو لي انني كنت منذ سنة ونصف سنة حيث كنت وانا
في الخامسة عشر ، ودليلنا على ذلك ما اثرته رسائلي من سوء التفاهم .
اقول ثانية انني لو كنت في اشارة لوقفنا امام اختباراتنا النفسية وقوفنا
امام البحر او امام النجوم او امام شجرة تفاح مزهرة . ومع كل ما في اختباراتنا
من الغرابة فهي ليست باغرب من البحر او من النجوم او من الشجرة المزهرة ، ولكن
من العجائب اننا نحتشم ونستسلم الى معجزات الارض والفضاء وفي الوقت نفسه
نستصعب تصديق ما يظهر في ارواحنا من المعجزات
كنت اعتقد يا مي ، وما برحت اعتقد ، ان بعض الاختبارات لا تحدث الا
اذا اشترك بها اثنان في وقت واحد . وربما كان هذا الاعتقاد سبباً
اوليا لتلك الرسائل التي جعلتك تقولين لنفسك "يجب ان نقف هنا" .
الحمد لله اننا لم نقف هناك" . الحياة يا مي لا تقف في مكان من الامكنة ،
وهذا الموكب الهائل بجماله لا يستطيع سوى المسير من لا نهاية الى لا نهاية . ونحن
الذين نقدس الحياة ونحب بكل قوانا الصالح والمبارك والعذب والنبيل في
الحياة ، نحن الذين نجوع ونعطش الى الثابت الباقي في الحياة لا نريد ان
نقول او نفعل ما يوعز الخوف او ما "يملأ الروح شوقاً وقلقاً" . نحن
لا نريد ولا نقدر ان نلمس جوهر المذهب الا باصابع طاهرة . ونحن
اذا احببنا شيئاً يا مي نحب المحبة نفسها محبة لا واسطة للحصول على شيء
آخر ، واذا خضعنا فانما نخضع امام شيء علوي نجد في الخضوع رفعة وفي الخشوع موهبة ونعمة . ونكون
ثواباً ، واذا تشوقنا الى شيء نحب الشوق بحد ذاته ... بميلنا وحنيننا ، ونحن – انت
نعلم ان ابعد الامور هي اقربها
وانا – لا نستطيع حقيقة ان نقف في نور الشمس قائلين "يجب ان نوفر على
نفوسنا عذاباً نحن بغنى عنه" . لا يا مي ، نحن لسنا بغنى عما يضع في
النفس خميرة قدسية ، ولسنا بغنى عن الافكار التي تسير بنا الى مدينة
الله ، ولسنا بغنى عما يقربنا من ذاتنا الكبرى ويرينا بعض ما في الله
من القدرة والاقتدار والابداع . وفوق كل ذلك ، نحن نستطيع ان نجد
السعادة الكاملة في اصغر مظهر من مظاهر الروح ، ففي الزهرة الواحدة نشاهد

كل ما في الربيع من الجمال والبهاء ، وفي عينيّ الطفل الرضيع نجد كل ما في البشرية من الآمال والأماني . لذلك لا نريد ان نتخذ اقرب الأشياء وسيلة او مقدمة للوصول الى ابعدها . كما اننا لا نريد ولا نقدر ان نقف امام الحياة ونقول مشترطين « اعطينا ما نريد او لا تعطينا شيئاً - اما ذاك واما لا شيء » يا مي ، نحن لا ننقص ذلك لاننا نعلم ان الصالح والمبارك والثابت في الحياة لا يسير كما نشاء بل يسيرنا كما يشاء . وأي مطمع لنا ، وسبعة آلاف ميل تفصلنا ، في اعماقنا سر من اسرار ارواحنا سوى التمتع باعماق ذلك السر ؟ وما هي غايتنا من الوقوف بباب الهيكل سوى مجد الوقوف ؟ ماذا يا ترى يبغي الطائر اذا ترنم والبخور اذا احترق ؟ أوليس في هذه النفوس المستوحدة سوى المنازع المحدودة ؟

ما اعذب تمنياتك لي في يوم مولدي وما اطيب اريجها ! ولكن اسمعي يا مي هذه الحكاية الصغيرة واضحكي قليلاً على حسابي ! شاء نسيب عريضه ان يجمع « دمعة وابتسامة » في كتاب ، وذلك قبل زمن الحرب ، وشاء ان ينشر مقالة « يوم مولدي » بين تلك القطع الضئيلة ، ورأى ان يضع التاريخ مع العنوان ، ولم اكن حينئذ في نيويورك . فأخذ يبحث - وهو بجانبه لا يكل ولا يمل - حتى وجد تاريخ ذلك اليوم البعيد باللغة الانكليزية فترجم « 6 January » الى « ٦ كانون الاول » ! وهكذا خسرت من سني حياتي سنة وأُخّر يوم مولدي الحقيقي شهراً ! ومنذ ظهور كتاب دمعة وابتسامة حتى اليوم وانا اتمتع في كل سنة بيومي مولدي ، الاول اوجدته غلطة في الترجمة اما الثاني فلست - يعلم الله - ادري أية غلطة في الاثير اوجدته ! وتلك السنة التي سرقت مني - وانت تعلمين انني اشتريتها غالية ، اشتريتها بنبضات قلبي ، اشتريتها بسبعين وزنة من الالم الصامت والحنين الى ما لا اعرفه ، فكيف اسمح لغلطة في كتاب ان تسلبني اياها ؟

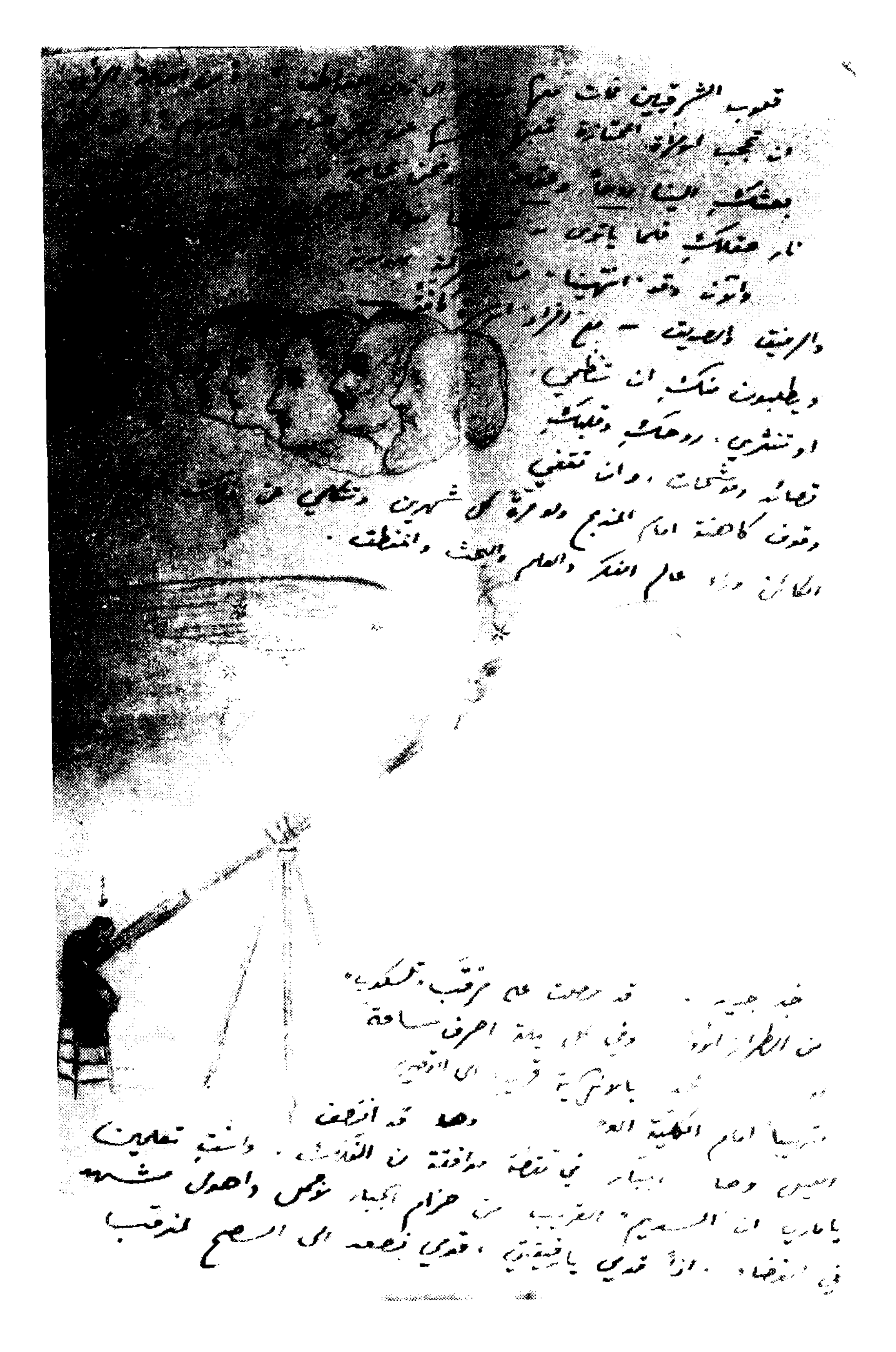
انا بعيد عن « الوادي » يا مي . جئت هذه المدينة - بوسطن - منذ عشرة ايام لعمل

تصويري، ولو لم يبعثوا إليّ ببقية من الرسائل الواردة إلى عنواني في نيويورك لعشت عشرة أيام أخرى بدون رسائلك. هذه الرسالة التي حلّت ألف عقدة في حبل روحي وحوّلت الانتظار، وهو صحراء، إلى جنائن وبساتين. الانتظار حوافر الزمن يا ميّ، وأنا دائماً في حالة الانتظار. يخال لي في بعض الأحايين أنني أصرف حياتي مترقباً حدوث ما لم يحدث بعد. وما أشبهني بأولئك العمي والمقعدين الذين كانوا يضطجعون بقرب بركة بيت حسدا في أورشليم لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه»

أما اليوم، وقد حرّك ملاكي بركتي، ووجدت من يلقيني في الماء، فأني أسير في ذلك المكان المهيب المسحور وفي عينيّ نور وفي قدميّ عزم. أسير بجانب خيال أجمل وأطهر وأبعد من حقيقة أناس الأرض. أسير وفي يدي يد حريرية الملمس ولكنها قوية وذات إرادة خاصة، ولينة الأصابع ولكنها تستطيع رفع الأثقال وتحطيم القيود. وبين الآونة والأخرى ألتفت فأرى عينين مشعشعتين وشفتين تداعبهما ابتسامة جارحة بحلاوتها. قلت لك مرة إن حياتي مقسومة إلى حياتين وإني أصرف الواحدة منهما بين العمل والناس والثانية في الضباب. قد كان ذلك بالأمس، أما اليوم فقد توحدت حياتي وصرت أشتغل في الضباب وأجتمع بالناس في الضباب وأنام وأحلم ثم أستيقظ وأنا في الضباب. هي نشوة حالمة بخفيف الأجنحة، فالوحدة فيها ليست بالوحدة، والألم الكامن فيها أطيب من كل شيء عرفته. هي غيبوبة ربانية يا ميّ، هي غيبوبة ربانية تدني البعيد وتبين الخفي وتغمر كل شيء بالنور. أنا أعلم الآن أن الحياة بدون هذا الانجذاب النفسي ليست سوى قشور بغير لباب. وأحقق أن كل ما نقوله ونفعله ونفكر به لا يساوي دقيقة واحدة نصرفها في ضبابنا.

وأنت تريدين كلمة من نشيد غنائي «إنه يحفر في قلبي»! تريدينها أن تنتقل لك من هذا المكان الأمين الذي يحميني وأحمله. لندعها تحفر وتحفر وتحفر، بل لننادي بجميع الأصوات الغنائية الهاجعة في الأثير ولنأمرها أن تنتشر في هذه البلاد الواسعة لتحفر الترعات، وتمد السبل وتبني القصور والأبراج والهياكل، وتحوّل الوعر إلى حدائق وكروم، لأن شعباً من الجبابرة قد اختارها واتخذها وطناً له. أنت يا ميّ شعب عظيم من الجبابرة الفاتحين، وفي الوقت نفسه أنت ابنة صغيرة في الثانية من العمر تضحك في نور الشمس وتركض وراء الفراشة وتجني الأزهار وتقفز فوق الجداول. وليس في الحياة شيء ألذ وأطيب لديّ من الركض خلف هذه الصغيرة الحلوة والقبض عليها ثم حملها على منكبيّ ثم على كتفي ثم الرجوع بها إلى البيت لأقص عليها الروايات العجيبة الغريبة حتى تكحل أجفانها بالنعاس وتنام نوماً هادئاً سماوياً.

جبران


ويطلبون منك ان تشكلي
او تنشري روحك وقلبك
وان تغني

51 West Tenth Street

كل ما في عينيك الصغيرتين جمال الاستغراب والعطف والمعرفة.
اقول يا سيدتي ان حياة الرجل تظل كالصحراء خالية الا من
الرمال حتى يهب الله عليه بابنة مثل ابنتي الصغيرة. واقول
يا سيدتي ان من ليس له ابنة فليستبق ابنة من بنات اسرار
الايام ومعانيها تختبئ في قلوب الصغيرات.
وانا اعلم ان ابنتي "يا صغيرتي" من حركاتها وسكناتها ونغمة صوتها،
وابتساماتها، والعابها، واختراعاتها بل وكل شيء فيها يدل
على "الامارة" — هي مستبدة ولها ارادة خصوصية لا يستطيع
احد من البشر تغييرها او تحويرها — ولكن ما اعذب واطيب
استبدادها وحكمها المطلق.
هذه رسالة قصيرة — قصيرة جداً — ولكنها اول رسالة كتبتها
منذ خمسة اسابيع، فهلا قرأت فيها ما ليس بالمخطوط؟ انا
سوف اكتب الكثير ثانية عندما انهض من فراشي. ان
الربيع سيأخذ بساعدي وينتشلني من بين هذه اللحف
ويسيرني وراءه الى الاماكن الخضراء حيث تجدد الحياة عزم
ابنائها وتبدل همسهم وانفاسهم المتقطعة بالاغاني والتهاليل.
رجوتك يا صديقتي ان لا تتخلي عني — استعطفك
ان لا تتخلي عني. باركيني قليلاً فانا اباركك دائماً.

جبران

في ٦ نيسان ١٩٢١

يا ميّ، يا صديقتي

«كثيراً وجنوناً - كثيراً وجنوناً». هذه حقيقة بسيطة ظهرت لي منذ حين فانفتحت في روحي نوافذ وابواب جديدة، وطالما قرأتني أراني واقفاً امام مشاهد ما كنت احلم بوجودها في هذا العالم.

«كثيراً وجنوناً - كثيراً وجنوناً» في هذا الكثير وهذا الجنون قد تعلمتُ الصمت بفرح والسكينة بطمأنينة والاستسلام بدون انكسار. وقد عرفت ان الرجل المستوحد يستطيع ان يعز وحدته بنور «الكثير» ويزيل الاوجاع في محله بجدوة «الجنون». وعرفت ان الغريب المستوحش يستطيع ان يكون اباً وأخاً ورفيقاً وصديقاً - وفوق كل ذلك ان يكون طفلاً فرحاً بالحياة.

«كثيراً وجنوناً» ان في هذا الكثير وهذا الجنون اجنحة تخيم وأياد تبارك.

صحتي اليوم احسن مما كانت عليه منذ شهر ولكنني لم ازل مريضاً. وهذا الجسم الضعيف ما برح بدون نظام وبدون وزن وبدون قافية.. وانت تريدين ان اقول لك مم اشكو، فاليك خلاصة ما قاله الاطباء:

"Nervous prostration caused by overwork and lack of nourishment. General disorder of the system. Palpitation was an inevitable result. Pulse beats 115 per minute - the normal is about 80."

اي يا ميّ، ففي العامين الغابرين قد حملت جسمي فوق طاقته، فكنت اسهر ما دام النور واكتب حتى الصباح والقي المحاضرات واختلط بجميع انواع البشر - وهذا العمل لا يفيد منه صاحبه شيئاً امام وجه الشمس - وكنت اذا جئت الى مائدة الطعام اشغل نفسي بالكلام والمتكلمين حتى تحضر القهوة فاتناول منها الشيء الكثير بدلاً طعاماً وشراباً. وكم مرة عدت الى منزلي بعد منتصف

العين وبدأت من الخضوع إلى سنّة الله في أجسامنا كنت أنبه ذاتي بالحمامات الباردة وبالقهوة القوية وأصرف ما بقي من الليل كاتباً أو مصوراً - أو على الصليب. ولو كنت شبيهاً بجدي سكان شمال لبنان لما قبضت عليّ العلة بهذه السرعة. هم كبار الأجسام أقوياء البنية أما أنا فبعكس ذلك ولم أرث عن أولئك الأشداء حسنة واحدة من حسناتهم الجسدية.
ها قد اشتغلت فسحة كبيرة بالكلام عن مرضي، وكان الأجدر بي أن لا أفعل - ولكن ما العمل وأنا لا أستطيع الآن الجواب على كل سؤال من سؤالاتك المنطقة بجودة الاهتمام والرقة والحنو"

أين الرسالة الطويلة المنطقة المكتوبة بقلم رصاص وعلى ورق جديد مربع التسطير في حديقة جميلة أمام صف من الذهبيات(1)؟ أين رسالتي يا مي؟ لماذا لم تبعثي بها إليّ؟ أريد الحصول عليها. أريدها بكلياتها وجزئياتها. أتعلمين مقدار رغبتي في الحصول على تلك الرسالة بعد أن قرأت نتفة منها - تلك النتفة المقدسة التي جاءت فجراً ليوم جديد. أتعلمين أنه لولا خوفي من كلمة "وجنونيته" لكنت بعثت إليك ليلة أمس برقية أرجوك فيها تسليم الرسالة إلى البريد؟

أترين فيّ الطيبة يا مي؟ وهل أنت بحاجة إلى الطيبة؟ هذا كلام جارح بعذوبته فبما أجيب عليه؟ إذا كان في كياني يا صديقتي ما أنت في حاجة إليه فهو لك بكليته. ليست الطيبة فضيلة بحد ذاتها أما عكسها فجهالة - وهل تقطن الجهالة حيث "كثيراً وكثيراً"؟
إذا كانت الطيبة في محبة الجميل وفي التهيب أمام النبيين وفي الشوق إلى البعيد والخفي - إذا كانت الطيبة في هذه الأشياء فأنا أول من الطيبين، أما إذا كانت في غير هذه الأشياء فأنا لا أدري ما هي أنا. وإني أشعر يا مي أن المرأة السامية تستلزم وجود الطيبة في روح الرجل حتى ولو كان جناساً.

حبذا لو كنت الساعة في مصر. حبذا لو كنت في بلادي قريباً ممن تحبهم نفسي. أتعلمين يا مي أنني في كل يوم أتخيل ذاتي في منزل في ضواحي مدينة شرقية وأراه

(1) أذكر الذهبيات جيداً فقد رأيتها أيام كنت في مصر.

51 West Tenth Street

صديقتي جالسة قبالي تقرأ لي آخر مقالة من مقالاتي التي لم تنشر بعد، فنتحدث طويلاً في موضوعها ثم نتفق على أنها أحسن ما كتبته حتى الآن. وبعد ذلك انتشل من بين مساند فراشي بعض الأوراق وأقرأ قطعة كتبتها أثناء الليلة الغابرة فتستحسنها صديقتي قليلاً ثم تقول في سرّها «يجب أن لا يكتب وهو في هذه الحالة. إن تراكيب هذه القطعة تدل على الضعف والوهن والتشويش — عليه أن لا يأتي بعمل فكري حتى يتعافى تماماً» — تقول صديقتي هذا في سرها وأنا أسمعه في سري فأقتنع بعض الاقتناع ثم لا ألبث أن أقول بصوت عالٍ «أمهليني قليلاً، أمهليني أسبوعاً أو أسبوعين فآتي عليك بقطعة جميلة، جميلة للغاية». فتجيبني بصراحة «يجب أن تمتنع عن الكتابة والتصوير وكل عمل آخر عاماً أو عامين. وإن لم تمتنع فأنا عليك من الساخطين!» — تلفظ صديقتي كلمة «الساخطين» بلهجة ملؤها الاستبداد المطلق، ثم تبتسم كالملائكة فأحتار دقيقةً بين سخطها وابتسامها، ثم أجدني فرحاً بسخطها وابتسامها — فرحاً بحيرتي.

وعلى ذكر الكتابة — أتدركين مقدار سروري وابتهاجي وافتخاري بما ظهر لكِ من المقالات والحكايات في الأشهر الأخيرة؟ ما قرأت تلك القطعة إلا وشعرت بنمو وتجدد في قلبي، وما قرأتها ثانيةً إلا وتحولت عمومياتها إلى أشياء شخصية خاصة في الأفكار والقوالب ما لم يره سواي وأقرأ بين السطور سطوراً لم تكتب إلا لي. إنكِ يا مي كنز من كنوز الحياة، بل وأكثر من ذلك — إنكِ أنتِ، وإني أحمد الله لكونك من أمة أنا من أبنائها ولكونك عائشة في زمن أعيش فيه. كلما تخيلتك عائشة في القرن الماضي أو في القرن الآتي رفعتُ يدي وخفقتُ بها الهواء كمن يريد أن يزيل غيمة من الدخان من أمام وجهه.

بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع أذهب إلى البرية فأسكن بيتاً صغيراً منتصباً كالحلم بين البحر والغابة — وما أجمل تلك الغابة، وما أكثر أطيارها وأزاهرها وينابيعها. كنت في الأعوام الغابرة أسير وحيداً منفرداً في تلك

الغابة. وكنت اذهب عشيّةً الى البحر واجلس كئيباً على الصخور او ارمي بنفسي الى الامواج كمن يريد ان يتخلص من الاوهام والأشباح. اما في هذا الصيف فسأسير في الغابة واجلس امام البحر وفي روحي ما ينسيني الوحدة وفي قلبي ما يشغلني عن الكآبة.

اخبريني يا ميّ ما انتِ فاعلة في هذا الصيف؟ أذاهبة الى رمل الاسكندرية ام الى لبنان؟ أذاهبة وحدكِ الى لبناننا؟ الى متى يا ترى اعود الى لبنان؟ أتستطيعين ان تقدري لي الى متى اتخلص من هذه البلاد ومن القيود الذهبية التي حبكتها منازلي حول عنقي؟

أتذكرين يا ميّ قولكِ لي مرّةً ان صحفياً في بوينس ايرس قد بعث اليكِ برسالة يطلب فيها رسمكِ ومقالة من مقالاتكِ؟ لقد فكرت مرات عديدة في طلب هذا الصحفي وفي ما يطلبه جميع الصحفيين وكنت في كل مرة اقول متحسّراً "لستُ بصحفي! لستُ بصحفي! فلذلك يتعذر عليَّ ان اطلب ما يطلبه الصحفيون. لو كنت صاحب مجلة او محرر جريدة لطلبتُ رسمكِ بكل حريّة، وبدون خجل، وبدون وجل، وبدون توطئة منسوجة من الالفاظ المرتعشة". كنت ولم ازل اقول هذا في قلبي، فهل سمع الذين اتخذوا قلبي وطناً لهم؟

ها قد انتصف الليل ونحن لم اخطّ الكلمة التي تتلفظها شفتاي وتتلفظها تارةً همساً وطوراً بصوت عالٍ. اني اضع كلمتي في قلب السكينة فالسكينة تحتفظ على كل ما نتقدله بحنوّ ومعرفة وايمان. والسكينة يا ميّ تحمل صلواتنا الى حيث نريد او ترفعها الى الله.

انا ذاهب الى فراشي. سوف انام الليلة طويلاً. وسوف اقول لكِ في الحلم ما لم اخطه على هذه الورقة. مساء الخير يا ميّ. الله يحرسكِ.

جبران

مساء السبت ٢١ ايار ١٩٢١

51 West Tenth Street

صباح الاثنين ٢٠ ايار ١٩٢١

يا ميّ ، يا ماري ، يا صديقتي

استيقظت الساعة من حلم غريب . ولقد سمعتك تقولين لي في الحلم كلمات حلوة ولكن بلهجة موجعة . والامر الذي يزعجني في هذا الحلم - ويزعجني جداً - هو انني رأيت في جبهتك جرحاً صغيراً يتقطر دماً .

ليس في حياتنا شيء ادعى الى التفكر والتأمل من الاحلام . وانا من الذين يحلمون كثيراً . بيد انني انسى احلامي الا اذا كانت ذات علاقة بمن احبهم . وانا اذكر انني حلمت في ماضيّ حلماً اوضح من هذا الحلم ، لذلك اراني مشوشاً مضطرباً مشغول البال في هذا الصباح . ماذا تعني رنة التوجع في كلماتك الجميلة ؟ وما معنى الجرح في جبهتك ؟ واي بشريّ يستطيع ان يخبرني معنى انقباضي وكآبتي ؟

سوف احرق بخوراً صغيراً في قلبي . سوف اصلي من اجلك في سكينة قلبي . وسوف اصلي من اجلنا .

والله يباركك يا ميّ ويحرسك

جبران

حديقتي العاصفة

تسألينني ياسيدتي ما اذا لست وحيد الفكر والقلب والروح . فبما ياترى اجيبك ؟ اشعر ان وحدتي . . . . بأشد وسو باعمق من وحدة غيري من الناس . هنا وحيد منفرد . هلنا سر خفي . هنا محجوب بألف نقاب ونقاب . وما الفرق بين مستوحد ومستوحد سوى انه الاول يتكلم عن وحدته والثاني يظل صامتا . وقد يكون في الكلام بعض الراحة . وقد يكون في الصمت بعض الفضيلة .

لو ادري ياسيدتي ما اذا كانت وحدتي بما فيها من الكآبة مظهرا " لسمو بعض شخصياتي " او برهانا على عدم وجود شخصية في هذا الكائن الذي ادعوه " انا " . لو . لو ادري . ولكن اذا كانت الوحدة عنوان الضعف فانا بدون شك اضعف الناس .

اما مقالة " نفس مثقلة بثمارها " فلم تكن " انة شاعر في ساعة غم عابرة " بل صدى لعاطفة عميقة قديمة

مستتبّة شعر وبشعر ... نشيده . وسيدتي تعلم ان ميلنا الى ستر ما في ارواحنا في لذوى الآخرين لاشبه بما لا يقاس من الرغبة في الاستواء معا ... سلسه الآخرين في ذلك ... تلك صفة لا تخلو من الغرور في بعض الاحايين ولكنها طبيعية .

ما احسن قولك "ان غربة الوحدة وتباريحها تشتد وسط الجماهير . هذه حقيقة اولية . فلم مرة يجلس الواحد منا بين اترابه ومريديه فيحدثهم ويجادلهم ويشاركهم بالاقوال والاعمال - بنفس من ذلك باخلاص ومسرة ، ولكن فعله لا يتعدى حدود الذات المقتبسة من عالم المظاهر ، اما ذاته الأخرى ، ذاته الخفية فتبقى سائرة مستوحدة في عالم المصدر .

الناس ، وانا منهم ، ميالون الى الدخان والرماد ، اما النار فيخافونها لانها تبهر العين وتحرق الاصابع . الناس ، وانا منهم ، منصرفون الى درس ثنايا قشور بعضهم بعضا اما اللباب فيتركونه وشأنه لانه لا يقع تحت حواسهم . وكيف يستطيع اللباب ان يظهر الا بجسر القشرة ؟ وليس

من ابسط الهينة ان يفرق المرء قلبه بيدى الشام

ملفوفات قلبه . وهذه هي موهوبة ياسيدتي ،

وهذه هي العتابة .

عندما - وبشيء من القصد - قد اسأت التعبير

قلت لك في اواخر صيف لعام ، منذ ستة اسابيع

واني احاول العتابة اليك" . كان يجب ان اقول

" منذ ستة اسابيع واني اسأل بعض الناس للاهتمام

بركلي من اعصاب بيني لم تكن صالحة للعتابة "

ولم احلم قط بانه لحظة " احاول " ستتحول الى

مبضع في يد صديقتي . كنت اتوهم ان الروح المجنحة

ستجن في قفص من الاسلاك . وكنت اتوهم ان

الضباب سيتبخر . وكنت اتوهم واتوهم واجد الراحة

والطمأنينة في او ... حتى اذا ما طلع الفجر واستيقظت

وجدتني جالساً على ابية من رماد وفي يدي قصبة

مرضوضة وعلى ... اكليل من الشوك .. وبأمر

فانا المخلص . انا ، انا المخطئ يا امي" .

ارجو ان تحقق الايام رغبتك في السفر الى أوروبا .

Twitter: @abdullah_1395

سوف تجدين، خصوصاً في ايطاليا وفرنسا، من

مظاهر الفن والصناعة ما يسرك ويبهجك.

هناك المتاحف والمعاهد، وهناك الكنائس

القديمة القوطية، وهناك آثار نهضة القرن -

الرابع عشر والخامس عشر. وهناك افضل ما تركته

الامم المغلوبة [illegible] اوربا ياسيدتي

مغارة لص غاوي خبير يعرف قيمة الاشياء

النفيسة ويعرف كيف يختص بها.

كان بقصدي الرجوع الى الشرق في الخريف الآتي.

ولكن بعد قليل من التفكير وجدت ان الغربة بين

الغرباء اهون من الغربة بين ابناء وبنات امي.

وانا لست ممن يميلون الى الرهبان ولكن القنوط

فنون كالجنون.

تفضلي، بقبول تحيتي مشفوعة بأحسن تمنياتي

والله يحفظك

المخلص

جبران

٩ ايار ١٩٢٢

٥ تشرين اول ١٩٢٢

31 West Tenth Street

لا يا ماري، ليس التوتّر في اجتماعاتنا الضبابية بل في اجتماعاتنا الكلامية. ما
لقيتك في ذلك الكهف البعيد الهادئ الا وجدتك الصبية العذبة المطمئنة التي تشعر بكل
الأشياء وتعرف كل الأشياء وتنظر الى الحياة بنور الله وتغفر الحياة بنور روحها. ولكن ما
اجتمعنا بين سواد الحبر وبياض الورق الا رأيتك ورأيتني أرغب الناس في الخصام والمبارزة —
المبارزة العقلية المفعمة بالقياسات المحدودة والنتائج المحدودة.

الله يسامحك. لقد سلبتني راحة قلبي، ولولا تهذيبي وعنادي لسلبتني ايماني.

من الغريب ان يكون أحب الناس الينا اقدرهم على تشويش حياتنا.

يجب الا نتعاتب. يجب ان نتفاهم. ولا نستطيع التفاهم الا اذا تحدثنا ببساطة الأطفال. قد
انت وانا نميل الى الأشياء بما يلزم الأشياء من المهارة والتفنن والتدبير والترتيب. قد
عرفنا، انت وانا، ان الصداقة والأشياء لا يتفقان بسهولة. القلب يأبى شيئاً [illegible]
ومظاهر القلب عناصر بسيطة، اما الأشياء، ونحن المركبات الاجتماعية. ما قولك في ان
نتحول عن الأشياء الى الكلام البسيط؟

انت تحيين فيّ وانا احيا فيك، وانت تعلمين ذلك وانا اعلم ذلك.

أليست هذه الكلمات القليلة اكثر بما لا يقاس من كل ما قلناه في الماضي؟ ماذا
يا ترى كان يمنعنا عن التلفظ بهذه الكلمات في العام الغابر؟ أهو الخجل ام الكبرياء أم
الاصطلاحات الاجتماعية أم [illegible]؟ منذ البدء عرفنا هذه الحقيقة الأولية فلماذا لم نظهرها
بصراحة المؤمنين المخلصين المتجردين؟ لو فعلنا لكنا انقذنا نفسينا من الشك والألم
والندم والسخط والمعاكسات، المعاكسات، المعاكسات التي تحول عسل القلب
الى مرارة وخبز القلب الى تراب. الله يسامحك ويسامحني.

يجب ان نتفاهم، ولكن كيف نستطيع ذلك بدون ان يتعاتب الاثنان منا.

اقول لك يا ماري، اقول لك امام السماء والأرض
صراحة الأشياء [illegible] اني لست ممن يكتبون "القصائد الغنائية" ويبعثون بها الى الشرق والى الغرب
وما بينهما، ولست ممن يتكلمون صباحاً عن نفوسهم المثقلة بالأفكار وينسون مساءً
كرسائل خصوصية،

نفوسهم واثمارها وانتصاراتها ، ولست ممن يلمسون الأشياء المقدسة قبل
ان يغسلوا اصابعهم بالنار ، ولست ممن يجدون في ايامهم ولياليهم الفسحات
الفارغة فيشغلونها بالمداعبات الغزلية ، ولست ممن يستصغرون اسرار ارواحهم وخفايا
قلوبهم فينشرونها امام أية ريح تهب ، انا كثير الانشغال مثل بعض الرجال الكثيري
الانشغال ، انا اتوق الى العظيم والنبيل الجميل والنقي مثل بعض الرجال الذين
يتوقون الى العظيم والنبيل والجميل والنقي ، وانا غريب مستوحد مستوحش مثل بعض
الرجال المستوحدين المستوحشين رغم سبعين الف صديقة وصديق . وانا مثل بعض
الرجال ، لا اميل الى البهلوانيات الكتبية المعروفة عند الناس باسماء حسنة ونعوت
احسن . وانا يا مي مثل جارك وجاري ، احب الله والحياة والناس ، ولحد الآن
لم تطلب مني الايام ان العب دوراً لا يليق بجارك او بجاري .

لما كتبت اليك في البداية كانت رسائلي دليلاً على ثقتي بنفسي ولما جاوبتني
كان جوابك دليلاً على الشك . كتبت اليك مطولاً فاجبتني متحذرة . حدثتك عن
حقيقة غريبة فاجبتني بكل لطف تأدبة "عافاك يا ... الخ" ما احسن قصائدك "الغنائية"
انا اعلم جيداً انني لم اتبع احد تلك السبل المألوفة ، وانا لم اتبع ولن اتبع السبل
المألوفة . وانا اعلم ان تحذرك كان من الامور المنتظرة ، ولهذا لهذا هو سبب
ألمي ، لانني لم انتظر المنتظر . لو كتبت لغير مي لكان علي ان انتظر المنتظر . ولكن هل
كان بامكاني اظهار تلك الحقيقة لغير مي ؟

والغريب انني لم اندم بعد ذلك . لا لم اندم بل بقيت متمسكاً بحقيقتي راغباً
في اظهارها لك . فكتبت اليك مرات عديدة وكنت احصل بعد كل مرة على الجواب ، الجواب
اللطيف ، ولكن من غير مي التي اعرفها . كنت احصل على الجواب اللطيف من كاتمة اسرار مي ،
وهي صبية ذكية تعيش في القاهرة بمصر . ثم ناديت وناجيت وصرخت ، وكنت احصل
على الجواب ، نعم كنت احصل على الجواب ولكن ليس من تلك التي "احيا فيها وتحيا فيّ"
بل من امرأة متحذرة متشائمة تأخذ وتعطي معي كأنها المدعي العمومي وكأنني المدعى عليه .

وهل انا ناقم عليك ؟
كلا . ولكنني ناقم على كاتمة اسرارك .
وهل حكمت عليك حكماً عادلاً ام غير عادل ؟
كلا . لم احكم ابداً . ان قلبي لا ولن يسمح بايقافك امام منصة القضاء ،

وقلبي – ولن يسمح لي بالكلام علناً. إن ما بنا يا مي يفصلنا عن جميع الخلائق.
ولكن لي رأياً في كاتمة الأسرار وهو هذا: كلما جلسنا لنتحدث تدخل علينا
[illegible] وتجلس قبالتنا لكن بسقعة بدون وقاية جلسة من جلسات مؤتمر سياسي.
أسألك، أسألك يا صديقتي، هل نحن بحاجة إلى كاتمة أسرار؟ هذا سؤال مهم
إذا كنت حقيقة بحاجة إلى كاتمة أسرارك فعليَّ إذاً أن أستدعي كاتم أسراري
سوى أن أيضاً أريد تفسير أشياء. على الطراز الأسود! أتريدين كاتم أسراري أن
يكون معنا؟

انظري يا مي: ههنا شخصان جبليان يمشيان في نور الشمس، وهناك
أربعة أشخاص امرأة وكاتمة أسرارها ورجل وكاتم أسراره. ههنا شخصان يسيران
يداً بيد يسيران بإرادة الله إلى حيث يريد الله، وهناك أربعة أشخاص في
مكتب يتجادلون ويتجاهدون ويتقدمون ويتقعدون وكل منهم يحاول إثبات ما يظنه حقاً
له على حساب ما يظنه غلطاً في الآخر. ههنا شخصان، وهناك أربعة أشخاص،
فإلى أية جهة يميل قلبك؟ قولي لي إلى أية جهة؟

آه لو كنت تعلمين مقدار تعبي مما لا لزوم له. لو كنت تعلمين
مقدار حاجتي إلى البساطة. لو كنت تعلمين مقدار حنيني إلى المجرد، المجرد
الأبيض، المجرد في العاصفة، المجرد على الصليب. المجرد الذي يبكي ولا
يستر دمعه، المجرد الذي يضحك ولا يخجل من ضحكه – لو كنت تعلمين، لو
كنت تعلمين.

وماذا أنا فاعل في هذا المساء؟
ليس الوقت مساءً. نحن في الساعة الثانية بعد منتصف الليل. فإلى
أي مكان تريدين أن نذهب في هذه الساعة المتأخرة؟ أتفضلين أن نبقى
هنا، هنا في هذه السكينة العذبة. هنا نستطيع أن نتشوق حتى يأتينا

الشوق من قلب الله. وهنا نستطيع ان نحب البشرية حتى تنتج لنا البشرية قبرها.

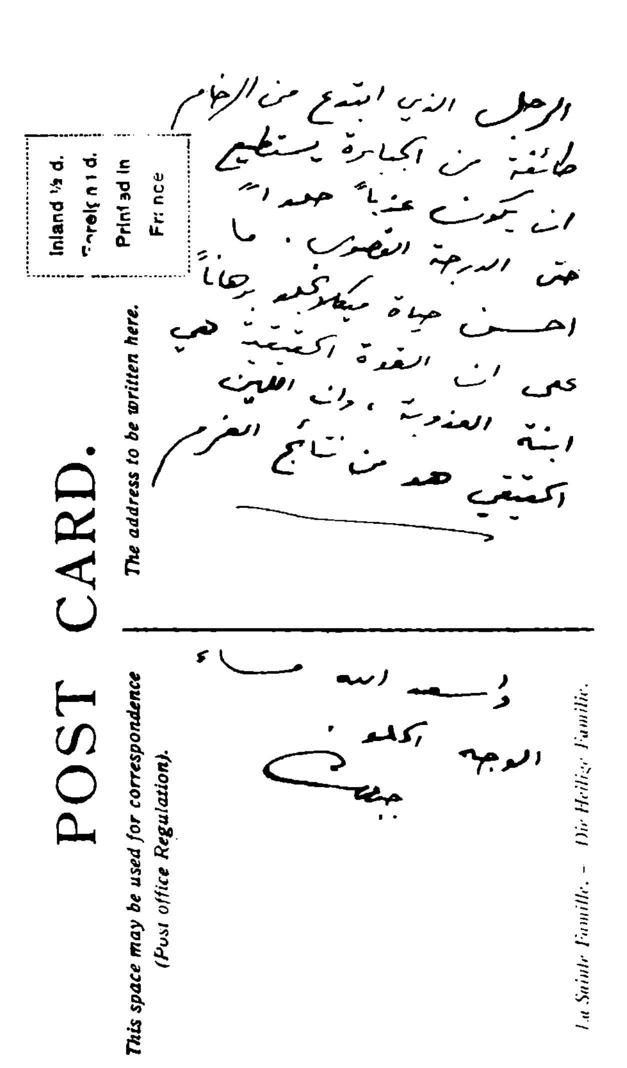
ها قد قبّل النعاس عينيك.

لو تدري ان النعاس قد قبّل عينيك. لقد رأيته يقبلهما. قد رأيته يقبلهما هكذا. هكذا كما يقبلون. فالقي رأسك هنا، الى هنا، الجبهة وفمي، نامي ياصغيرتي، نامي فانت في وحدتك.

اما انا فسوف اسهر. سوف اسهر وحدي. عليَّ ان ابقى خافراً حتى الصباح. قد ولدت لابقى خافراً حتى الصباح. الله يحرسك. الله يبارك سهرنا. الله يحرسك دائماً.

جبران





الرجل الذي ابتدع من الرخام
طائفة من الجبابرة يستطيع
ان يكون عشباً جهد الـ
حتى الدرجة القصوى. ما
احسن حياة ميكلونجلو برهاناً
على ان القوة الحقيقية هي
ابنة العذوبة، وان اللين
الحقيقي هو من نتائج العزم

وسعد الله مساءك
الوجه الكلمة.
جبران



POST CARD.

PLACE STAMP HERE.
DOMESTIC ONE CENT
FOREIGN TWO CENTS

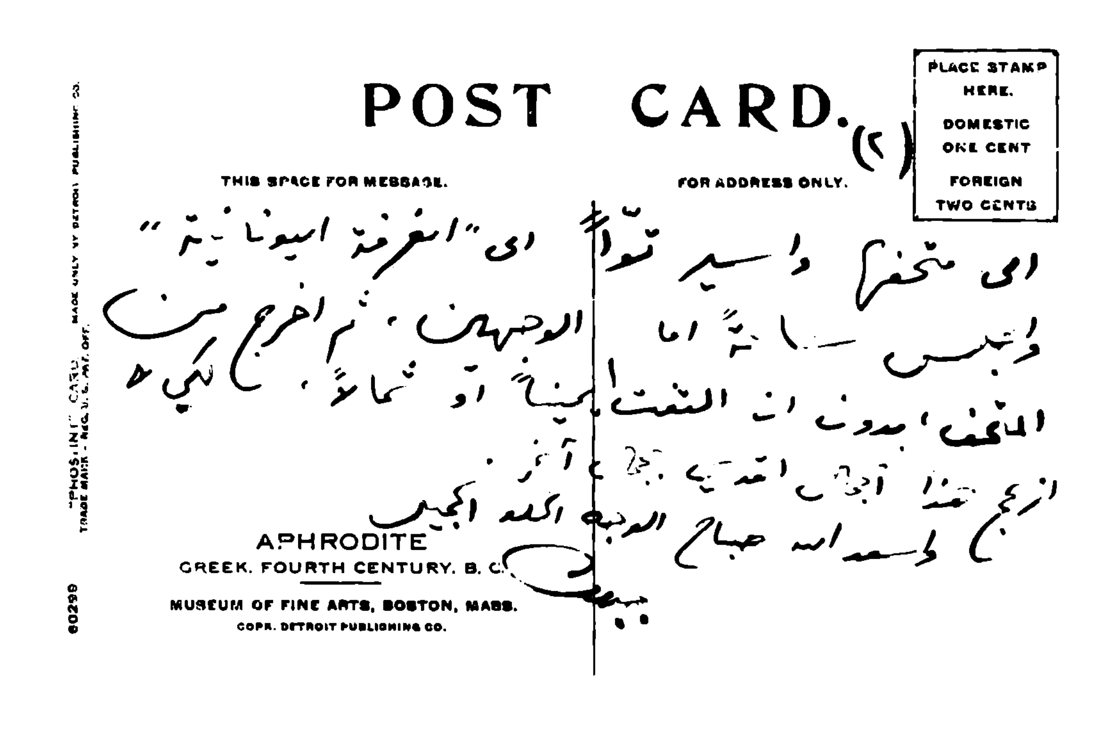
THIS SPACE FOR MESSAGE. | FOR ADDRESS ONLY. (١)

قولي لي هل رأيت أجمل من هذين الوجهين في
حياتك ؟ في عقيدتي أنهما أرفع وأسمى ما بلغ
الإنسان عندما كان الفن اليوناني على قمة
أكبر . كلما زرت مدينة بوسطن أذهب

HEAD FROM CHIOS
GREEK, FOURTH CENTURY, B. C.

MUSEUM OF FINE ARTS, BOSTON, MASS.





الى متحف وسير توا الى "الغرفة اليونانية"

واجلس ساعة اما الوجهين، ثم اخرج من

المتحف، بدون ان التفت يمينا او شمالا، لكي لا

ازعج هذا [illegible] آخر.

واسعد الله صباح الوجه الكلي الجميل

جبران

عند منتصف الليل بين ١ و ٢ كانون الاول ١٩٢٢

ما اعذب رسالتك في قلبي . ما احبها في قلبي يا ميّ

رجعت الى البرية منذ خمسة ايام ، ولقد صرفت الايام الخمسة مودعاً الخريف الذي احبه ، ورجعت الى هذا "الوادي" منذ ساعتين ، رجعت شاحباً مجهّداً ، ذلك لانني قطعت مسافة اطول من تلك المسافة الكائنة بين الناصرة وبيروت في سيارة مكشوفة ... ولكن ... ولكن رجعت فوجدت رسالتك ، وجدتها فوق رابية من الرسائل ، وانت تعلمين ان جميع الرسائل تمحى من امام عينيّ عندما اتناول رسالة من صغيرتي المحبوبة ، فجلست وقرأتها مستغرقاً بها . ثم ابدلت اثوابي . ثم قرأتها ثانيةً ، ثم ثالثةً ، ثم قرأتها . ولم اقرأ شيئاً سواها . وانا يامريم لا امزج الشراب القدسي بعصير آخر .

انت معي في هذه الساعة . انت معي يا ميّ ، انت هنا ، هنا . وانا احدثك ولكن باكثر من هذه الكلمات ، احدثك بلغة اكبر من هذه اللغة ، وانا اعلم انك تسمعين ، اعلم اننا نتفاهم بجلاء ووضوح ، واعلم اننا اقرب من عرش الله في هذه الليلة منا في أيّ وقت من ماضينا . احمد الله واشكره . احمد الله واشكره ، فقد رجع الغريب الى وطنه وعاد المسافر الى بيت أمه وأبيه .

في هذه الدقيقة مرت بخاطري فكرة جميلة ، جميلة جداً . فاسمعي ياصغيرتي [الكلمة] اذا تخاصمنا في المستقبل (هذا اذا كان لا بد من الخصام) يجب ان لا نفترق مثلما كنا نفعل في الماضي بعد كل معركة . يجب ان نبقى ، رغم الخصام ، تحت سقف بيت واحد حتى نمل الخصام فنضحك ، او

يملّنا الخصام فيذهب هازئاً [illegible].

ما قولكِ في هذا الرأي؟

لنتخاصم ما شئنا وشاء الخصام، فأنتِ من أهدن وأنا من بشرّي، ويبدو لي أن المسألة إرثية! ولكن مهما جرى في أيامنا الآتية علينا أن نبقى ناظرين إلى وجهينا حتى تمرّ الغمامة. وإذا جاءت كاتمة أسرارك وجاءة كاتم أسراري، وهما دائماً سبب خصامنا، يجب أن نخرجهما من بيتنا بكل اللطف، ولكن بأ[illegible] وسيلة.

أنتِ أقرب الناس إلى روحي، وأنتِ أقرب الناس إلى قلبي، ونحن لم نتخاصم قط بروحينا أو بقلبينا. لم نتخاصم بغير الفكر والفكر شيء مكتسب، شيء نقتبسه من المحيط، من المرئيات، من مآتي الأيام. أما الروح والقلب فقد كانا فينا جوهرين عنصريين قبل أن نفتكر.

وظيفة الفكر الترتيب، وهي وظيفة حسنة ولازمة لحياتنا الاجتماعية، ولكن لا مكان لها في حياتنا الروحية القلبية. يستطيع الفكر "الجميل" أن يقول "إذا تخاصمنا في المستقبل يجب أن لا نفترق". يستطيع الفكر أن يتذمّر منه رغم أنه هو هو نفسه سبب كل خصام، ولكنه لا يستطيع أن يقول كلمة واحدة عن المحبة. لا يستطيع أن يقيس الروح بمقاييس كلامه ولا يستطيع وزن القلب بموازين منطقه.

أحبّ صغيرتي، غير أني لا أدري بعقلي لماذا أحبها، ولا أريد أن أدري بعقلي. يكفي أني أحبها. يكفي أني أحبها بروحي وقلبي. يكفي أني أسند رأسي إلى كتفها كئيباً غريباً مستوحداً فرحاً مدهوشاً مجذوباً. يكفي أن أسير إلى جانبها نحو قمة الجبل وأن أقول لها بين آونة وأخرى "أنتِ رفيقتي، أنتِ رفيقتي".

يقولون لي يا ميّ إنني من محبي الناس، ويلومني بعضهم لأنني أحب

جميع الناس، نعم، احب جميع الناس، احبهم بدون انتخاب وبدون غربلة، احبهم كتلة واحدة، احبهم لانهم من روح الله. ولكن لكل قلب قبلة خاصة. لكل قلب وجهة ذاتية يتحول اليها ساعات انفراده، لكل قلب صومعة يختلي فيها ليجد راحته وتعزيته، لكل قلب قلب يشتاق الى الاتصال به ليتمتع بما في الحياة من البركة والسلام او ينسى ما في الحياة من الألم.

شعرت منذ اعوام بانني وجدت وجهة قلبي، وكان شعوري حقيقة بسيطة واضحة جميلة، لذلك تمردت على القديس توما عندما جاء مشككا مستفهماً. وسوف اتمرد على القديس توما وانتصر القديس توما حتى يتركنا في صومعتنا السماوية مستسلمين الى ايماننا السماوي.

ها قد جئنا ساعة متأخرة من الليل ولم نقل بعد سوى القليل القليل مما نريد ان نقوله. افترض ان نتحدث ساكتين حتى الصباح. وعند الصباح ستقف صغيرتي الحبيبة بجانبي امام اعمالنا الكثيرة. وبعد ذلك، بعد انقضاء النهار ومشاغله، سنعود ونجلس امام هذا الموقد ونتحدث.

وادنِ قربي جبينك، كذا، — والله يباركك، والله يحرسك.

جبران

مساء الاربعاء ٢ كانون الاول — الساعة العاشرة.

لقد كان يومنا هذا مفعماً بالرجال: منذ الساعة التاسعة صباحاً حتى هذه الساعة ونحن نودع قوماً ونسلم على قوم آخرين. غير انني كنت انظر نحو حبيبتي بين الدقيقة والدقيقة واقول لها: احمد الله واشكره، احمد الله واشكره فقد تلاقينا ثانية في غابتنا وفي جيب كل منا رغيف من

الكبير جعلتني كتاب او لوح تصوير . احمد الله واشكره فقد جئنا لنرى تلاميذنا في ميادين الجهاد بعد ان كنا استاذين في مدرسة ! احمد الله واشكره لان مريم الحلوة تستصفي صفاتنا فتملأ اسماعها صافية، وتفهمني مشغوفة بنا افهمها عطوفة .

لقد صحبت سعد وشكرته الف مرة ولطالما وجدت حيث كانت حول الابرار، تتكلم بحناني وتأخذ بيدي وتمطر بيدي . وكنت حول الابرار انظر بعينيها فذاته الفطنة في وجوه الناس واحس بأذنيها فاسمع العذوبة في اصواتهم

ولكنك تسألين عن صحتي ، وعندما تسألين عن صحتي تتحول بنيتي الى انتم كلها جنانا . صحتي جيدة جداً . فقد ذهبت تلك العلة وتركتني قوياً متيناً رغم البياض الذي تركته في شعر صدغي ! والغريب انني داويت نفسي بنفسي فكنت طبيباً اجرائياً بعد ان تقرر لدي ان الاطباء خياليون فاعتمدت في ادوية الظنون والتخمين . لقد كانوا يهتمون بدرس النتائج ويحاولون ازالتها بالعقاقير اما الاسباب فلم يلتفتوا لها . ولما كانت صاحبة البيت ادرى بالذي فيه ، ذهبت الى البحر والغاب وصرفت بينهما ستة اشهر متوالية فزالت الاسباب وزالت النتائج . هل تشاركيني ما قررته : في وضع كتاب في "الطب الحديث" ؟ بتأليفه ؟ . . .

تذكرين طبعاً امامنا اتونه مسألة مهمة علينا ان نبحث فيها : انك اظهرت لي منذ اسابيع "سترة هانئة" . وتذكرين انك لم تظهري "السترة" الا بعد ان اقبل "شروطك" . والغريب انني قبلتها قبل ان اعرفها . فما هي تلك الشروط ؟ تفضلي باي مريم وقولي لي ما هي شروطك ، فانا مستعد لتنفيذها . لقد ترددت كثيراً في اماطة النقاب عن "السترة" فاصبحت بدون

يبدو لي أنك مشتاقة إلى ترتيب النقاب عن الشروط .. قولي، ماذا تريدين؟ وما هي الضمانات أو التعويضات التي ترغبين فيها؟ أما الشروط فشروط، وعلى المغلوب قبولها وتنفيذها — يكفي العالم مشكلة الزواج.

ولكن — وليكن هو أخفي عنك أنني بعد تحقيق تلك الشروط سأنظر في أمر هذه النقرة، أو شبه النقرة، التي تضحك من ذقني! أتظنين أنني أصبر على شيء منخفض في ذقني يضحك مما برز منها؟ كلا ثم كلا!

سوف أستر هذه النقرة الشريرة التي لم تحترم محيطها الموقر بجموده وتجهمه، سوف أدفنها في لحية كثيفة وطويلة، سوف أكفنها بما ابيض من شعري ثم أضعها في تابوت مما بقي من سواده. نعم سوف أثأر لنفسي من هذه النقرة الوقحة التي تجهل أنها ملتصقة بجزء إذا غضب غضبت الكائنات، وإذا ابتسم ابتسمت معه!

سنعود غداً إلى حديثنا، أما الآن فلنصعد إلى السطح ونقف أمام نجوم الليل هنيهة .. قولي لي يا صغيرتي المحبوبة، هل الليل أعمق وأبدع من قلب الإنسان؟ وهل موكب النجوم أهيب وأجمل مما يتمشى في قلب الإنسان؟ وهل في الليل أو بين النجوم شيء أقدس من هذه الشعلة البيضاء المرتعشة في يد الله؟

عندما ينتصف الليل.

٦ كانون الأول — ماذا أقول لك؟ ماذا أجيب على كلامك بشأن كتاب «النبي»؟ ليس هذا الكتاب سوى القليل من الكثير الذي رأيته وأراه كل يوم في

فعذب الناس الصامتة وفي ارواحهم المشتاقة الى البيان . لم يبق في الارض من استطاع ان يأتي بشيء من عنده تعزز واحد منفصل من الناس كافة" . وليس بيننا اليوم من يقدر على اكثر من تصديق ما يقوله الناس له على غير معرفة منهم .

اما "النبي" يأتي أول حرف من كلمة .. توهمت في الماضي ان هذه الكلمة لي وفيَّ ومني ، لذلك لم استطع تهجئة أول حرف من حروفها ، وكان عدم استطاعتي سبب مرضي ، بل وكان سبب ألم وحرقة في روحي . وبعد ذلك شاء الله وفتح عينيَّ فرأيت النور ، ثم شاء الله وفتح اذنيَّ فسمعت الناس يلفظون هذا الحرف الاول ، ثم شاء الله وفتح شفتيَّ فرددت لفظ الحرف ، رددته مبتهجاً فرحاً لانني عرفت للمرة الاولى ان الناس هم هم كل شيء وانني بذاتي المنفصلة لست شيئاً . وانت اعرف الناس بما كان في ذلك من الكربة والراحة والطمأنينة ، انت اعرف الناس بشعور من وجد نفسه نجاةً خارج حبس ذاتيته المحدودة .

وانت يا مي ، انت صغيرتي الكبيرة ، تساعدينني اولاً على الاصغاء الى الحرف الثاني ، وسوف تساعدينني على لفظه ، وستكونين معي دائماً .

قربي جبرانك يا مريم ، قربيها ففي قلبي زهرة بيضاء اريد ان اضعها لدى جبرانك . ما اعذب المحبة عندما تقف مرتعشة مخجولة امام نفسها .

والله يباركك . الله يحرس صغيرتي المحبوبة ، والله يملأ قلبها بأناشيد ملائكته .

جبران



Postage: United States and Island Possessions, Cuba, Canada and Mexico One Cent For all other Countries Two Cents

POST CARD

THIS SIDE IS FOR THE ADDRESS ONLY.

سلام، لا اعرف عيشاً اهنأ من عيش

اوروبية . واجمل اوروبة باريس

في الشتاء، ونحن امام موقد ورائحة

عود السرو المحروق تملأ البيت، و...

تنثر الثلوج خارجاً، والريح تتلاعب بها . وقناديل

الجليد مدلاة وراء زجاج النوافذ، وصوت

النهر البعيد وصوت العاصفة ...

في مسامعنا .. ولكن اذا لم تكن

صغيرتي المحبوبة قريبة مني فما كان

الوادي، ولا الثلج، ولا رائحة عود

السرو، ولا بلور قناديل الجليد،

ولا انشودة النهر ولا ... العاصفة

... بعيداً ... اذا كانت ...

المباركة بعيدة ...

واسعد الله مساء الوجه الحلو الحبيب

حبيبك

حاشية - كنت في ... قصاصات

الورق من كتيب اشعار ... وقد قطعتها لتقرأها

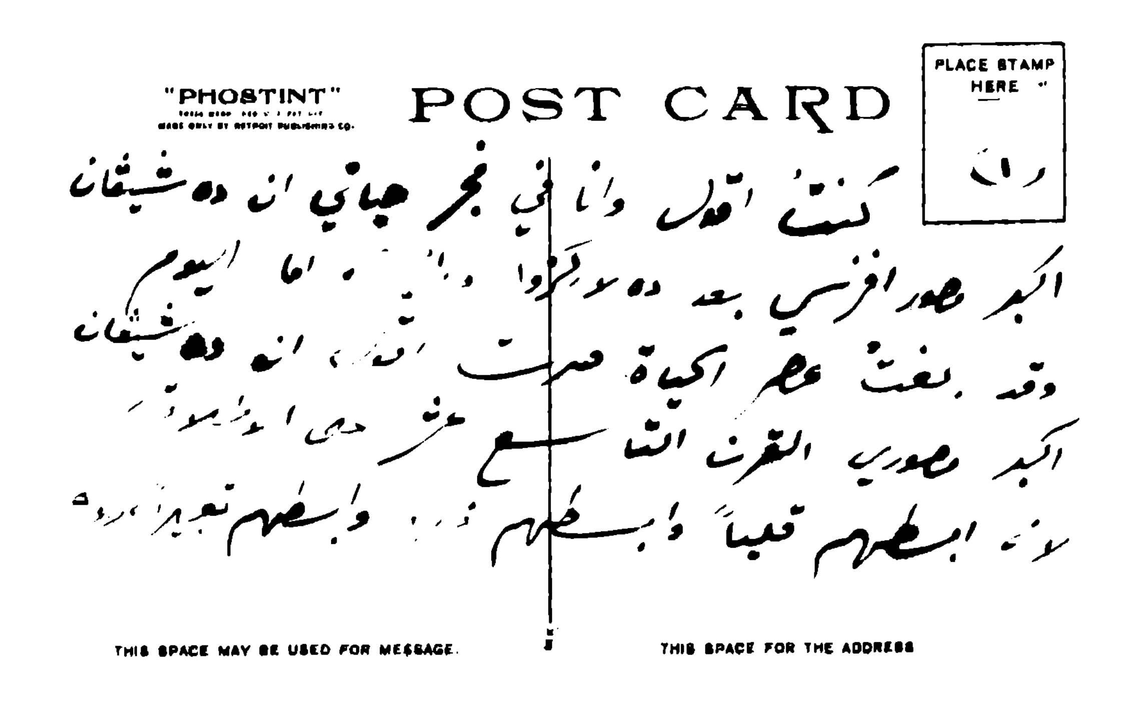
هنا اكتب في ايام ... . كنت قد ...

1359 Published by New England News Company, Boston Mass. Leipzig, Dresden.








"PHOSTINT"

MADE ONLY BY DETROIT PUBLISHING CO.

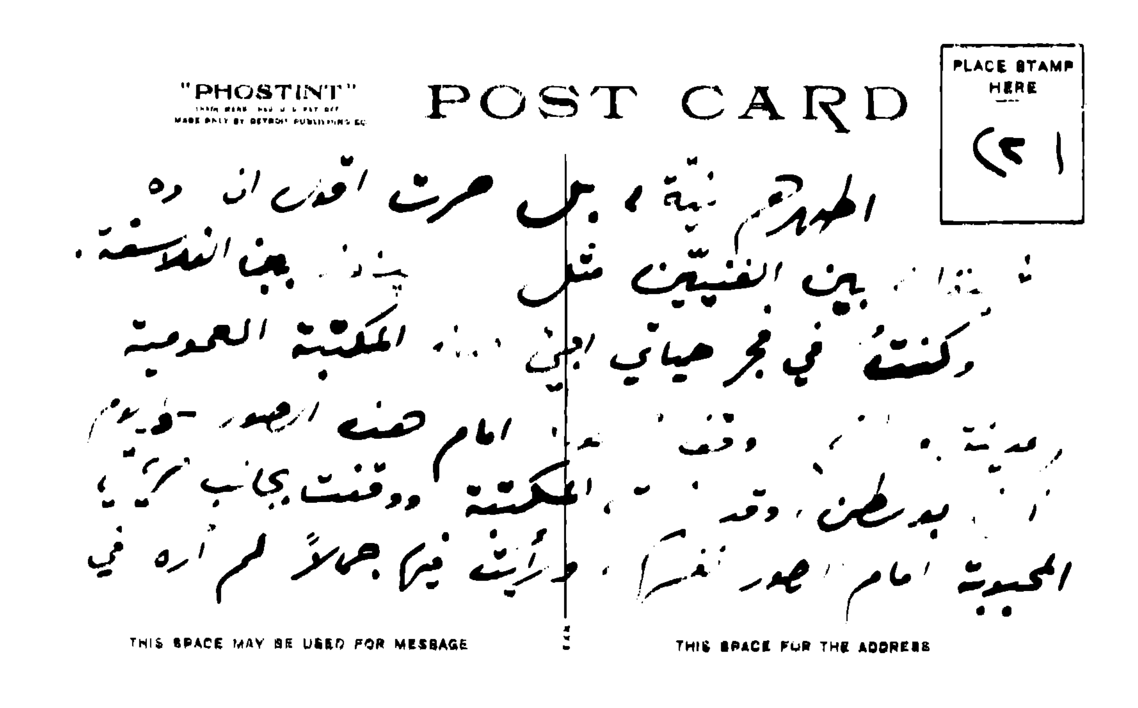
POST CARD

PLACE STAMP HERE

كنت اقول وانا في فجر حياتي ان ده شيڤان
اكبر مصور افرنسي بعد ده لاكروا [illegible] اما اليوم
وقد بلغت عصر الحياة صرت [illegible] انه ده شيڤان
اكبر مصوري القرن التاسع عشر [illegible]
[illegible] ابسطهم قلباً وابسطهم [illegible] وابسطهم تعبيراً [illegible]

THIS SPACE MAY BE USED FOR MESSAGE.

THIS SPACE FOR THE ADDRESS


"PHOSTINT"

POST CARD

PLACE STAMP HERE

(٢١

[illegible] ، بل صرت أقول أن [illegible]

[illegible] بين الغنيتين مثل [illegible] بين الفلاسفة .

وكنت في مجر هياني [illegible] المكتبة العمومية

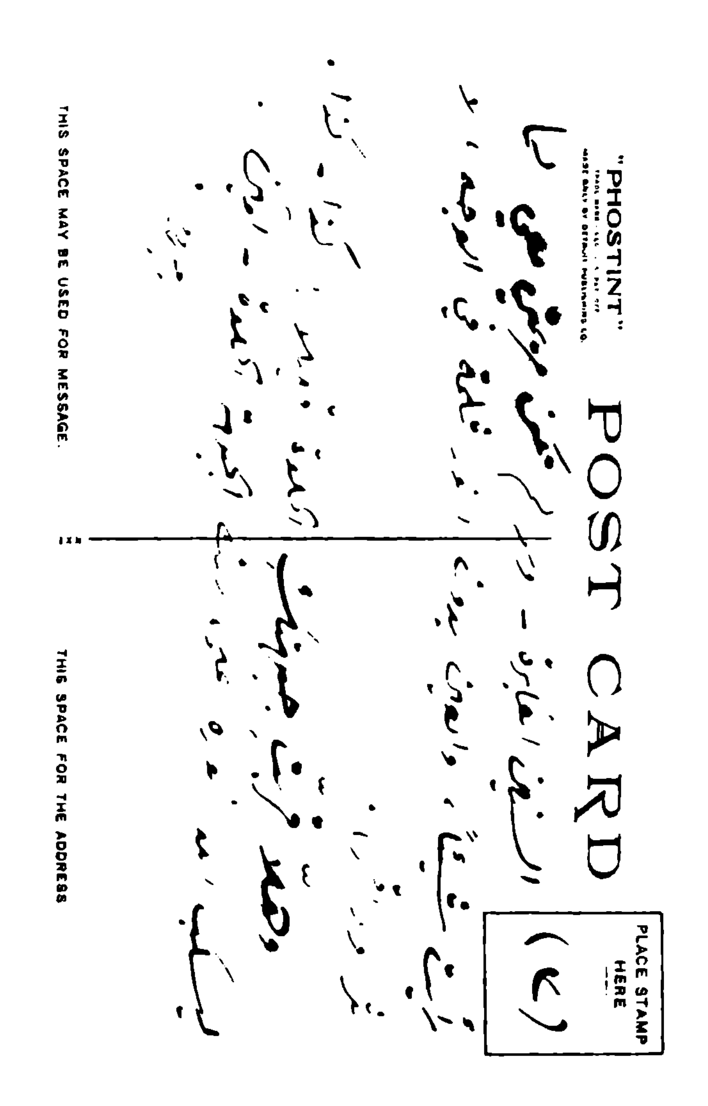
بمدينة [illegible] وقف [illegible] أمام صف الجمهور [illegible]

[illegible] بدسطن ، وقد [illegible] المكتبة ووقفت بجانب [illegible]

المحبوبة أمام الجمهور [illegible] ورأيته فيها جمالاً لم أره في

THIS SPACE MAY BE USED FOR MESSAGE

THIS SPACE FOR THE ADDRESS


"PHOSTINT"
POST CARD
PLACE STAMP HERE
(٤)
وهلا قربت جبهتك
THIS SPACE MAY BE USED FOR MESSAGE.
THIS SPACE FOR THE ADDRESS

نحن اليوم في عاصفة ثلجية جليلة مهيبة ، وانت تعلمين ياماري انني احب جميع العواصف خصوصاً العواصف الثلجية . احب الثلج ، احب بياضه واحب هبوطه واحب سكوته العميق . واحب الثلج في الاودية البعيدة المجهولة حيث يتساقط مرفرفاً ثم يتلألأ بنور الشمس ثم يذوب ويسير منشداً اغنيته المنخفضة . احب الثلج واحب النار ، وهما من مصدر واحد ، ولكن لم يكن حبي لهما قط سوى شكل من الاستعداد لحب اقوى واعلى واوسع .

ما الطف قول من قال :

يا ميّ عيدك يوم وانت عيد الزمان

وما اعظم الفرق بين هذا البيت العربي و"بيت" لشاعر اميركي من قصيدة بعث بها اليّ في الآونة الاخيرة ، قال :

"Your honour and reward
That you shall be crucified."

لا بأس — على انني اخشى بلوغ النهاية قبل الحصول على هذا الشرف وهذا الثواب .

لنعد ثانيةً الى "عيدك" . اريد ان اعرف في أيّ يوم من ايام السنة قد ولدت صغيرتي المحبوبة . اريد ان اعرف لانني اميل الى الاعياد والى التعييد . وسيكون لعيد ماري الاهمية الكبرى عندي . ستقولين لي "كل يوم يوم مولدي ياجبران" . وسأجيبك قائلاً "نعم ، وانا اعيّد لك كل يوم ، ولكن لا بدّ من عيد خصوصي مرةً كل سنة" .

سررت بابلاغك اياي ان وقتي ليست لي . سررت جداً جداً ، واظن

ان تسليم ذقني أول تلك الشروط الدولية . لقد كانت هذه الذقن
مسرحاً لاهتمام غير متوازن ، ولتعصب غير متوازن . والآن وقد صارت
ذقني في حوزة سواي علي ان ارفع عنها يدي - وبخجلي ! فليتحمل
من يملكها مسؤولياتها . باركه الله فيها لمن يملكها . ولي من ذكائك
المدهش ما يوقفني من الاسهاب في هذا الموضوع الزائي .



SIC TRANSIT GLORIA MUNDI.

كذا — اما بخصوص الخلاف الذي كان بين اهدن وبشري فقد زال
بكليته ، ولقد قرأت في بعض الصحف ان "جمعية الشبيبة البشراوية" دعت
جمعية "الشبيبة الاهدنية" الى وليمة في مار سركيس بشري ، وبعد ذلك بايام
دعت الشبيبة الاهدنية الشبيبة البشراوية الى وليمة في مار سركيس اهدن .
انا اعتقد ان الخصام قد ابتدأ بالسركيسين القديسين ، غفر لهما الله ، وظني

الخصام على قدم وساق حتى قام في البلدتين فتيان لا يعرفون شيئاً عن السراكيس . ولكن الوفاق بين اهدن وبشري لا يعني اننا (انت وانا) لن نحتاج في المستقبل الى صندوق الذهب الحلو المليح . لا، لا يعني هذا ابداً . فانت وانا سنبقى متكلين على صندوق الذهب حتى يتكل كل منا على رفيقه

انظري يا محبوبتي العذبة كيف حاولنا المزاح الى قدس اقداس الحياة . عندما جئت هذه الكلمة « رفيقه » ارتعش قلبي في صدري فقمت ومشيت ذهاباً واياباً في هذه الغرفة كمن يبحث عن رفيقه . ما اغرب ما تفعله بنا كلمة واحدة في بعض احايين — وما اشبه تلك الكلمة الواحدة برنين جرس الكنيسة عند الغروب . انها تحول الذات الخفية فينا من الكلام الى السكوت ومن العمل الى الصلاة .

تقولين لي انك تخافين الحب . لماذا تخافينه يا صغيرتي ؟ أتخافين نور الشمس ؟ أتخافين مد البحر ؟ أتخافين طلوع الفجر ؟ أتخافين مجيء الربيع ؟ .. لماذا يا ترى تخافين الحب ؟

انا اعلم ان القليل في الحب لا يرضيك ، كما اعلم ان القليل في الحب لا يرضيني . انت وانا لا ولن نرضى بالقليل . نحن نريد الكثير . نحن نريد كل شيء . نحن نريد الكمال . اقول يا ماري ان في الارادة الحصول . فاذا كانت ارادتنا ظلاً من الله فسوف نحصل بدون شك على نور من انوار الله .

لا تخافي الحب يا ماري ، لا تخافي الحب يا رفيقة قلبي . علينا ان نستسلم اليه رغم ما فيه من الألم والحنين والوحشة ورغم ما

فيه من الالتباس والكيت .

اسمعي يا ماري : انا اليوم في سجن من الرغائب . ولقد ولدت هذه الرغائب عندما ولدتُ . وانا اليوم مقيّد بقيود فكرة قديمة ، قديمة كفصول السنة ، فهل تستطيعين الوقوف معي في سجني حتى نخرج الى نور النهار . وهل تقفين الى جانبي حتى تنكسر هذه القيود فنسير حرين طليقين نحو قمة جبلنا ؟

والآن قربي جبهتك ، قربي جبهتك الحلوة - كذا ، كذا .
والله يباركك والله يحرسك يا رفيقة قلبي الحبيبة

جبران

يا ماري — انتِ تعرفين سبب سكوتك

اما انا فاجهله. ليس من العدالة ان

يكون جهل المرء مصدراً لتشويش ايامه

ولياليه.

الاعمال والاقوال بالنيات، ولقد كانت

نيتي ولم تزل في راحة الله.

اخبريني يا صغيرتي المحبوبة عما حدث لكِ

اثناء العام الغابر. اخبريني واكتبي اخبارك.

والله يحرسك ويملأ قلبك من انواره.

جبران

تشرين الثاني ٤ - ١٩٠٠

٩ ك ١ - ١٩٢٤

ما أعذب صغيرتي المحبوبة تذكرني في صلاتها
كل يوم. ما أعذبها وما أكبر قلبها وما أجمل
روحها.
ولكن ما أغرب سكوت صغيرتي المحبوبة، ما أغرب
سكوتها. ذلك السكوت الطويل كالأبدية العميق
كأحلام الآلهة — ذلك السكوت الذي لا يترجم
الى أية لغة بشرية. ألا تذكرين انه لما جاء
دورك في الكتابة لم تكتبي؟ ألا تذكرين اننا
تعاهدنا على معانقة الصلح والسلام قبل ان يعانق الليل
الأرض؟
وانت تسألين عن حالي، وعن "خاطري"، وعن الأمور

التي تشغلني . أما حالي فهو مثل حالك - مثل
حالك تماماً يا ماري . أما خاطري فلم يزل في
الضباب حيث اجتمعنا - انت وأنا - منذ ألف سنة .
اما الامور التي تشغلني في هذه الايام فهي تلك
الامور المضطربة المشوشة ، تلك الامور التي لا بد
لمن كان مثلي من اجتيازها ، رغب فيها او لم يرغب .

الحياة يا مريم أغنية جميلة ، فبعضنا يجيء نغمة في
تلك الاغنية وبعضنا يجيء قراراً . ويبدو لي يا مريم انني
لست بالنبرة ولست بالقرار . يبدو لي انني لم
ازل في الضباب ، في ذلك الضباب الذي جمعنا
منذ الف سنة .

على انني رغم كل شيء اشتغل كثيراً اكثر الايام ،
وفي بعض الايام اهرب الى مكان بعيد في البرية وفي
جيبي دفتر صغير - وسوف ابعث اليك بشيء

من هذا الدفتر يوماً ما.

هذا كل ما اعرفه الآن عن "أنا". فلنعد ان شئت الى موضوعنا المهم. لنعد الى حبيبتنا الحلوة: كيف حالك، وكيف حال عينيك؟ وهل انت سعيدة في القاهرة مثلما انا سعيد في نيويورك؟ وهل تتمشين ذهاباً واياباً في غرفتك بعد منتصف الليل؟ وهل تقفين بجانب نافذتك بعد ذلك الى فراشك. وهل تخفين ابتسامات دائمة في عينيك بطرف كمك — هل انت سعيدة في القاهرة مثلما انا سعيد في نيويورك؟

افكر فيك يا ماري كل يوم وكل ليلة، افكر فيك دائماً، وفي كل فكر شيء من اللذة وشيء من الألم. والغريب انني ما فكرت فيك يا ماري الا

وقلت لك في سري "تعالي واسكبي جميع همومك هنا، هنا على صدري" وفي بعض الاحيان اناديك باسماء لا يعرف معناها غير الاباء المحبين والامهات الحنونات.

وها اني اضع قبلة في راحة يمينك، وقبلة ثانية في راحة شمالك، طالباً من الله ان يحرسك ويباركك ويملأ قلبك بانواره، وان يبقيك احب الناس الي

جبران



يا ماري - كنت في السادس من هذا الشهر
افكر فيك كل دقيقة بل كل لحظة ، وكنت اترجم
كل ما يقوله لي القوم الى لغة ماري وجبران - وتلك
لغة لا يفهمها من سكان هذا العالم سوى ماري
وجبران ... وانت تعلمين طبعاً ان كل يوم
من ايام السنة هو يوم مولد كل واحد منا ...

ان الاميركيين ارغب شعوب الارض في التعييد وفي
ارسال الهدايا والحصول عليها ولست اخفي عنك عطف
الاميركيين عليّ خلال هذه المواسم . وفي السادس من هذا الشهر
اوقفتني شدة عطفهم مخجولاً امام نفسي مغموراً بعرفان
الجميل . ولكن يعلم الله ان الكلمة الحلوة التي جاءتني

فيك كانت أحب لديّ وأثمن عندي من كل ما يستطيع الناس جميعهم ان يفعلوا امامي . الله يعلم ذلك . وقلبك يعلم .

وبعد العشية جلسنا ، انت وانا ، بعيدين الا عما بنا وتحدثنا طويلاً ، وقلنا ما لا يقوله سوى المحبين ، وقلنا ما لا يقوله سوى الإله . ثم حدقنا بنجم بعيد وسكتنا . ثم عدنا الى الكلام فتحدثنا حتى الفجر . وكانت يدك المحبوبة فوق هذا المكان اوقاتاً حتى الفجر .

والله يرعاك ويحرسك يا مريم . والله يكتب الزيارة عليكم . والله يحفظك لمحبك

جبران





يا ماري . ما رأيت أثراً من آثار
ليوناردو دافنشي الا وشعرت
بقوة سحره تتمشى في باطني وبي
وشعرت بجزء من روحه يتسرب
الى روحي . كنت صبياً عندما
رأيت للمرة الاولى بعض رسوم هذا
الرجل العجيب . تلك ساعة سأذكرها

Made in France - Fabriqué en France

ما حييت فقد كانت من [illegible]
المغنطيسية من
الاوهام بمقام الابرة
سفينة تائهة في ضباب البحر
وجدت هذه البطاقة الصغيرة
بين اوراقي فرأيت ان ابعث بها
اليك لتخبرك عن بعض تلك العواطف
التي كانت تسير شبابي في اودية الكآبة
والوحدة والشوق الى ما لا اعرفه . الله يحرسك
جبران

يا ماري

قد سببت لك تلك المحفظة الصغيرة القلق والانزعاج ، فاعذري لي . ولقد توهمت انني ارسلتها على احسن السبل وأسهلها فجاءت النتيجة بالعكس ، فسامحيني يا صديقتي اللذة والسبي أجري .

اذاً قد قصصت شعرك ؟ قد قصصت تلك الذوائب الحالكة ذات التموجات الجميلة ؟ ماذا يا ترى اقول لك ؟ ماذا اقول وقد سبق المقص الملام ! لا بأس ، لا بأس . عليَّ ان اصدق ما قاله لك ذلك المزين الروماني ... رحم الله اباء جميع الرومانيين ...

ولم تكتفي صديقتي المحبوبة بانها اخبرتني عن تلك الخسارة الفادحة بل شاءت ان "تزيد على الطين بلة" فأخذت تحدث "فناناً شاباً" شغف بشعر الحضارة والشقرة ، فهو

لا يروقه الا الشعر الذهبي، ولا يترنم الا بجمال الشعر الذهبي، ولا يتحمس في الوجود الا الرؤوس ذات الشعر الذهبي"

ربي والهي. اغفر لماري كل كلمة من كلماتها. سامحها واغفر هفواتها بانوثتها الفرنسية. ارها بالحلم او باليقظة كثوليكية عبدك جبران في كل ما يتعلق بالجمال. ابعث رباه ملكاً من ملائكتك ليبدل لها ان عبدك هذا يسكن صومعة ذات نوافذ عديدة. وانه يرى مظاهر حسنك وجمالك في كل مكان وفي كل شيء. وانه يترنم بجمال الشعر الكستنائي مثلما يترنم بالشعر الذهبي. وانه يتهيب امام العيون السوداء مثلما يتهيب امام العيون الزرقاء. واطلب اليك ربي والهي ان توعز الى ماري ان لا تتهاون وتحتقر الشعراء والفنانين بشخص عبدك جبران.. امين.

وبعد هذه الصلاة أتحسبين انني استطيع الكلام عن

الزهور المطبوعة ؟ كلا ! غير انني سوف ابحث في هذه المدينة عن زيّن روماني واسأله ما اذا كان بامكانه تحويل الزهور المطبوعة الى زهور سهلة مستديرة ـــ على البيكار ! هذا ولما كنت ضليعة بفن الجراحة فانا سوف اخشى عملية جراحية !

لنعد الآن الى حال عينيك .

كيف حال عينيك يا ماري ! انت تعلمين ، انت تعلمين بقلبك ان حال عينيك يهمني الى درجة قصوى . وكيف تسألين هذا السؤال وانت تشاهدين بعينيك ما وراء الحجاب . انت تعلمين ان القلب البشري لا يخضع الى نواميس القياسات والمسافات وان اعمق واقوى عاطفة في القلب البشري تلك التي نستسلم اليها ونجد في الاستسلام لذة وراحة وطمأنينة مع انشاء سبلها حاولنا ، لا نستطيع تفسيرها او تحليلها . يكفي انها عاطفة عميقة قدرية قدسية . فلما السؤال ولما

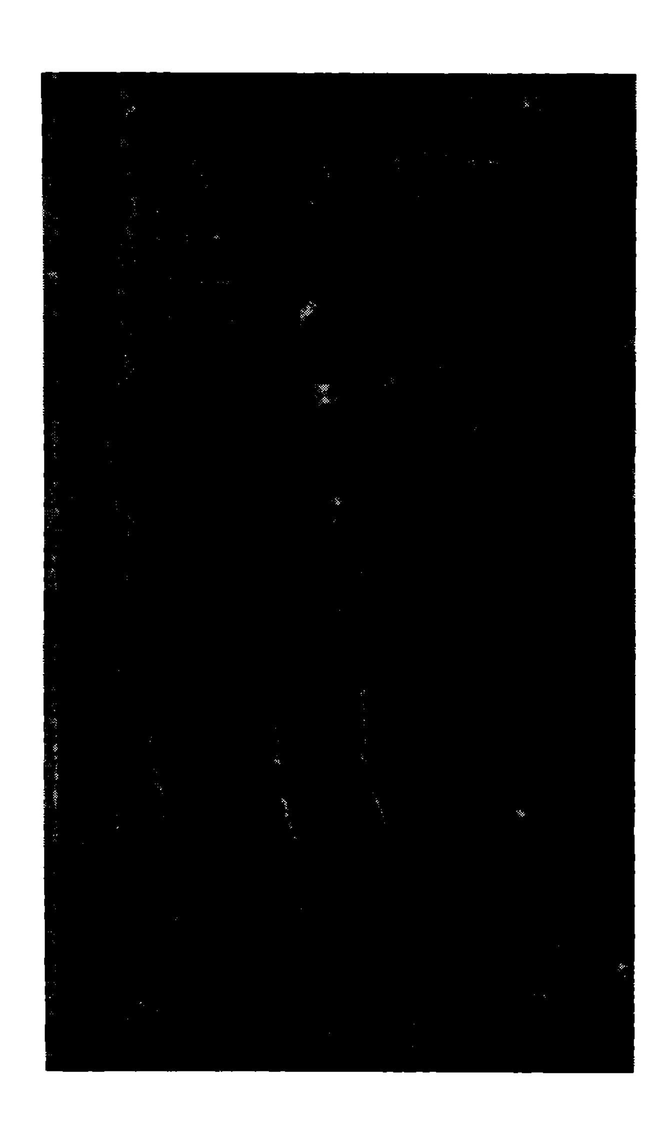
الشك؟ ومن منا يا ماري يستطيع أن يترجم لغة العالم الخفي إلى لغة العالم الظاهر؟ من منا يستطيع أن يقول "في روحي شعلة بيضاء أما أسبابها فكذا وكذا، وأما معناها فكذا وكذا، وأما نتائجها فستكون كذا وكذا"؟ كفى المرء أن يقول لنفسه "في روحي شعلة بيضاء".

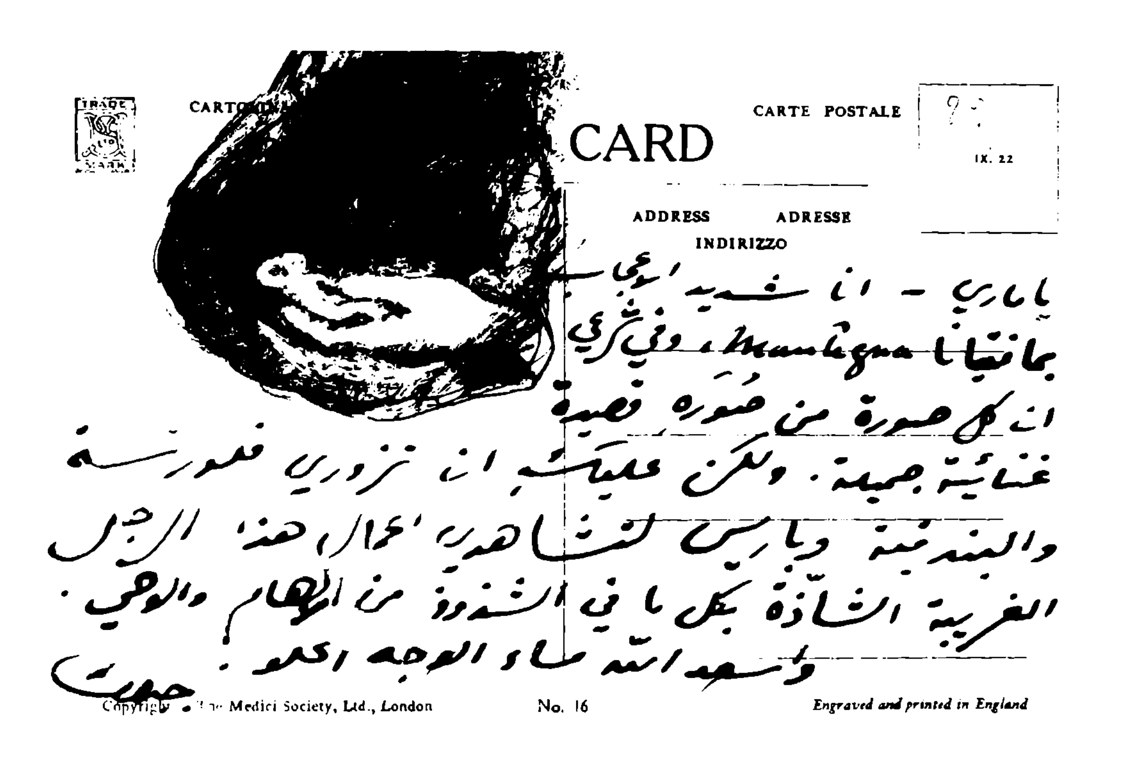
قد سألتك عن عينيك. يا ماري لأنني كثير الاهتمام بعينيك، لأنني أحب نورها، وأحب النظرات البعيدة فيها، وأحب خيالات الأحلام المتموجة حولها.

ولكن اهتمامي بعينيك لا يدل على أنني قليل الاهتمام بجبهتك وأصابعك.

الله يباركك يا ماري المحبوبة، ويبارك عينيك وجبهتك وأصابعك. والله يحفظك دائماً.

جبران




CARTOLINA
CARTE POSTALE
CARD
IX. 22
ADDRESS ADRESSE
INDIRIZZO

يا ماري – انا شديد الإعجاب
بمانتينا Mantegna وفي نظري
ان كل صورة من صوره قصيدة
غنائية جميلة. ولكن عليك ان تزوري فلورنسة
والبندقية وباريس لتشاهدي أعمال هذا الرجل
الغريبة الشاذة بكل ما في الشذوذ من الإلهام والوحي.
وأسعد الله مساء الوجه الأكبر!
جبران

No. 16
Engraved and printed in England

١٠ آذار ١٩٢٥

يا ماري

نعم. قد كنت صامتاً اثناء اربعة اسابيع، اما السبب فهو الحمى الاسبانية — هو أقل وهو اكثر.

انا استصعب، استصعب جداً، الشكوى من علة تلم بي. فاذا مرضت رغبت في أمر واحد وهو الاختفاء عيون الناس — حتى عن عيون الذين احبهم ويحبونني. وفي شرعي ان احسن دواء للداء هو الانفراد التام.

اما صحتي الآن فهي حسنة، بل اكثر من حسنة، وبودي ان اكتمك انها قد صارت برهموطية! (هكذا كان جبار بشراوي يصف صحته عندما يسأله الناس عنها)

السائح الممتاز قد صدر متأخراً كالعادة. وقد خاطبت

فقال

صاحب "السائح" هذا الصباح بواسطة التلفون

أي انه قد بعث اليك، ولم يزل يبعث اليك،

اعداد جريدته ممتازة كانت أم غير ممتازة.

أما قولك يا مريم الكعدة ان صاحب "السائح"

نائم عليك، وانك لم تبعثي اليه بمقال لعدده

الممتاز، فمن المبالغات الهائلة. أتظنين ان رجالاً

في نيويورك ينعى عليك، طالما وأنا في نيويورك؟

قد قلت ألف مرة ومرة، "نحن لسنا بمعامل أوبئة.

نحن لسنا آلات تقذفها الحبر والورق من جهة

لتستخرجون المقالات والقصائد من جهة ثانية. نحن

نكتب عندما نريد ان نكتب، لا عندما تريدون انتم، فاحملوا

المعروف معنا واتركونا وشأننا، فنحن في عالم وأنتم

في عالم آخر، فلا تنكم الينا ولا منا اليكم" — ما

قولك في هذه اللهجة السربستية؟ —

ولكن فعلاً — بدون مزاح — الا ترين ان
اكثر اصحاب المجلات وقرائها يتوهمون ان فكرة
الكاتب مثل الفونوغراف، ذلك لانهم ولدوا بفكرة
فونوغرافية ؟

نحن هنا في اوائل الربيع، ففي الهواء سحر
ويقظة، وفي الروح فجر وشباب. اما الذهاب الى
البرية فشبيه بزيارة كهان وكاهنات عشروت
وتموز في مغارة افقا.

وبعد ايام معدودة سيقوم يسوع من بين
الاموات ليعطي الحياة لمن في القبور، فتزهر اشجار
اللوز والتفاح، وتعود الانغام الى السواقي والانهر.
ستكونين معي كل يوم من ايام نيسان. وستكونين
معي بعد ان ينقضي نيسان — كل يوم وكل ليلة.
والله يحرسك ويحفظك يا مريم المحبوبة.

جبران

ما قولك في رجل
الى جانب فراشه "رسالة"
قال "صباح الخير ، اهلاً
بلباجة العطشان - فماذا
عند لشوقي بك !! -
لا بأس - سوف ابحث
متعة لشاعر عظيم
كافية وافية وابعث بها
لو جاءت قصيدتي
مستظرفة النكتة وقلت
وما اعز باسم البريد
في أول أيار ، شهر الورود
اعض شفتي [هكذا يفعل
حالياً متوعداً متعماً فضاء

يستيقظ من غفلته صباحاً فيجد
من صديقة يحبها فيقول بصوت
وسهلاً " ثم يفتح "الرسالة"
يجد ؟ لا اكثر ولا اقل من قصيدة
!! - !!
فاحصل على قصيدة عامرة طويلة
اخذني دموعي فاشرحها شرحاً
ايك !! "واخذ التارشش معيار"
شوقي بك في أول نيسان
في مزرعتي "ما احسنها صبية" ،
الدوكي » ولكن القصيدة جاءت
فماذا يا ترى افعل سوى ان
بعض الرجال في حالة الغضب]
منزلي بالضجيج ....

أجل، سوف ادرس فلسفة "سن بسن وعين بعين"
فابعث اليك بكل ما تتكرم علينا به قرائح امراء الشعر العربي

اسألك الآن - كيف استطيع ان احرق ما بقي من
هذا النهار، كما يجب ان احرقه، قبل أن اغفر لك واسامحك؟
ان قصيدة أمير شعرائكم قد ألقت حفنة من التراب في فمي، وعليّ
ان اغسل الطعمة بعشرين فنجان من القهوة وبعشرين
سيكارة، بل وعليّ ان اقرأ عشرين قصيدة لكيتس وشالي
وبليك وقصيدة واحدة لمجنون ليلى !!

وبالرغم من كل شيء، انحني كغفك ..... هكذا، كذا
كما يفعلون ....

جبران

KAHLIL GIBRAN
51 WEST 10th. STREET
NEW YORK, CITY

يا ماري. يا صديقتي العزيزة:

عرفت اليوم أن والدك قد ذهب
إلى ما وراء الأفق الذهبي وأنه قد بلغ
المحجة التي ينشدها الناس كلهم، فماذا
يا ترى أقول لك؟ أنت يا ماري أبعد
غوراً وأوسع من تلك الألفاظ التي يجعلها
الناس معزين مواسين. ولكن في قلبي
الرغبة والشوق إلى الوقوف أمامك، وفي
قلبي الحنين إلى ضم يدك بيدي صامتاً
شاعراً بكل ما يغمر روحك الخالدة
على قدر ما يستطيع القريب الغريب أن يشعر
بما تشعرين.

والله يباركك يا ماري والله يحرسك
كل يوم وكل ليلة.

والله يحفظك لصديقك

جبران

Form No. 6B.



WESTERN UNION CABLEGRAM

THE WESTERN UNION TELEGRAPH COMPANY. ANGLO-AMERICAN TELEGRAPH Co. LD.

RECEIVED AT 22, GREAT WINCHESTER STREET, LONDON, E.C.2. (Tel. No. London Wall 0800.)

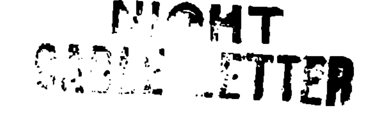
5 DEC 17 AM 3 06

TAY2PZ 1355
NEWYORK 39

CLT POST
MARIE ZIADAH
1 ELOUI PACHA ST
CAIRO....LONDON.

WAS AWAY THEN RECEIVED GRACIOUS AND SWEET LETTER CANNOT WRITE WITH SICK HAND THIS MESSAGE IS OF AFFECTION AND GOOD WISHES FOR HAPPY CHRISTMAS AND SINGING NEW YEAR

GIBRAN



No Inquiry respecting this Message can be attended to without the production of this paper.



ملحوظة : كان هذا الرسم المهدى من جبران الى ميّ آخر ما ارسله اليها بتاريخ ٢٦ آذار ١٩٣١ ، وكأنما يؤكد لها به أن شعلتهما الزرقاء لن تنطفىء ابدا .

فهرس الرسائل

الشعلة الزرقاء

افكر فيك يا ماري كل يوم وكل ليلة. افكر فيك دائماً، وفي كل فكر شيء من اللذة وشيء من الألم. والغريب انني ما فكرت فيك يا مريم الا وقلت لك في سري: "تعالي واسكبي جميع همومك هنا. هنا على صدري". وفي بعض الاحيان اناديك بأسماء لا يعرف معناها غير الآباء المحبين والامهات الحنونات.

وها اني اضع قبلة في راحة يمينك، وقبلة ثانية في راحة شمالك، طالباً من الله ان يحرسك ويباركك ويملأ قلبك بأنواره، وان يبقيك احب الناس اليّ.

جبران

cover design by motion sarl